أزمة التاريخ اليهودي

علي الابراهيمي

العراق

١٤٤٥هـ – ٢٠٢٤م

الاهداء

الى المقاومة في فلسطين وما حولها

مقدمة:

الديانة اليهودية ديانة سماوية توحيدية إبراهيمية , وهي احدى الديانات الثلاث الكبرى في تاريخ الإنسانية . عانت كغيرها من آثار الانحراف المعزز بالرغبات المادية الشخصية والأوهام , ففقدت بالتدريج قدرتها على إدارة المجتمعات التوحيدية , فضلاً عن باقي الحركة الفكرية العالمية . لكنها أدّت وظيفتها في كونها مقدمة لديانتين أوسع هما المسيحية ثم الإسلام .

وقد كانت الأنانية ثم العبودية وتأثيرات المادية الفرعونية ثم التشرد والتشظي أبرز عوامل انكسار المجتمع اليهودي العميقة التي ظلت مستوطنة فيها على مر السنين حتى انفجرت وتسببت بانحسار تلك الديانة , ثم استبدالها بديانة أخرى أكثر إنسانية , وبمجتمع بديل أكثر أخلاقية .

وكانت عوامل التشرد والاندكاك بالمجتمعات الوثنية والتوحيدية المختلفة وانفلات المجتمع اليهودي عن قرارات الأنبياء امتزجت لتنتج مجتمعاً مشوهاً منغلقاً على نفسه بما فيه من الأمراض الاجتماعية والفكرية , التي تسربت الى العالم بمجرد سيطرة اليهود على مقدرات المال والنفوذ في العالم .

وهنا يستعرض الكتاب في خمسة فصول انطلاقة ذلك المجتمع الأولى والسلبيات الكامنة في تلك الانطلاقة والتي ظلت تتفاعل حتى خرجت الى التأثير , والمجتمع البديل بما له من خصائص وصفات أخلاقية جعلته صالحاً لحمل الراية الايمانية رغم وثنيته الأولى , ومرحلة فرز أوراق المجتمعات ووضوح رؤاها ومن ثم انقسامها , والآثار الفكرية والعملية الباقية من المجتمعات اليهودية والمؤثرة في العالم الحديث , ونموذج لعدم قدرة اليهود في الغالب على حفظ العهود او الانتماء الى امة او وطن معين حتى تلك الأمم والاوطان التي أحسنت اليهم .

ومن ثم سيكون الكتاب دليلاً للقارئ في سيره لفهم الازمات التي يصنعها المجتمع اليهودي في أي امة ووطن يكون فيه , بلا موجب لتلك الازمات ظاهراً .

علي الابراهيمي

١٤٤٥ هـ – ٢٠٢٤ م

الفصل الأول : بداية المجتمع اليهودي

أول المرسلين (آدم) , وآخرهم (محمد) , كما ورد في الروايات الإسلامية , وأن الانبياء مائة وأربعة وعشرين ألف نبي , وأن الرسل ثلاث مائة , واولو العزم خمسة (نوح , إبراهيم , موسى , عيسى , محمد) , وأن العرب منهم خمسة (هود , صالح , شعيب , إسماعيل , محمد) , وأن خمسة منهم سريانيون (آدم , شيث , ادريس , نوح , إبراهيم) , وأن أول أنبياء بني اسرائيل (موسى) , وآخرهم (عيسى) , وكتب الانبياء مائة وأربعة , ل(آدم) خمسون صحيفة , ول(ادريس) ثلاثون , ولإبراهيم عشرون , ول(موسى) التوراة , ول(داود) الزبور , ول(عيسى) الانجيل , ول(محمد) (الفرقان = القرآن)[1] .

وورد ان ابني (آدم) قرّبا قرباناً , نقّاه (هابيل) من غنمه , ولم ينقّه (قابيل) من زرعه , فقبلت النار قربان (هابيل) فقط , فقرر (قابيل) بناء بيت لها حتى تقبل قربانه , وكان اول من اتخذ للنار بيتا . وحدّثت نفس (قابيل) – بمعونة (ابليس) – صاحبها بأن الفخر سيكون لذرية (هابيل) على ذريته , فقتل اخاه , ورجع الى ابيه وهو ينكر معرفة مكان (هابيل) , حتى وجد (آدم) ولده مقتولاً , فبكى أربعين ليلة , ثم دعا الله فرزقه ولداً آخر سمّاه (هبة الله) , فأحبَّه , فوّرثه مواريث النبوة بعده , وأوصاه بالوصية ب(نوح) , الذي يظهر في زمانه الطوفان , والذي لن ينجو منه الا من يتبع (نوح) .

وكان بين (آدم) و(نوح) عشرة أبناء كلهم انبياء . فتوفي (آدم) وصلّى عليه (هبة الله) إماماً ل(جبرائيل) والملائكة بصلاة خاصة , حتى جاءه (قابيل) يهدده اذا اظهر العلم الذي من اجله قتل (قابيل) اخاه (هابيل) , فظل العلم مخفياً في أبناء (هبة الله) , حتى اظهره (نوح) , حيث كان أبناء (آدم) الصالحون يتعاهدون وصية أبيهم ب(نوح) , فلما ظهر آمنوا به ونصروه .

---

[1] بحار الانوار , محمد باقر المجلسي , ج ١١ , ح ٤٨

وكانت مواريث الأنبياء والعلم والوصية بالرسل العظام تتوارث في بيوتات أبناء الأنبياء بعد ذلك منذ أبناء (نوح) , في (سام) ثم (هود) ثم إبراهيم , وبين كل نبي منهم عشرة آباء او تسعة او ثمانية , كلّهم انبياء معلنين او مستخفين بحسب الظروف , وكان الناس يتناقلون الوصية من النبي السابق المعلن الى النبي اللاحق فيؤمنون به .

وقد كان بعض الأنبياء يتم قتلهم وتعذيب اصحابهم , فقد كان منحرفو بني اسرائيل يقتلون في بعض الازمان في اليوم الواحد من اثنين الى سبعين نبيا ... .

وإبراهيم فكانت نبوته ب(كوثى ربا) , وهي قرية من قرى (السواد = العراق) فيها بداية أمره , ثم هاجر منها , ولم تكن هجرة قتال , وذلك قوله تعالى ((وقال إني مهاجر إلى ربي انه هو العزيز الحكيم))[٢] , فكانت هجرة إبراهيم بغير قتال . وأما إسحاق فكانت نبوته بعد إبراهيم , وأما يعقوب فكانت نبوته في أرض كنعان ثم هبط إلى أرض مصر فتوفي فيها , ثم حمل بعد ذلك جسده حتى دفن بأرض كنعان , والرؤيا التي رأى (يوسف) من الاحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين , فكانت نبوته في أرض مصر بدؤها , ثم كانت الاسباط اثني عشر بعد (يوسف) , ثم (موسى) و(هارون) إلى فرعون وملائه إلى مصر وحدها , ثم إن الله تعالى أرسل (يوشع بن نون) إلى بني اسرائيل من بعد (موسى) , نبوته بدؤها في البرية التي تاه فيها بنو إسرائيل .

ثم كانت أنبياء كثيرون , ثم إن الله عز وجل أرسل (عيسى بن مريم) إلى بني اسرائيل خاصة فكانت نبوته ب(بيت المقدس) , وكان من بعده الحواريون اثني عشر , فلم يزل الايمان يستسر في بقية أهله منذ رفع الله (عيسى) , وأرسل الله تبارك وتعالى (محمداً) إلى الجنّ والانس عامة , وكان خاتم الانبياء , وكان من بعده الاثني عشر الاوصياء[٣] .

ان هجرة النبي إبراهيم لم تكن بمعنى ترك ارض الآباء الى بلاد اخرى , بل هي تلك الهجرة المنتجة بالمعنى الذي تناوله المفكّر (علي شريعتي) , انها هجرة التغيير والبناء , كالتي قام بها نبي الاسلام (محمد) .

لذلك كان ما بعد الهجرة الإبراهيمية غير الذي كان قبلها ((فآمنَ لَهُ لوط و قالَ إنّي مهاجر إلى ربّي))[٤] .

ففي الفترة التي اعقبت مجيء إبراهيم الى شمال العراق ظهرت في (فارس) الديانة الزرادشتية , القريبة جداً

---

[٢] القرآن الكريم , سورة العنكبوت ٢٦

[٣] بحار الانوار , المجلسي , ج ١١ , كتاب النبوة , ح ٤٩

[٤] سورة العنكبوت ٢٦

من الديانات التوحيدية . واصبحت الارض الآشورية ملامسة لكل الديانات التوحيدية اللاحقة , وبصورة مثيرة للتساؤل , حتى انها كانت احدى الاسباب الرئيسة لانهيار خط الانحراف الاساسي الذي طرأ على الديانة الإبراهيمية من خلال انحراف بني اسرائيل , والذي مهّد لظهور المسيح .

كذلك تغيرت ملامح الفكر في ارض كنعان , لتصبح مستقبلاً الحاضنة للمجتمع الايماني الاسرائيلي –الذي خلف إبراهيم – قبل أن ينحرف . حيث آمن (ابيمالك) ملك (جرار)٥ , وبارك إبراهيم (ملكي صادق) ملك (شاليم)٦ , وعقد عهداً مع الاموريين٧ . وقد ايّد الكتاب المقدس هذا المعنى ((وَقَامَ إبراهيم مِنْ أَمَامِ مَيِّتِهِ وَكَلَّمَ بَنِي حِثَّ قَائِلاً "أَنَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ عِنْدَكُمْ. أَعْطُونِي مُلْكَ قَبْرٍ مَعَكُمْ لأَدْفِنَ مَيْتِي مِنْ أَمَامِي" . فَأَجَابَ بَنُو حِثَّ إبراهيمَ قَائِلِينَ لَهُ "اِسْمَعْنَا يَا سَيِّدِي. أَنْتَ رَئِيسٌ مِنَ اللهِ بَيْنَنَا. فِي أَفْضَلِ قُبُورِنَا ادْفِنْ مَيْتَكَ, لاَ يَمْنَعُ أَحَدٌ مِنَّا قَبْرَهُ عَنْكَ حَتَّى لاَ تَدْفِنَ مَيْتَكَ"))٨ .

وتعرفت ارض مصر لأول مرة بعد زمن طويل على دين التوحيد النقي٩ , عبر ايمان ملك الهكسوس وزوجته . لتتقبل مصر بعد قرنين تقريباً دين التوحيد بصورة مباشرة , على يد حفيد النبي إبراهيم وهو النبي (يوسف) ١٠ . ولولا ضعف ملوك الهكسوس المتأخرين لكانت مصر تغيرت لتصبح احدى ركائز المجتمعات الايمانية الجديدة١١ .

وتغيرت ملامح شبه الجزيرة العربية , عبر بقاء الشعوب الاسماعيلية فيها بما تحمل من ارتكاز فكري وعقائدي , رغم ما طرأ عليها بعد ذلك من انحرافات متفاوتة , في تمهيد مهم لعملية انتقال المجتمع الايماني .

---

٥ سفر التكوين , الإصحاح العشرون

٦ سفر التكوين , الإصحاح الرابع عشر

٧ سفر التكوين , الإصحاح الرابع عشر

٨ سفر التكوين , الإصحاح الثالث والعشرون

٩ سفر التكوين , الإصحاح الثاني عشر

١٠ تم تفصيل ذلك في كتابنا المستقل (صراع الحضارتين)

١١ وقد رأى بعض الباحثين انّ هجرة النبي التوحيدي الكبير ابراهيم الى مصر كانت خلال حكم الاسرة الفرعونية الثانية عشر ، لتقاربها مع زمن حكم الهكسوس لمصر ، حيث اعتقد الباحثون انها حكمت في حدود ١٨٩٧ الى ١٨٤٠ ، فيما حكم الهكسوس منذ ١٧٨٥ الى ١٥٨٠ . لكننا نرفض ذلك مطلقاً ، حيث هو مخالف للمنطق التاريخي للحدث ، كما انه لا يقوم على أسس اثرية دقيقة . من هنا ارى انّ هجرة ابراهيم كانت في ظلّ اول ملوك الهكسوس ، وهي فترة متقاربة جدا مع التاريخ الذي يراه معظم الباحثين . كما انّ ظهور أبناء يعقوب في مصر ، واعزازهم ، ومن ثمّ استعبادهم بعد انهيار الهكسوس من قبل الاسرة الفرعونية الثامنة عشر يكشف عن منطقية رأينا . ويمكننا ملاحظة انّ مؤرخين اخرين لهم تواريخ غير التي رآها غيرهم ، فمثلا (ماسبيرو) في كتابه (تاريخ المشرق) يرى انّ احتلال الهكسوس لمصر كان في حدود ٢٣٠٠ ق م ، فيما خروجهم كان بين ١٧٠٠ الى ١٦٥٠ ، ويرى انهم حكموا اكثر من خمسة قرون .

إنّ هجرة نبي الله إبراهيم إلى مكة مع زوجته (هاجر) وابنه إسماعيل وردت في القرآن الكريم على لسان إبراهيم بقوله ((ربنا إني أسكنتُ من ذريتي بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ عندَ بيتِكَ المحرَّمِ ربَّنا ليقيموا الصلاةَ فاجعلْ أفئدةً من الناسِ تهوي إليهم وارزقهم من الثمراتِ لعلَّهم يشكرون))[١٢] . فإن الآية الكريمة تدل على الأهداف التي كانت وراء هذه الهجرة , ومنها تكوين مجتمع إيماني حول الكعبة المشرّفة , وعمارة الأرض التي كانت صحراء قاحلة قبل هذا التاريخ , وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن هذه الهجرة قد خطّت منهجاً جديداً في حياة البشر , لأنها خرجت عن الأسباب التي يهاجر من اجلها مَنْ سبقه من الأنبياء , مثل طلب الأمان والاستقرار المؤقت في مهاجرهم , لأن الإقامة في مكة هنا كانت دائمة كما أشار القرآن الكريم لذلك على لسان إبراهيم١٣ . كذلك دخلت عقيدة التوحيد الإبراهيمية خلال تلك الفترة الى الاراضي الاردنية عبر (لوط) النبي أحد أقارب النبي إبراهيم .

لقد ساعدت حركة الهجرة الإبراهيمية على توفير عدد اكبر من افراد المجموعة المؤمنة , وتوسيع رقعة الوسط الايماني , من خلال تنقية الشوائب التي اصابت الوسط السابق الذي توسّع تلقائيا . وخلقت هذه الحركة وسطاً جديداً اكبر , ودفعت الهالة الايمانية لأعماق ابعد . كما مهّدت لنشوء الديانات التوحيدية الكبرى لاحقا , وقلب المعادلة لإنتاج مجتمع ايماني يفوق المجتمع غير الايماني عددا . كما ساهمت في تحقيق نظرية المجتمع الايماني البديل , عبر ولده اسماعيل الذي استوطن الجزيرة العربية , لتأمين حركة الرسالة في حال انحراف المجتمع الايماني القادم بعد مجتمع ابراهيم وهو مجتمع بني إسرائيل .

اذن فإبراهيم ترك مجتمعاً ايمانياً مهماً وواسعاً كان حاضنة لمجتمع فرعي , تمثّل في بني إسرائيل لاحقا , وهم ابناء إسحاق النبي , بالإضافة الى ذرية من رافق النبي إبراهيم من المؤمنين , وزرع نواةً ايمانية في شبه الجزيرة العربية , تمثّلت في ولده اسماعيل وزوجة إبراهيم المؤمنة (هاجر) , تساندان جذورهما من المجتمع الارتكازي العراقي في بلاد ما بين النهرين .

وينقل القرآن الكريم أن إبراهيم دعا ربَّه أن يحقق الأمن لبلاد محددة من البلدان , وأن يجنّب ذريته عبادة الأصنام , وأن يجعل الأرض المقدسة التي يقيمون عليها غنية , وأشار بوضوح الى أن ذريته المقصودة بدعائه هي ذرية ولديه إسماعيل وإسحاق[١٤] .

ولم تكن حينئذ من دولة اسمها (المملكة العربية السعودية) قائمة في شبه الجزيرة العربية , ولم يكن من شعب واحد الأصل او ثقافة مشتركة , فهناك السبئيون القحطانيون والآراميون وشعوب أخرى , وبالتالي لم يكن قصد

---

[١٢] سورة إبراهيم ٣٧

١٣ *الهجرة هاجس تطور أم إعلان لمسخ الهوية , عبد الله الساعدي , مجلة النبأ , العددان ٣٢ – ٣٣*

[١٤] سورة إبراهيم ٣٥ – ٤٠

إبراهيم في دعوة الامن تلك سوى (مكة) بذاتها , بدلالة الآيات الرديفة ((إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ))[١٥] , وآية ((وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ))[١٦] , التي تحدثت الى رسول الله (محمد) .

او انّ إبراهيم قصد بدعائه كل البلد الذي كانت تعود اليه مكة , او الشعب الذي ينتمي اليه أهلها عموما , من خلال الكناية , كما في الآية الشريفة ((وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ))[١٧] , بدلالة ذكر (إسحاق) في الآيات اللاحقة وهو لم يسكن (مكة) مطلقا , ومن ثم يكون العراق التاريخي , بما يشتمل عليه سابقاً من أراضي ارمينية وتركية وايرانية وشامية وخليجية معاصرة , هو المقصود بدعوة إبراهيم تلك . ووفقاً لمعطيات الإيمان والغنى الذاتية القائمة الى اليوم يكون هذا التفسير قريباً جداً من الواقع .

ولفهم هذا المعنى بوضوح فقد أوردت التوراة , وهي أقدم نص مقدس معروف , مصطلح "جنة عدن" للتعبير عن الأرض التي نزل فيها أبو البشر الآدميين , وأول الأنبياء (آدم) , وصرّح الرب أنها تقع الى الشرق من مكان بني إسرائيل حين نزلت التوراة[١٨] , وجعل لتلك الجنة الأرضية صفات , منها انها غنية بالأشجار الجميلة والأشجار المثمرة , وفيها شجرة المعرفة[١٩] , ولهذه الجنة أبعاد جغرافية , يحددها الماء , الذي ينبع منها في الأساس , حيث يخرج منها نهر الجنة الرئيس , ثم يتفرع الى أربعة رؤوس (فيشون , جيحون , حِدَّاقِل , الفرات)[٢٠] . وعند معرفة مواقع هذه الأنهار يمكن تحديد جغرافيا تلك الجنة ومركزها .

واذا كانت المراكز البحثية الشرقية والغربية متفقة على كون نهر الفرات المقصود هو نهر الفرات المعاصر , وأن نهر (حِدَّاقِل) هو نهر دجلة , فهم مختلفون كثيراً حول ما هو المقصود بأسماء أنهار (فيشون) و (جيحون) . فمنهم باحثون عراقيون يجعلون مواقع تلك الأنهار في داخل حدود العراق المعاصر , ومنهم باحثون غربيون وعرب مسيحيون او يهود او حتى مسلمين يجعلون مواقع تلك الأنهار في أماكن أخرى بعيدة عن العراق المعاصر , مثل جنوب مصر التاريخية .

لكن في طريقة تأمّل اكثر عمقاً يمكن الجمع بين الرأيين , والخروج عنهما في ذات الوقت , وذلك بالقول أن جغرافيا العراق التاريخي اكبر من جغرافيا العراق المعاصر , وأن الكتاب المقدس نفسه حدد مواقع تلك الأنهار بشيء من التفكر . فيما صرّح الكتاب المقدس ايضاً الى أن (الكروبيم) او "الملائكة" أقامت شرق جنة عدن

---

[١٥] سورة النمل ٩١

[١٦] سورة التين ٣

[١٧] سورة يوسف ٨٢

[١٨] سفر التكوين ٢ : ٧ – ٨

[١٩] سفر التكوين ٢ : ٩

[٢٠] سفر التكوين ٢ : ١٠ – ١٤

نفسها , بعد اخراج (آدم) منها , وجعل الله السيفَ حامياً لشجرة المعرفة في ذلك الشرق[٢١] . وبالتالي يكون المكان الشرقي من تلك الجنة هو الذي احتفظ بالقداسة الخاصة منذ زمان (آدم) ووجود الجنة , والذي سيتبين أنه العراق المعاصر حصراً وفقاً لآيات الكتاب المقدس نفسها .

فيما يشير الكتاب المقدس الى أن قابيل بعد قتله أخيه هابيل تم طرده الى أرض المنفى (نود) , الى الشرق من جنة عدن , ومن ذريته كان صانعوا الموسيقى والأعراب[٢٢] , وهما من عناصر الانحراف والشرور الفكرية الرئيسة في المجتمع الإنساني لا شك .

ان الإشكال الأول بين الباحثين كان حول نهر (فيشون) , وبحسب التوراة هو النهر المحيط بأرض (الْحَوِيلَة) , وهي أرض الذهب وأرض صمغ (المقل) وحجر (الجزع)[٢٣] , وهو نهر غزير , به يُضرب مَثَل غزارة الحكمة[٢٤] .

و (حويلة) جاءت في عدة آيات من الكتاب المقدس . فهناك (حويلة بن كوش بن حام بن نوح) , وهو اخو (سبا) و (نمرود) , وابن اخ (مصرايم) و (فوط) و (كنعان) , وابن عم لشعب (ددان) والفلسطينيين والحثّيين واليبوسيين والعموريين . كذلك هناك (حويلة بن يقطان بن عابر بن شالح بن أَرْفَكْشَاد بن سام بن نوح) , ومن الواضح أنه من الساميين , واخو (حضرموت)[٢٥] .

وبغض النظر عن الحقيقة التاريخية لنصوص الكتاب المقدس الحالي في ترتيب القبائل والآباء , الا ان المهم كون (حويلة) شخص , ثم شعب , من الشرق الأوسط ومن اصل عراقي صريح .

فيما تذكر التوراة أن أبناء إسماعيل بن إبراهيم –بما فيهم النبط– سكنوا من أرض (حويلة) الى (شور) قبالة أرض مصر[٢٦] . كما أن (العماليق) او العموريين كانوا يسكنون ابتداءً من بلاد (حويلة) حتى (شور) , وهم الذين انتقم منهم الملك (شاؤول) لأنهم كانوا في طريق بني إسرائيل حين عادوا من مصر[٢٧] , وهذا يعني أنهم حصراً كانوا في المنطقة بين فلسطين والحجاز , حيث أن النبي إبراهيم استعان بالعماليق العموريين الذين كانوا في مكة .

فتكون أرض (الحويلة) هي البلاد الممتدة بين الحجاز وفلسطين على أقل تقدير , اذا لم تكن ممتدة الى جميع شبه الجزيرة العربية , لتشمل كل شعوب القحطانيين والعدنانيين , أي بلاد العرب . لاسيما أن استخراج الذهب

---

[٢١] سفر التكوين ٣ : ٢٣ – ٢٤

[٢٢] سفر التكوين ٤ : ٩ – ٢٤

[٢٣] سفر التكوين ٢ : ١١ – ١٢

[٢٤] سفر يشوع بن سيراخ ٢٤ : ٣٥

[٢٥] سفر التكوين ١٠

[٢٦] سفر التكوين ٢٥ : ١٣ – ١٨

[٢٧] سفر صموئيل الأول ١٥ : ١ – ٧

كان واضحاً ومشهوراً في بلاد اليمن المعاصرة حينها , حتى أنه كان يظهر للعيان بمجرد سقوط الأمطار[٢٨] , وكذلك الصمغ وحجر (الجزع) , بل في عموم شبه الجزيرة العربية .

اما الإشكال الثاني فحول نهر (جيحون) , وهو المحيط بأرض (كوش)[٢٩] , وهو النهر الذي مسح عنده الكاهن (صادوق) النبي (سليمان) ملكاً على بني إسرائيل بأمر الملك (داود) , بحضور جزء من الشعب , وقد نزل اليه على بغلة[٣٠] , مما يكشف عن قربه من عاصمة (داود) , والا لم يستطع هذا الكم من الناس الوصول اليه بسهولة .

و (جيحون) كذلك هو النهر الذي سدّه (حزقيّا) عندما حاول (سنحاريب) ملك (اشور) غزو مدينة (داود)[٣١] , وهو النهر الذي جعله (حزقيّا) يجري الى باطن الأرض بدل ظاهرها[٣٢] , ويدخل الى مدينة (داود) عبر أرض صخرية[٣٣] . وهو النهر الذي بنى (منسّى بن حزقيّا) عند واديه سوراً الى الغرب من مدينة (داود)[٣٤] . وتحيط به الأشجار الصالحة للقطاف , أي الغابات المثمرة , لا الحقول فقط[٣٥] .

وهذا يعني أن هذا النهر مردَّد بين مدينتين , (تدمر) و (القدس) , حيث يختلف الباحثون في تحديد عاصمة مملكة (داود) , فيكون النهر أما في سوريا وأما في فلسطين , وكلاهما تمتد فيهما الشعوب العراقية الأصل حينها .

فيما أن اسم (كوش) ورد في العديد من آيات الكتاب المقدس . ف(كوش بن حام بن نوح)[٣٦] , وهو اخو (مصرايم) و (كنعان) و (فوط) , وأبو (سبا) و (حويلة) , وجد (شبا) و (ددان) , وعم الكنعانيين والحثّيين , وابن عم الآراميين والقحطانيين , واليه يرجع (نمرود) احد ملوك العراق[٣٧] , وهؤلاء جميعاً كانوا يسكنون محيط العراق , في بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية . ومن شعب (كوش) تزوج النبي موسى امرأة عند منطقة (حضيروت) , و (حضيروت) تعني الحظائر أو القرى[٣٨] , وهي مجاورة لبلاد (فاران) التي هي مكة وجبال

---

[٢٨] مجلة (المقتطف) العلمية , بتاريخ ١٩٠٣١١١١م , ج ٢٨ , ص ٢١٧

[٢٩] سفر التكوين ٢ : ١٣

[٣٠] سفر الملوك الأول ١

[٣١] سفر أخبار الأيام الثاني ٣٢ : ٤

[٣٢] سفر أخبار الأيام الثاني ٣٢ : ٣٠

[٣٣] سفر يشوع بن سيراخ ٤٨ : ١٩

[٣٤] سفر أخبار الأيام الثاني ٣٣ : ١٤

[٣٥] سفر يشوع بن سيراخ ٢٤ : ٣٧

[٣٦] سفر التكوين ١٠: ٦

[٣٧] سفر التكوين ١٠

[٣٨] موقع الأنبا (تكلا هيمانوت) للكنيسة القبطية الأرثوذكسية

الحجاز[٣٩] , وفي القرآن الكريم أن زواج موسى كان من امرأة من أرض (مدين) العربية[٤٠] . بل يصرح الكتاب المقدس أن العرب كانوا يقيمون الى جوار الكوشيين[٤١] . ولهذا كان غزو (زارح الكوشي) لمملكة (يهوذا) انطلق من مدينة (مريشة) وانتهى عند مدينة (جرار)[٤٢] , وكلاهما في وسط جنوب فلسطين[٤٣] . بينما كان اسم احد ملوك (أرام) في العراق يدعى (كوشان)[٤٤] , حيث تُستخدم خاتمة (ان) عادة للإطلاق اللغوي . وكان (ترهاقة) ملك (كوش) أحد الذين خرجوا لحرب ملك (اشور)[٤٥] , مما يعني أنه كان في إقليم قريب نسبياً الى أرض (اشور) . اما الكوشيون الذين جاءوا لحرب مملكة (رَحُبْعَامَ) الاسرائيلي مع الملك الليبي (شِيشَق) من بلاد مصر التي يحكمها[٤٦] فهم بقايا دولة الهكسوس التي كان يشكّلها العموريون والكنعانيون . كذلك كان مُلك الملك الفارسي (أَحَشْوِيرُوشَ) يمتد من الهند الى (كوش)[٤٧] .

وبلاد (كوش) منتجة للياقوت الأصفر[٤٨] , ورغم أن بلاد شبه الجزيرة العربية الصخرية منتجة للعديد من الأحجار الكريمة اليوم , الا أن التأكد من انتاجها سابقاً للياقوت الأصفر يحتاج الى بحث , غير أن كتبة الكتاب المقدس ربما عنوا به العقيق الأصفر ذاته الذي تنتجه جزيرة العرب بكثرة .

و (كوش) هي البلاد التي تنبأت المزامير بعودة يديها الى الله سريعا[٤٩] , وقد كان ذلك بظهور النبي محمد بعد عيسى بنحو خمسمائة سنة . فيما جمعها نفس السِفر ببلاد فلسطين و (صور)[٥٠] اللتين تمتدان على خط واحد وتشتركان إقليميا .

بينما فصل سِفر (اشعياء) بلاد (كوش) عن بلاد مصر[٥١] , التي يريد أغلب الباحثين نسبتها الى جنوبها , اذ كانت بلدان النوبة والسودان محسوبة دائماً على بلاد مصر حتى ظهر الاستعمار الأوروبي الحديث لتلك البلاد . فيما أن سِفر (إشعياء) يستشف من تعبيره المترجم باللغة العربية الى أن مصر (وكوش) يقعان على ساحل

---

[٣٩] معجم البلدان , ياقوت الحموي , دار احياء التراث العربي , ج ٤ , ص ٢٢٥

[٤٠] سورة القصص ٢٧ – ٢٨

[٤١] سفر أخبار الأيام الثاني ٢١ : ١٦

[٤٢] سفر أخبار الأيام الثاني ١٤

[٤٣] قاموس الكتاب المقدس , دائرة المعارف الكتابية المسيحية , موقع الأنبا (تكلا هيمانوت) للكنيسة القبطية الأرثوذكسية

[٤٤] سفر القضاة ٣: ٨

[٤٥] سفر الملوك الثاني ١٩ : ٩

[٤٦] سفر أخبار الأيام الثاني ١٢

[٤٧] سفر أستير ١ : ١

[٤٨] سفر أيوب ٢٨ : ١٩

[٤٩] سفر المزامير ٦٨ : ٣١

[٥٠] سفر المزامير ٨٧ : ٤

[٥١] سفر إشعياء ١١ : ١١ , سفر إشعياء ٢٠ : ٣

مشترك , قريب الى أرض فلسطين[٥٢] . فيما يقرن ذلك السِفر بلاد (سبا) الى بلاد (كوش) بمعزل عن مصر[٥٣] . فيما جعل تجارة (سبا) و (كوش) واحدة , لا تشترك مع تعب مصر[٥٤] .

وكان الكوشيون شعب متميز عن شعب اليهود في مملكة الملك اليهودي (صدقيا) حين أسقطها البابليون[٥٥] . فيما يتم ذكر (كوش) الى جانب (لود) و (فوط) في الهجوم الكبير من قبل ملك بابل على مصر الفرعونية[٥٦] . فيما أن (كوش) كانت تحد بلاد مصر من أحد جوانبها بحدود غير مباشرة او غير واضحة الاتصال[٥٧] .

و (كوش) من البلدان التي سقطت في يد ملك بابل في حملته لإسقاط مصر الفرعونية نهائياً الى جانب بلاد (لود) و (فوط)[٥٨] , مما يدل على أنها او جزءاً منها في طريق حملته , بل ان (لود) و (فوط) كانوا حلفاء مشتركين قريبين على نينوى عاصمة (اشور)[٥٩] , او أنها كانت واقعة تحت نفوذ الفراعنة , فتكون تلك البلدان موزعة بين الشام والحجاز كما هو السياق التاريخي للسيطرة الفرعونية .

بينما يأتي شعب (كوش) متحالفاً مع قوات الأمم الشمالية لقوم (مأجوج) الى جانب (فارس) و (فوط) لدخول أرض إسرائيل[٦٠] . وفي احدى المواجهات بين (اشور) ومصر كانت قوة (كوش) متحالفة مع مصر[٦١] . فيما كانت بعض جماعات (كوش) تسكن الخيام كالبدو , وردت في الكتاب المقدس باسم (كوشان) الى جانب حضارة (مديان) العربية[٦٢] . وحين يعدد سفر (صفنيا) الأمم المعاقَبة القريبة والمحيطة ب(يهوذا) يتحدث عن (غَزَّةَ , أَشْقَلُونَ , أَشْدُود , عَقْرُون , سَاحِلِ الْبَحْرِ أُمَّةِ الْكِرِيتِيِّينَ , كَنْعَان أَرْض الْفِلِسْطِينِيِّينَ , سَاحِلِ الْبَحْرِ , مُوآبَ , بَنِي عَمُّونَ) , ثم ينتقل الى منطقة تقابل الشمال , بمعنى أنها في جنوب كل تلك الأقاليم المحيطة ب(يهوذا) وهي (كوش) , بعدها مباشرة يشير الى الشمال (اشور) صراحة بما يوضح هذا التقابل[٦٣] . و

---

[٥٢] سِفر إشعياء ٢٠

[٥٣] سفر إشعياء ٤٣: ٣

[٥٤] سفر إشعياء ٤٥: ١٤

[٥٥] سفر إرميا ٣٨

[٥٦] سفر إرميا ٤٦ : ٩

[٥٧] سفر حزقيال ٢٩: ١٠

[٥٨] سفر حزقيال ٣٠

[٥٩] سفر ناحوم ٣ : ٩

[٦٠] سفر حزقيال ٣٨

[٦١] سفر ناحوم ٣ : ٩

[٦٢] سفر حبقوق ٣: ٧

[٦٣] سفر صفنيا ٢

(كوش) هي الامة التي تنبأ سفر (صفنيا) بكونها منطلق الرجوع الى الله بعد إسرائيل[٦٤] . وكل ذلك يعني أن إقليم (كوش) جزء من الجزيرة العربية المقابلة او القريبة الى بلاد مصر وبلاد فلسطين .

من هنا تكون شبه الجزيرة العربية , بتمامها , هي الاحتمال الأقرب والاوضح لتتمة جنة عدن العراقية , وتكون تلك الأقاليم جزءاً اساسياً من العراق التاريخي بفروعه التي تشعبت عنه , وبما اختلط بهم من أمم أخرى .

وبنو اسرائيل الاسباط من ذرية (يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم) . وهم اثنا عشرة سبط (يوسف = منسى – ابنه – , بنيامين , لاوي , روبين , يهودا , شمعون , زبولون , ياساكر , دان , نفتالي , جاد , عشير)٦٥ . وقد شكّلوا مع الملتحقين بالمجتمع الإبراهيمي الايماني قوم بني اسرائيل , الذين غلبت تسميتهم على جميع من كان معهم من المؤمنين لانهم احفاد القادة العظام , ولكثرة نسلهم , ولان النبوة لازالت فيهم . وهذا ما لم يشر له الكثير من الباحثين الذين اقتصروا في تعريف بني اسرائيل على ابناء يعقوب . فقد كان (اليعازر الدمشقي٦٦) اليد اليمنى للنبي (إبراهيم) , وهو بصورة جلية ليس من ابناء (إبراهيم) , ولكن كان فيهم .

ومجتمع بني اسرائيل كان موحداً لله , خاضعاً لتعاليم دين (إبراهيم) الخليل . لكنّ القرآن الكريم يكشف ضعف النفس في ذلك المجتمع , رغم ايمانها , لذلك كان الداء الاول الذي تسبب في انهيار هذا المجتمع لاحقا هو الأنانية . حيث تنافس ابناء النبي يعقوب في التقرب الى ابيهم والحظوة عنده , فسوّلت لهم أنفسهم قتل اخيهم النبي (يوسف) الصدّيق[٦٧] .

وهذا الامر يدفع الى التساؤل عن كيفية تعاملهم مع الاخرين من بني اسرائيل الذين لم يكونوا من ذرية النبي (يعقوب) ؟. وكما هو واضح لم تكن نفوسهم خالية من الايمان ابداً , بل خلف الآيات القرآنية الكريمة يمكن رؤيتهم قوماً مؤمنين يدغدغهم حب الذات .

ان الأنانية التي تولّدت في ذلك اليوم جعلت من بني اسرائيل مجتمعا مغلقاً في الغالب , وهذا ما يتعارض مع مبدأ الهجرة من أجل هداية الناس , وهي الإبراهيمية .

لكن رغم ذلك كان لوجود إسحاق ومن بعده يعقوب دوراً هاماً في التأثير الاخلاقي والسلوكي على المجتمعات المحيطة , التي رأت في المجتمع الاسرائيلي الاول مجتمعاً صالحا , يختلف عمّا رأته من مهاجرين سابقين .

---

[٦٤] سفر صفنيا ٣

٦٥ المسالة اليهودية / عبد الله حسين / مؤسسة هنداوي – ٢٠١٤ / ص ١٨ / مع التصحيح

٦٦ سفر التكوين / الإصحاح الخامس عشر / ٢

[٦٧] سورة يوسف ٩ – ١٠

ان مساهمة إسحاق في حفر الكثير من الآبار –كما فعل أبوه (إبراهيم) من قبل– في الارض الكنعانية , وفتحها امام كل الاقوام الأخرى [٦٨] اوجد تصوراً آخر لدى الاقوام المحيطة بالمجتمع الإبراهيمي , يقوم على اساس المقارنة بين الصالحين والطالحين من قادة الاقوام المتجاورة , وشكّل سهماً مهماً في نظرية تولية الصالحين للقيادة السياسية .

لقد حكم الهكسوس (العموريون والكنعانيون) بلاد مصر قروناً عديدة , وخلالها استقبلوا موجات من المهاجرين الساميين العراقيين والسوريين , ومن أولئك المهاجرين كان بنو اسرائيل احفاد نبي الله (إبراهيم) , حيث أكرمهم الهكسوس –لاعتبارات دينية واجتماعية– ومنحوهم بعض الاراضي الخصبة . وقد وصل (يوسف) حفيد (إبراهيم) الى منصب نائب ملك الهكسوس .

ان المجتمع الفرعوني السابق على الهكسوس –أي من المصريين الفراعنة– كان يؤمن بزواج المحارم , لذلك هو لم يكن ليتأثر بعفة النبي (يوسف) , وكذلك كان المجتمع المصري الفرعوني يعتمد كلياً على نبوءات السحرة عبر شريعة (كبّالاه) , فهو لن يقتنع بتأويلات النبي (يوسف) , وهو ايضا مجتمع هرمي عائلي لا يسمح بدخول عناصر غريبة الى السلطة , ولم يكن النبي (يوسف) حينها سيستطيع ان يكون "عزيز مصر" . لكنّ الله مهّد لبني اسرائيل دخول مصر عبر غزو الهكسوس لها , فقد آمن احد ملوكهم السابقين ب(إبراهيم) , وأهداه المرأة الصالحة (هاجر) , لتكون امّاً لابنه النبي (اسماعيل) , ومن ثم آمن احد آخر ملوكهم بالنبي (يوسف) ونبي الله (يعقوب) . وقد كان ملوك الهكسوس –بين الملكينِ– في صراع طويل مع كهنة الديانة الفرعونية المصرية (كبّالاه) , ومع معتنقيها من عامة الشعب المصري , وكذلك كانوا في حرب دائمة مع السلالات الفرعونية في الجنوب . وقد تحالف الهكسوس مع ملوك (النوبة) , ضد الفراعنة .

وقد اعتقد المؤرخ المصري (مانيتون) ان الانبياء إبراهيم و (يعقوب) و (يوسف) كانوا من نفس عنصر الهكسوس , وهو الصحيح لانهم جميعا عراقيون ساميّون في الاصل .

ثمّ بعد ذلك انهار الهكسوس امام الفرعون المصري (احمس) مؤسس السلالة الثامنة عشر , والذي طاردهم حتى بلاد الشام , حيث قضى عليهم في معركة (مجدّو) الفاصلة في حدود عام ١٤٧٩ ق م [٦٩].

---

٦٨ *سفر التكوين / الإصحاح السادس والعشرون*

٦٩ *العرب واليهود في التاريخ / سوسة / ٧٨*

وبدأ الفراعنة حينها مرحلة استبداد واستعباد للعنصر الساميّ , الذي كان ممثّلاً ببني اسرائيل في الغالب , حيث هم من ذرية الأنبياء ومن ذراري أصحابهم , والتي تكون مناسبة جداً للمرحلة الاولى في إبادة الأديان التوحيدية الإبراهيمية المخالفة للديانة المشفّرة الباطنية الفرعونية . فصاروا يذبّحون ابناءهم ويستحيون نساءهم , واستخدموهم في الاعمال الشاقّة , واتخذوا منهم لأعمال السخرة ونظام العبودية , في مرحلة ثانية لكسر النفس التوحيدية الساميّة , ومن ثمّ إبهارها بالمادية الفرعونية .

لذلك استخدم القران الكريم في هذه المرحلة –التي ترافق قصة النبي (موسى)– لفظ (فرعون) للتعبير عن حكّام مصر , ((فَمَا آَمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ))[٧٠] . بينما استخدم القرآن الكريم تعبير (الملك) عن الحاكم في فترة النبي (يوسف) للتمييز بين الحكمين والفترتين والعقيدتين والمجتمعين , ((وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ))[٧١] . وهو أول من أشار الى هذه الحقيقة .

ان المجتمع الفرعوني كان بحاجة الى الهجرة الايمانية , التي تزيل عنه الدنس وغبار الاوثان , وتوقظه من غفلة الجهل بالربّ الحقيقي , لذلك كان على بني اسرائيل ان يهاجروا , وسُنة الهجرة البلاء , فحدث القحط في أرض كنعان , وتوجه اخوة النبي (يوسف) الى ارض مصر كباقي الاقوام المحيطة , فعرفهم النبي (يوسف) , وخطط لتنفيذ مهمة الرب , ونجح –عبر استغلال دِين ملك الهكسوس– ان يثبت حقوقه التي صادرها القريب قبل البعيد , وتاب اخوته , فطلب من ملك الهكسوس ان يستقدم بني اسرائيل الى مصر , فرحّب الملك بأولياء الله من آل نبي الله (يعقوب) , واسكنهم احسن ارضه , واكرم مثواهم .

وقد كان الأنبياء إبراهيم و (يعقوب) يستشرفون المستقبل ويدركون القادم , ويعلمون مقدار تأثير سحر المعتقدات الفرعونية في حال انهار الهكسوس وعاد الفراعنة الى الحكم , لذلك جمعوا أبناءهم , وأوصوهم , وبيّنوا لهم حقيقة الرب الخالق , في خطوة قلّما فعلها احد الأنبياء قبلهم , ذلك انهم ادركوا مقدار الشبهة التي سيوجدها مفهوم الربّ الفرعوني على العقل الاسرائيلي[٧٢] .

وصار الفراعنة بعد الهكسوس –في مرحلة استعباد بني إسرائيل– اقوى , لسببين , لأنهم عرفوا العربة الحربية عن طريق الهكسوس , ولأنهم اسقطوا اهم القوى المنافسة في المنطقة[٧٣] , فكان على بني اسرائيل (يعقوب) ان يدفعوا ثمن علاقتهم بالهكسوس , فاستعبدهم الفراعنة واذلوهم .

---

[٧٠] سورة يونس ٨٣

[٧١] سورة يوسف ٥٤

[٧٢] سورة البقرة ١٣٢ – ١٣٤

[٧٣] *تاريخ المشرق , ماسبيرو , ٣٧ و ٣٨*

ثم سرت في بني اسرائيل صفتان مهمتان يحبهما الشيطان ,الأنانية وأمراض الاستعباد النفسية , فتأثروا كثيرا بشريعة (كبّالاه) المصرية , ووجدوا فيها ضالتهم , وكذلك وجد الشيطان جنوداً ورجالاً كان يبحث عن مثلهم .

وادرك الشيطان اللعبة , وتنبّه الى اخطر تحالف من الممكن ان يغير مسار البشرية لصالح ارادته , فقرر بناء العالم الجديد . ان العالم الجديد الذي يخدم رغبات الشياطين هو القائم على تحالف (فرعون) و(هامان) و(قارون) , وهو ثلاثي كان فيه فرعون يمثّل السلطة المتواصلة مع العالم الآخر , و(هامان) يمثّل الاداة التنفيذية والعلمية , و(قارون) يمثّل الكيان المادي الشره للمال والثروة واللذات , لاسيما من داخل المجتمع المتكفل برسالة الله .

ولقد تم اختيار (قارون) لهذه المهمة لأسباب ذاتية وموضوعية , فهو يحمل خصائص الأنانية التي انحدرت بالمجتمع الاسرائيلي , كما انه عنصر داخل المجتمع الايماني الإسرائيلي المعادي للمجتمع الفرعوني , وهو ايضاً قريب من العائلة الابرز والاهم في مجتمع بني اسرائيل الموحِّد , فهو اذاً ابن المجتمع الديني والمرجعية الدينية لمجتمع بني اسرائيل[٧٤] .

فكان (قارون) احد اهم الاسباب لاختراق المجتمع الايماني الاسرائيلي , وكان تملّكه من قبل الشيطان يمثّل الباب الذي خرج منه المئات , بل آلاف الذين يحملون صفة (قارون) في المجتمع اليهودي المعاصر , والذين يؤدون ذات الدور , حيث يمهدون لقدوم (الدجّال) .

ومن لطيف الروايات التي تربط اساليب القارونيين قديماً بأساليبهم حديثاً : أن (قارون) أثار بني إسرائيل ضد النبي (موسى) , حتى لا يدفعوا له الزكاة , واتفق معهم أن يتهموا النبي (موسى) في شرفه اذا أصر على أخذ الزكاة منهم , وذلك عبر ارسال إحدى بائعات الهوى اليه لتتهمه أنه اعتدى على شرفها , لكنّ النبي (موسى) دعا عليهم فأخذهم العذاب٧٥ .

ان القارونيين اليهود اليوم لا يمثّلون اعلى سلطة على الارض , فالسلطة لازالت تحت ايدي الفراعنة المعاصرين , مدعومين بمؤسسات (هامان) الضخمة , وهي مؤسسات علمية وصناعية وعسكرية٧٦ .

...

---

[٧٤] سورة القصص ٧٦ – ٨٠

٧٥ المستدرك على الصحيحين , الحاكم النيسابوري , الجزء الثاني , ح ٣٥٩٣

٧٦ الشركات متعددة الجنسيات , لتفاصيل اكبر يمكن مراجعة كتاب "عقيدة الصدمة" , تأليف : نعومي كلاين

إنّ الصراعات الايدلوجية بين معتنقي الاديان وكذلك بين معتنقي الافكار جعلت تزوير الحقائق التأريخية امراً مألوفاً وخطيراً وشائعا , لا سيما ان معظم تأريخ بعثات التنقيب عن الآثار ادارته الماكنة اليهودية منذ القرن الثاني عشر , كما في العراق على يد احد الحاخامات (بنيامين بن يونس٧٧) وحتى القرن العشرين على يد (صموئيل نوح كريمر) , لذلك كان من اللازم على الباحث ان يتحلى بذوق وحس خاصّينِ لتمييز الحقيقي عن غيره , او على الاقل لرسم ملامح عامة للحقيقة . ولعلّ تبنّي اليهود منذ قرون دراسة الآثار شكّل تهديداً واقعياً لتأريخ وحضارة هذا العالم .

ان المؤسسات والمراكز التي أشرفت على بعثات التنقيب في العراق ومصر أخفت الكثير من المكتشفات الآثارية , وربما غيّبت المهم من الحقائق . فيما الآثاريون الغربيون ترجموا النصوص السومرية والمصرية بشكل متأثر باعتقاداتهم وتصوراتهم الشخصية وبيئتهم المحيطة , يهودية او مسيحية , في أحسن الأحوال . وربما ان هؤلاء العلماء لم يكشفوا الا اقل القليل مما وجدوا . لذلك هم قاموا بتشويه الحقيقة , التي لا يمكن إدراك الا بعض ملامحها .

لذا يجد باحث كبير كالأستاذ (طه باقر) صعوبة بالغة في تحديد ماهية الديانة التي كانت عليها شعوب وادي الرافدين القديمة , ومن هنا لم يخفِ عجزه عن الإشارة لديانة بعينها تخص سكّان وادي الرافدين القدماء في كتابه "تاريخ العراق القديم"٧٨ , رغم انه جزم في كونهم لم يشاركوا او يشابهوا الشعوب البدائية الهمجية في ديانات بدائية مثل (الطوطمية).

وليس متوقعاً من الخلفية الثقافية للعلّامة (كريمر) –الناشئة على أساسين عقيديين هما الانتماء اليهودي[٧٩] , والتنشئة الغربية ذات الجذور الوثنية والحسّ المادي– ان تستوعب الرؤية الدينية السومرية للنظام الكوني

---

٧٧ حاخام يهودي من (تيودلا – نافارا) زار مدينة (الموصل) في القرن الثاني عشر لكن تقريره نُشر في القرن السادس عشر , السومريون ص ٨

٧٨ تاريخ العراق القديم , طبعة دار المعلمين العالية , ١٩٥٥ , ص ٢٢٣ – ٢٢٤

[٧٩] اليهودية الوارثة لمجمع السنهدرين الكهنوتي الذي أُشبع بالعقيدة الفرعونية حتى حاكم المسيح النبي ، والتي أنتجت شيخ المجسمين كعب الأحبار ، والمترعرعة في كنف الوثنية الرومانية .– يقول (اسرائيل شامير) في كتابه (مقدمة في الكبّالا) : (الان

وانسجامه , التي عبّر عنها (كريمر) بنظرية الآلهة المتعددة[٨٠] , وهي لم تكن سوى رؤية سومرية لأثر "الملائكة". لذلك كان من الطبيعي ان يرى (كريمر) هذه العقيدة السومرية بنحو اخر , غير الذي تراه العين العراقية التي ورثت الفكر السومري , فيقول بكونهم اقتسوا رؤيتهم لتنظيم الكون من رؤيتهم للتنظيم المدني البشري[٨١] . وهذه القراءة (الكريمرية) شأن شخصي , خاص به وحده , وليست مرتبطة بحقيقة الوثائق الآثارية السومرية , لأن فهم النصوص الآثارية ظنّي , مبني على التصور الخاص بالباحث , في إجادته لقراءة النص , وفي ألمعيته التي تمكّنه من جمع أطراف النص الواحد , ومن ثم أطراف العقيدة المبثوثة في نصوص متفرقة زمانياً ومكانياً , وفي خلفيته الثقافية التي تساعده في ادراك المعنى الحقيقي الذي اراده كاتب او مدون الوثيقة الآثارية .

ولم تكن الرؤى العقائدية السومرية ليست الّا نسخة متقدمة في التاريخ لعقيدة (الولاية التكوينية) الاسلامية , التي يؤمن بها المسلمون الشيعة في العالم وفي العراق خاصة , كما انّ هذه المخلوقات القائمة على كل مظهر مادي في الكون ليست سوى "الملائكة" في المعتقدات الخاصة بالديانات الإبراهيمية .

...

((وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ, وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً * وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا, وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ * وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ, وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ, وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ * وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ, وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ * اِسْمُ الْوَاحِدِ فِيشُونُ, وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ الْحَوِيلَةِ حَيْثُ الذَّهَبُ * وَذَهَبُ تِلْكَ الأَرْضِ جَيِّدٌ. هُنَاكَ الْمُقْلُ وَحَجَرُ الْجَزْعِ * وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّانِي جِيحُونُ, وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ

نشهد هذه الظاهرة ايضاً : هناك عشرات المعاهد حيث يُعلّمون " غير اليهود " نوعاً من اليهودية . لا ليتحوّلوا ، بل ليشكّلوا مستوى ثانياً من الدعم . فالعديد من الناس الدينيين يفضّلون " ربّاً لا دينياً " ، وهو ما يتلاءم ايضاً مع النمط اليهودي ، فالإيمان بوجود اله هو شكل اخر مقبول عند اليهود ، لأنه يدعم الادّعاءات بانه لا توجد نقاط مركزية مقدسة جدا ... شروط " الكنيسة اليهودية " على جمهورها من غير اليهود ليست قاسية جداً ، فهم – الجمهور غير اليهودي – قد يفعلون ما يريدون ، وقد يجمعون الثروة والمال ، بشرط ان يتخلون عن " روحهم " ، ولا يلتمسون أيّ الهام روحي . كما يجب الّا يساعدوا بعضهم البعض) .

[٨٠] السومريون , ص ١٥٠ – ١٥١

[٨١] السومريون , ص ١٥١

كُوشٍ * وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّالِثِ حِدَّاقِلُ, وَهُوَ الْجَارِي شَرْقِيَّ أَشُّورَ. وَالنَّهْرُ الرَّابِعُ الْفُرَاتُ * أَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا))[٨٢] .

فيما جاء عن أهل بيت النبي محمد على لسان الإمام (جعفر بن محمد الصادق) أن جنة (آدم) كانت من جنان الدنيا , على الأرض , بدليل أنها يطلع عليها الشمس والقمر[٨٣] .

أوردت التوراة , وهي أقدم نص مقدس معروف , مصطلح "جنة عدن" للتعبير عن الأرض التي نزل فيها أبو البشر الآدميين , وأول الأنبياء (آدم) . وصرّح الرب أنها تقع الى الشرق من مكان بني إسرائيل حين نزلت التوراة[٨٤] . وجعل لتلك الجنة الأرضية صفات , منها انها غنية بالأشجار الجميلة والأشجار المثمرة , وفيها شجرة المعرفة[٨٥] . ولهذه الجنة أبعاد جغرافية , يحددها الماء , الذي ينبع منها في الأساس , حيث يخرج منها نهر الجنة الرئيس , ثم يتفرع الى أربعة رؤوس (فيشون , جيحون , حِدَّاقِل , الفرات)[٨٦] . وعند معرفة مواقع هذه الأنهار يمكن تحديد جغرافيا تلك الجنة ومركزها .

واذا كانت المراكز البحثية الشرقية والغربية متفقة على كون نهر الفرات المقصود هو نهر الفرات المعاصر , وأن نهر (حِدَّاقِل) هو نهر دجلة , فهم مختلفون كثيراً حول ما هو المقصود بأسماء أنهار (فيشون) و (جيحون) . فمنهم باحثون عراقيون يجعلون مواقع تلك الأنهار في داخل حدود العراق المعاصر , ومنهم باحثون غربيون وعرب مسيحيون او يهود او حتى مسلمين يجعلون مواقع تلك الأنهار في أماكن أخرى بعيدة عن العراق المعاصر , مثل جنوب مصر التاريخية .

لكن في طريقة تأمّل اكثر عمقاً يمكن الجمع بين الرأيين , والخروج عنهما في ذات الوقت , وذلك بالقول أن جغرافيا العراق التاريخي اكبر من جغرافيا العراق المعاصر , وأن الكتاب المقدس نفسه حدد مواقع تلك الأنهار بشيء من التفكر . فيما صرّح الكتاب المقدس ايضاً الى أن (الكروبيم) او "الملائكة" أقامت شرق جنة عدن نفسها , بعد اخراج (آدم) منها , وجعل الله السيفَ حامياً لشجرة المعرفة في ذلك الشرق[٨٧] . وبالتالي يكون المكان الشرقي من تلك الجنة هو الذي احتفظ بالقداسة الخاصة منذ زمان (آدم) ووجود الجنة , والذي سيتبين أنه العراق المعاصر حصراً وفقاً لآيات الكتاب المقدس نفسها .

---

[٨٢] سفر التكوين ٢ : ٧ – ١٥

[٨٣] بحار الأنوار , محمد باقر المجلسي , مؤسسة الوفاء , ج ١١ , ص ١٤٣

[٨٤] سفر التكوين ٢ : ٧ – ٨

[٨٥] سفر التكوين ٢ : ٩

[٨٦] سفر التكوين ٢ : ١٠ – ١٤

[٨٧] سفر التكوين ٣ : ٢٣ – ٢٤

فيما يشير الكتاب المقدس الى أن قابيل بعد قتله أخيه هابيل تم طرده الى أرض المنفى (نود) , الى الشرق من جنة عدن , ومن ذريته كان صانعوا الموسيقى والأعراب[٨٨] , وهما من عناصر الانحراف والشرور الفكرية الرئيسة في المجتمع الإنساني لا شك .

ان الإشكال الأول بين الباحثين كان حول نهر (فيشون) . وبحسب التوراة هو النهر المحيط بأرض (الْحَوِيلَة) , وهي أرض الذهب وأرض صمغ (المقل) وحجر (الجزع)[٨٩] , وهو نهر غزير , به يُضرب مَثَل غزارة الحكمة[٩٠] . و (حويلة) جاءت في عدة آيات من الكتاب المقدس . فهناك (حويلة بن كوش بن حام بن نوح) , وهو اخو (سبا) و (نمرود) , وابن اخ (مصرايم) و (فوط) و (كنعان) , وابن عم لشعب (ددان) والفلسطينيين والحثّيين واليبوسيين والعموريين . كذلك هناك (حويلة بن يقطان بن عابر بن شالح بن أَرْفَكْشَاد بن سام بن نوح) , ومن الواضح أنه من الساميين , واخو (حضرموت)[٩١] . وبغض النظر عن الحقيقة التاريخية لنصوص الكتاب المقدس الحالي في ترتيب القبائل والآباء , الا ان المهم كون (حويلة) شخص , ثم شعب , من الشرق الأوسط ومن اصل عراقي صريح . فيما تذكر التوراة أن أبناء إسماعيل بن إبراهيم –بما فيهم النبط– سكنوا من أرض (حويلة) الى (شور) قبالة أرض مصر[٩٢] . كما أن (العماليق) او العموريين كانوا يسكنون ابتداءً من بلاد (حويلة) حتى (شور) , وهم الذين انتقم منهم الملك (شاؤول) لأنهم كانوا في طريق بني إسرائيل حين عادوا من مصر[٩٣] , وهذا يعني أنهم حصراً كانوا في المنطقة بين فلسطين والحجاز , حيث أن النبي إبراهيم استعان بالعماليق العموريين الذين كانوا في مكة . فتكون أرض (الحويلة) هي البلاد الممتدة بين الحجاز وفلسطين على أقل تقدير , اذا لم تكن ممتدة الى جميع شبه الجزيرة العربية , لتشمل كل شعوب القحطانيين والعدنانيين , أي بلاد العرب . لاسيما أن استخراج الذهب كان واضحاً ومشهوراً في بلاد اليمن المعاصرة حينها , حتى أنه كان يظهر للعيان بمجرد سقوط الأمطار[٩٤] , وكذلك الصمغ وحجر (الجزع) , بل في عموم شبه الجزيرة العربية .

---

[٨٨] سفر التكوين ٤ : ٩ – ٢٤

[٨٩] سفر التكوين ٢ : ١١ – ١٢

[٩٠] سفر يشوع بن سيراخ ٢٤ : ٣٥

[٩١] سفر التكوين ١٠

[٩٢] سفر التكوين ٢٥ : ١٣ – ١٨

[٩٣] سفر صموئيل الأول ١٥ : ١ – ٧

[٩٤] مجلة (المقتطف) العلمية , بتاريخ ١٩٠٣١١١١م , ج ٢٨ , ص ٢١٧

اما الإشكال الثاني فحول نهر (جيحون) , وهو المحيط بأرض (كوش)[٩٥] . وهو النهر الذي مسح عنده الكاهن (صادوق) النبي (سليمان) ملكاً على بني إسرائيل بأمر الملك (داود) , بحضور جزء من الشعب , وقد نزل اليه على بغلة[٩٦] , مما يكشف عن قربه من عاصمة (داود) , والا لم يستطع هذا الكم من الناس الوصول اليه بسهولة . وهو النهر الذي سدّه (حزقيّا) عندما حاول (سنحاريب) ملك (اشور) غزو مدينة (داود)[٩٧] , وهو النهر الذي جعله (حزقيّا) يجري الى باطن الأرض بدل ظاهرها[٩٨] , ويدخل الى مدينة (داود) عبر أرض صخرية[٩٩] . وهو النهر الذي بنى (منسّى بن حزقيّا) عند واديه سوراً الى الغرب من مدينة (داود)[١٠٠] . وتحيط به الأشجار الصالحة للقطاف , أي الغابات المثمرة , لا الحقول فقط[١٠١] . وهذا يعني أن هذا النهر مردَّد بين مدينتين , (تدمر) و (القدس) , حيث يختلف الباحثون في تحديد عاصمة مملكة (داود) , فيكون النهر أما في سوريا وأما في فلسطين , وكلاهما تمتد فيهما الشعوب العراقية الأصل حينها .

فيما أن اسم (كوش) ورد في العديد من آيات الكتاب المقدس . ف(كوش بن حام بن نوح)[١٠٢] , وهو اخو (مصرايم) و (كنعان) و (فوط) , وأبو (سبا) و (حويلة) , وجد (شبا) و (ددان) , وعم الكنعانيين والحثّيين , وابن عم الآراميين والقحطانيين , واليه يرجع (نمرود) احد ملوك العراق[١٠٣] , وهؤلاء جميعاً كانوا يسكنون محيط العراق , في بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية . ومن شعب (كوش) تزوج النبي النبي (موسى) امرأة عند منطقة (حضيروت) , و (حضيروت) تعني الحظائر أو القرى[١٠٤] , وهي مجاورة لبلاد (فاران) التي هي مكة وجبال الحجاز[١٠٥] , وفي القرآن الكريم أن زواج النبي (موسى) كان من امرأة من أرض (مدين) العربية[١٠٦] . بل يصرح الكتاب المقدس أن العرب كانوا يقيمون الى جوار الكوشيين[١٠٧] . ولهذا كان غزو (زارح الكوشي)

---

[٩٥] سفر التكوين ٢ : ١٣

[٩٦] سفر الملوك الأول ١

[٩٧] سفر أخبار الأيام الثاني ٣٢ : ٤

[٩٨] سفر أخبار الأيام الثاني ٣٢ : ٣٠

[٩٩] سفر يشوع بن سيراخ ٤٨ : ١٩

[١٠٠] سفر أخبار الأيام الثاني ٣٣ : ١٤

[١٠١] سفر يشوع بن سيراخ ٢٤ : ٣٧

[١٠٢] سفر التكوين ١٠: ٦

[١٠٣] سفر التكوين ١٠

[١٠٤] موقع الأنبا (تكلا هيمانوت) للكنيسة القبطية الأرثوذكسية

[١٠٥] معجم البلدان , ياقوت الحموي , دار احياء التراث العربي , ج ٤ , ص ٢٢٥

[١٠٦] سورة القصص ٢٧ – ٢٨

[١٠٧] سفر أخبار الأيام الثاني ٢١ : ١٦

لمملكة (يهوذا) انطلق من مدينة (مريشة) وانتهى عند مدينة (جرار)[١٠٨] , وكلاهما في وسط جنوب فلسطين[١٠٩] . بينما كان اسم احد ملوك (أرام) في العراق يدعى (كوشان)[١١٠] , حيث تُستخدم خاتمة (ان) عادة للإطلاق اللغوي . وكان (ترهاقة) ملك (كوش) أحد الذين خرجوا لحرب ملك (اشور)[١١١] , مما يعني أنه كان في إقليم قريب نسبياً الى أرض (اشور) . اما الكوشيون الذين جاءوا لحرب مملكة (رَحُبْعَامَ) الاسرائيلي مع الملك الليبي (شِيشَق) من بلاد مصر التي يحكمها[١١٢] فهم بقايا دولة الهكسوس التي كان يشكّلها العموريون والكنعانيون . كذلك كان مُلك الملك الفارسي (أَحَشْوِيرُوشَ) يمتد من الهند الى (كوش)[١١٣] . وبلاد (كوش) منتجة للياقوت الأصفر[١١٤] , ورغم أن بلاد شبه الجزيرة العربية الصخرية منتجة للعديد من الأحجار الكريمة اليوم , الا أن التأكد من انتاجها سابقاً للياقوت الأصفر يحتاج الى بحث , غير أن كتبة الكتاب المقدس ربما عنوا به العقيق الأصفر ذاته الذي تنتجه جزيرة العرب بكثرة . و (كوش) هي البلاد التي تنبأت المزامير بعودة يديها الى الله سريعا[١١٥] , وقد كان ذلك بظهور النبي محمد بعد عيسى بنحو خمسمائة سنة . فيما جمعها نفس السِفر ببلاد فلسطين و (صور)[١١٦] اللتين تمتدان على خط واحد وتشتركان إقليميا . بينما فصلها سِفر (اشعياء) عن بلاد مصر[١١٧] التي يريد أغلب الباحثين نسبتها الى جنوبها , اذ كانت بلدان النوبة والسودان محسوبة دائماً على بلاد مصر حتى ظهر الاستعمار الأوروبي الحديث لتلك البلاد . فيما أن سِفر (إشعياء) يستشف من تعبيره المترجم باللغة العربية الى أن مصر (وكوش) يقعان على ساحل مشترك , قريب الى أرض فلسطين[١١٨] . فيما يقرن ذلك السِفر بلاد (سبا) الى بلاد (كوش) بمعزل عن مصر[١١٩] . فيما جعل تجارة (سبا) و (كوش) واحدة , لا تشترك مع تعب مصر[١٢٠] . وكان الكوشيون شعب متميز عن شعب اليهود في مملكة

---

[١٠٨] سفر أخبار الأيام الثاني ١٤

[١٠٩] قاموس الكتاب المقدس , دائرة المعارف الكتابية المسيحية , موقع الأنبا (تكلا هيمانوت) للكنيسة القبطية الأرثوذكسية

[١١٠] سفر القضاة ٣: ٨

[١١١] سفر الملوك الثاني ١٩ : ٩

[١١٢] سفر أخبار الأيام الثاني ١٢

[١١٣] سفر أستير ١ : ١

[١١٤] سفر أيوب ٢٨ : ١٩

[١١٥] سفر المزامير ٦٨ : ٣١

[١١٦] سفر المزامير ٨٧ : ٤

[١١٧] سفر إشعياء ١١ : ١١ , سفر إشعياء ٢٠ : ٣

[١١٨] سِفر إشعياء ٢٠

[١١٩] سفر إشعياء ٤٣: ٣

[١٢٠] سفر إشعياء ٤٥: ١٤

الملك اليهودي (صدقيا) حين أسقطها البابليون[١٢١] . فيما يتم ذكر (كوش) الى جانب (لود) و (فوط) في الهجوم الكبير من قبل ملك بابل على مصر الفرعونية[١٢٢] . فيما أن (كوش) كانت تحد مصر من أحد جوانبها بحدود غير مباشرة او غير واضحة الاتصال[١٢٣] . و (كوش) من البلدان التي سقطت في يد ملك بابل في حملته لإسقاط مصر الفرعونية نهائياً الى جانب بلاد (لود) و (فوط)[١٢٤] , مما يدل على أنها او جزءاً منها في طريق حملته , بل ان (لود) و (فوط) كانوا حلفاء مشتركين قريبين على نينوى عاصمة (اشور)[١٢٥] , او أنها كانت واقعة تحت نفوذ الفراعنة , فتكون تلك البلدان موزعة بين الشام والحجاز كما هو السياق التاريخي للسيطرة الفرعونية . بينما يأتي شعب (كوش) متحالفاً مع قوات الأمم الشمالية لقوم (مأجوج) الى جانب (فارس) و (فوط) لدخول أرض إسرائيل[١٢٦] . وفي احدى المواجهات بين (اشور) ومصر كانت قوة (كوش) متحالفة مع مصر[١٢٧] . فيما كانت بعض جماعات (كوش) تسكن الخيام كالبدو , وردت في الكتاب المقدس باسم (كوشان) الى جانب حضارة (مديان) العربية[١٢٨] . وحين يعدد سفر (صفنيا) الأمم المعاقَبة القريبة والمحيطة ب(يهوذا) يتحدث عن (غَزَّةَ , أَشْقَلُونَ , أَشْدُود , عَقْرُون , سَاحِلِ الْبَحْرِ أُمَّةِ الْكِرِيتِّيِينَ , كَنْعَان أَرْض الْفِلِسْطِينِّيِينَ , سَاحِلِ الْبَحْرِ , مُوآبَ , بَنِي عَمُّونَ) , ثم ينتقل الى منطقة تقابل الشمال , بمعنى أنها في جنوب كل تلك الأقاليم المحيطة ب(يهوذا) وهي (كوش) , بعدها مباشرة يشير الى الشمال (اشور) صراحة بما يوضح هذا التقابل[١٢٩] . و (كوش) هي الامة التي تنبأ سفر (صفنيا) بكونها منطلق الرجوع الى الله بعد إسرائيل[١٣٠] .

من هنا تكون شبه الجزيرة العربية , بتمامها , هي الاحتمال الأقرب والاوضح لتتمة جنة عدن العراقية , وتكون تلك الأقاليم جزءاً اساسياً من العراق التاريخي بفروعه التي تشعبت عنه , وبما اختلط بهم من أمم أخرى .

---

[١٢١] سفر إرميا ٣٨

[١٢٢] سفر إرميا ٤٦ : ٩

[١٢٣] سفر حزقيال ٢٩: ١٠

[١٢٤] سفر حزقيال ٣٠

[١٢٥] سفر ناحوم ٣ : ٩

[١٢٦] سفر حزقيال ٣٨

[١٢٧] سفر ناحوم ٣ : ٩

[١٢٨] سفر حبقوق ٣: ٧

[١٢٩] سفر صفنيا ٢

[١٣٠] سفر صفنيا ٣

يظل الاشكال الوحيد مرتبطاً بوجود أنهار وجنات في شبه الجزيرة العربية , وهو غير منظور اليوم بالتأكيد , رغم وجود العديد من عيون الماء وغابات الأشجار في جميع جهات شبه الجزيرة العربية . الا أن هذا الإشكال يرتفع بسهولة بعد إقرار العلماء اليوم وإجماعهم أن شبه الجزيرة العربية كانت غابات مطيرة خضراء على مراحل زمنية مختلفة , تمتد من ١٠٠٠ – ١٣٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد[١٣١] , وهي فترة تتناسب مع تقديرات ظهور آدم في جنة عدن كثيراً وقريبة من كل الاحتمالات , بغض النظر عن العمر الذي يعطيه الكتاب المقدس المحرف للبشر , ولذلك لم يشر نبي الإسلام محمد في نبوءته المستقبلية الى ظهور المروج الخضراء والأنهار في شبه الجزيرة العربية فجأة , بل قال "حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهارا"[١٣٢] , أي أنها كانت كذلك ثم تغيرت ثم تعود وفقاً لنظام اللغة العربي .

ان الاحتمال الأكبر لنهر (جيحون) هو وادي (الرمة) العملاق في السعودية المعاصرة , الذي يمتد من بلاد الحجاز قرب خيبر والمدينة المنورة غربا , حتى يصل الى الكويت ويصب في (شط العرب) شرقا , فيكون طوله ما يقارب الالف كيلومترا , وبذلك هو يعادل أكثر من ثلث طول نهر الفرات وأكثر من نصف طول نهر دجلة , وبعرض واسع , تجري فيه السيول الضخمة كل عدة من السنين المعاصرة . وبهذا هو يغطي كل أرض وسط وجنوب شبه الجزيرة العربية عن شمالها , ويتصل بالنهرين الآخرين الفرات ودجلة عن طريق (شط العرب) . كما توجد عدة وديان أخرى ضخمة تشقق شبه الجزيرة العربية , ترتبط بها العشرات من الوديان الأصغر التي تكون كالروافد لها , وتشير الى أنها كانت جنة خضراء بالفعل حين كانت تلك الوديان أنهاراً دائمة , وهو الأرجح في ضوء الاكتشافات الطينية والصلصالية والحيوانية والنباتية والمدنية فيها , مثل وادي (حنيفة) من منتصف شمال (نجد) الى الخليج , ووادي (الدواسر) من مرتفعات (عسير) جنوب صحراء (نجد) حتى يصل الى صحراء الربع الخالي , كذلك وادي (الحمض) على طول منطقة الحجاز حتى البحر الأحمر . كما أن هناك وادي (السرحان) الذي يبدأ من (جبل العرب) في سوريا حتى يصل منطقة (الجوف) في شمال صحراء (نجد) في السعودية المعاصرة مروراً بالأردن , وبذلك هو الأقرب الى أرض مملكة (داود) اذا كانت عاصمتها مدينة (تدمر) , ويكون هو النهر الذي سده ربما (حزقيال) وادخل ماءه الى المدينة . وهناك أنهار دائمة سابقة في شبه الجزيرة العربية ذكرها (هيرودوتس) مثل نهر (كورس) الذي كان يصب في البحر الأحمر , والذي ذكره (بطليموس) باسم (لار) ينبع من وسط الجزيرة العربية ويصب في الخليج[١٣٣] . لا سيما اذا تم الاخذ في الاعتبار أن اللغات الآرامية والعبرية التي كُتبت بها التوراة تشترك في أصل واحد مع اللغة العربية , وألفاظ

---

[١٣١] فن الرسوم الصخرية واستيطان اليمن في عصور ما قبل التاريخ , ماري–لويز إينزان , مديحة رشاد , ب ٤ , ص ٦١ – ٦٨

[١٣٢] صحاح الاحاديث فيما اتفق عليه اهل الحديث , الضياء المقدسي , دار الكتب العلمية , ج ٦ , ص ٥٧٤

[١٣٣] تاريخ العرب القديم , توفيق برو , نشر : المكتبة الشاملة , نظام التصريف المائي في شبه جزيرة العرب , ص ٣٢

(جيح) و (جوح) و (جاح) في اللغة العربية تعني "الهلاك" , ومنها أُخذ لفظ (جائحة)[١٣٤] , أما الإضافة (ون) فهي كالإضافة (ان) في اللغة العربية تفيد أما الاطلاق او القِدم او الكثرة , كما في لفظة (عجنان) التي تتكون من مقطع (عدن) وهو "الإقامة في المكان" ومقطع (ان) . فتكون نصوص الكتاب المقدس تتحدث عن نهر مندثر .

ومن ثم يتضح أن أرض (الحويلة) وأرض (كوش) متداخلة , ثم تكون مملكة داود داخلها , ويكون نهرا (فيشون) و (جيحون) متقاربين , وتكون جميعاً قريبة من نهري الفرات ودجلة . وهو إقليم العراق التاريخي , الممتد من أرمينيا والاناضول شمالاً الى بحر العرب جنوبا , ومن الخليج وبلاد فارس شرقاً الى البحر الأحمر وصحراء سيناء والبحر المتوسط غربا . واليوم يلفت النظر أن الملائكة ظلت في الجزء الشرقي من جنة عدن , وهو الجزء الذي تسكنه كثافة إسلامية شيعية إمامية عالية , في العراق والبحرين والأحساء والقطيف حتى عُمان . بل تتوزع الكتل الإسلامية الشيعية عموماً بما يحيط بهذه الجنة , في العراق وساحل الخليج شرقا , واليمن جنوبا , والحجاز ولبنان غربا , والاناضول شمالا .

يعضد كل ذلك ما اشتهر من الروايات الإسلامية عند الشيعة عن أئمتهم من آل بيت النبي محمد أن (آدم) و (حواء) عاشا فترة في شبه الجزيرة العربية في منطقة الحجاز على أرض مكة[١٣٥] .

وقد اختلفت الآراء حول بلاد (كوش) لأسباب مذهبية وقومية , الامر الذي جرّ المعنى الواقعي بعيدا . فبعض الباحثين العراقيين يرى أنها تقع في العراق لأنها كانت فيه مدينة (كيش) السومرية , وحروف العلة (الياء , الواو , الالف) من الممكن والوارد كثيراً تبدلها بن اللهجات المختلفة . وكذلك كانت تقع بالقرب من العراق وفي امتداده الجغرافي دولة الكيشيين التي تمتد من بلاد (عيلام) الى الاهواز في ايران المعاصرة .

وهذا الرأي غير منطقي , لأن الكتاب المقدس حين عن (آدم) لابد أن يستخدم اما الاسم الذي كان في زمانه , أي زمان المتحدَث عنه , أو الاسم الذي كان في زمان المتحدِث وهو زمان نزول التوراة او ترجمتها , و (كيش) ظهرت بعد زمان (آدم) بآلاف السنين , وقبل زمان النبي (موسى) وترجمة التوراة بعدة قرون . اما الكيشيون فلم يرد له ذكر في الكتاب المقدس الا باعتبارهم بابليين , وهم في الأصل من الجبال بين العراق وايران .

فيما حاول معظم الباحثين الغربيين جرّ أرض (كوش) الى بلاد السودان والحبشة , تماشياً وتوافقاً مع رغبة معظم الكنائس المسيحية في جعل الافارقة من أولاد (حام بن نوح) صاحب الخطيئة بحق ابيه في زعمهم . وهي نظرة عنصرية , لا سيما أن الشعوب التي ذكرها من نسل (حام) لا تشترك في الجنس .

---

[١٣٤] قاموس المعاني الالكتروني

[١٣٥] بحار الأنوار , العلّامة المجلسي , ج ١١ , ص ١٩٦

وبالتأكيد أن التوراة المترجمة خلطت بين الكثير من الشعوب ونسبتها الى غير اصلها , فالكنعانيون والسبئيون الذين نسبتهم التوراة الى (حام بن نوح) , وجعلتهم تفاسير الكتاب المقدس شركاء للأفارقة السودان في الاب , لا يشتركون فيسيولوجياً في شيء مع الافارقة . بل أنهم لا ينتمون الى جنس بشري واحد , لا على التصنيف القديم , الذي يقسم العالم الى ثلاثة اجناس , حيث ينتمي الكنعانيون والسبئيون الى فرع البحر المتوسط من العرق الأبيض القوقازي , وينتمي الافارقة الى العرق الأسود الزنجي . ولا يشتركون معاً في تصانيف الأعراق الحديثة , كما في نظرية الأعراق الجغرافية التسعة .

أما ادعاء بعض مفسري الكتاب المقدس أن شكل الكوشيين كان أسود اللون فليس مستنداً الى نص صريح , بل هو مأخوذ من نص ((هَلْ يُغَيِّرُ الْكُوشِيُّ جِلْدَهُ أَوِ النَّمِرُ رُقَطَهُ؟ فَأَنْتُمْ أَيْضًا تَقْدِرُونَ أَنْ تَصْنَعُوا خَيْرًا أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُونَ الشَّرَّ))[١٣٦] الذي ليس فيه أية دلالة على اللون الأسود للبشرة . كما استدلوا على طول قامة الكوشيين من النص ((هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: تَعَبُ مِصْرَ وَتِجَارَةُ كُوشٍ وَالسَّبَئِيُّونَ ذَوُو الْقَامَةِ إِلَيْكِ يَعْبُرُونَ وَلَكِ يَكُونُونَ. خَلْفَكِ يَمْشُونَ. بِالْقُيُودِ يَمُرُّونَ وَلَكِ يَسْجُدُونَ. إِلَيْكِ يَتَضَرَّعُونَ قَائِلِينَ: فِيكِ وَحْدَكِ اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ. لَيْسَ إِلهٌ))[١٣٧] الذي تأتي (كوش) فيه مضافة لغوياً , يجب كسر آخرها في اللغة العربية للترجمة , فيما أتت صفة "ذوو القامة" مرفوعة لأنها تشير الى السبئيين الذين تبتدأ بهم جملة حالية جديدة .

كما أن المؤرخين تباينوا في البلاد التي يُقصد بها مصطلح (كوش) , بين بلاد (النوبة) و (السودان) و (اثيوبيا) , او انها جميعا . فيما أن المصريين القدماء –وهم سابقون على عصر نزول التوراة– استخدموا تعبير (تاستيى) بمعنى "الجنوب" للإشارة الى تلك البلاد الافريقية التي تقع الى الجنوب من مصر . بينما ظهر مصطلح (كوش) في عصر الدولة المصرية الوسطى , التي شهدت تنامي قوة الهكسوس العموريين حتى سيطروا على مصر وأسقطوا تلك الدولة , مما يعني إمكانية مجيء هذا المصطلح نفسه مع العموريين وثقافتهم للإشارة به الى المنطقة الجنوبية من مصر . وكان الى جانبه هناك مصطلح (واوات) يُطلق على بلاد (النوبة) , كما أن مملكتهم كانت (مروي) . بينما كان يطلق قدماء المصريين على الزنوج مصطلح (نحسيو) . واسم (اثوبيس) او (اثيوبيا) بمعنى "بلاد الوجوه المحروقة" هو الذي اطلقه اليونانيون على تلك البلاد . بينما اطلقت السجلات الاشورية على تلك الأرض اسم (ملوخا) , رغم أن الدولة الاشورية معاصرة لسجلات الكتاب المقدس الأولى . فيما أطلق عليهم العرب اسم "بلاد الحبشة والسودان" , يقصدون به كل افريقيا . ولا يستقيم قول (ديودورس) بأن "الكوشيين أول الخلق على وجه البسيطة , وأنهم أول من عبد الالهة وقدّم لها القرابين , وأنهم من علّم الكتابة للمصريين" مع حقيقة أنهم جنس زنجي لا يشترك فيسيولوجياً مع جنس (آدم) المعروف

---

[١٣٦] سفر إرميا ١٣: ٢٣

[١٣٧] سفر إشعياء ٤٥: ١٤

من خلال شكل ذريته من الأنبياء , فهم من العرق الأبيض المتوسطي , كما لا يستقيم مع الحقيقة التاريخية التي تقول أن الكتابة ظهرت في بلاد الرافدين . بل ان الكتابة الهيروغليفية المصرية كانت هي المستخدمة في اول المراكز الحضارية للبلاد الافريقية , لا سيما (النوبة) و (السودان) , بل ان الكلمات المصرية هي التي كانت غالبة على الثقافة (المروية النوبية السودانية)[١٣٨] . فنص (ديودورس) يشير بوضوح الى كون الكوشيين هم أهل العراق التاريخي لا سيما الساميين .

بقيت الإشارة الى استخدام القرآن الكريم لتعبير "الجنة" . فمصطلح " جَنّة" في اللغة العربية يعني "حديقةُ ذاتُ النَّخْلِ والشَّجرِ" و "بستان" , وتصغيرها " جُنَينة" التي تعني "بستان صغير"[١٣٩] . واذا أضاف العرب او القرآن الكريم اليه أداة التعريف "ال" فهم يشيرون الى "بستان" محدد معلوم حين نزول النص , يتفق عليه كل الناطقين بالعربية , او الذين نزل فيهم القرآن الكريم . ولم تكن من بلاد حينها معروفة بالخيرات المائية والزراعية الكثيرة في مجمل العالم اكثر من العراق ومصر . لكنّ البلد الذي عُرف بغاباته الكثيفة وأنهاره المتشابكة الغزيرة كان العراق وحده , حيث أُطلق عليه "ارض السواد" لذلك السبب , حيث كان الرائي من بعيد يرى سواداً عظيماً لكثرة بساتين العراق[١٤٠] , حتى قال بنو أمية "السواد بستان قريش"[١٤١] , مما يعني رسوخ كونه "البستان" أو الجَنة في ذهن العرب . فيكون العراق مراد القرآن الكريم من تعبير "الجَنة" , وهو ما ينسجم تماماً مع السياق أعلاه .

وبنو اسرائيل هم الاسباط من ذرية نبي الله (يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم) . وهم اثنا عشرة سبط (يوسف = منسى – ابنه – , بنيامين , لاوي , روبين , يهودا , شمعون , زبولون , ياساكر , دان , نفتالي , جاد , عشير)١٤٢ . وقد شكّلوا مع الملتحقين بالمجتمع الإبراهيمي الايماني قوم (بني إسرائيل) , وغلبت تسمية أبناء النبي (يعقوب) على جميع من كان معهم من المؤمنين لانهم احفاد القادة العظام , ولكثرة نسلهم , ولان

---

[١٣٨] التطور اللغوي والكتابي في مملكة كوش "مملكة نبيتة ومروي " دراسة تاريخية وحضارية , أسامة خليل مكي , معهد البحوث والدراسات الافريقية , جامعة القاهرة , ٢٠١١م , ص ١ – ٩

[١٣٩] قاموس المعاني الالكتروني

[١٤٠] اقتصادنا , محمد باقر الصدر , ج ٤ , ص ٤٩١ , عن كتاب "لسان العرب" ج ٤ , ص ١٢٠

[١٤١] تاريخ التمدن الإسلامي , جرجي زيدان , ص ٥٥

[١٤٢] *المسالة اليهودية / عبد الله حسين / مؤسسة هنداوي – ٢٠١٤ / ص ١٨ / مع التصحيح*

النبوة لازالت فيهم . وهذا ما لم يشر له الكثير من الباحثين الذين اقتصروا في تعريف بني اسرائيل على ابناء نبي الله (يعقوب) , رغم أن (اليعازر الدمشقي١٤٣) كان اليد اليمنى للنبي (إبراهيم) حين هاجر , وهو بصورة جلية ليس من ابناء (إبراهيم) , ولكن كان فيهم .

ان مجتمع بني اسرائيل كان موحداً لله , خاضعاً لتعاليم دين (إبراهيم) الخليل . لكنّ القرآن الكريم يكشف ضعف النفس في ذلك المجتمع , رغم ايمانها , لذلك كان الداء الاول الذي تسبب في انهيار هذا المجتمع لاحقا هو الأنانية , حيث تنافس ابناء النبي نبي الله (يعقوب) في التقرب الى ابيهم والحظوة عنده , فسوّلت لهم نفسهم قتل اخيهم النبي (يوسف) الصدّيق[١٤٤] .

وهذا يدفع الى التساؤل عن كيفية تعاملهم مع الاخرين من بني اسرائيل الذين لم يكونوا من ذرية النبي (نبي الله (يعقوب)) ؟ . لكن وكما هو واضح لم تكن نفوسهم خالية من الايمان ابداً , بل خلف سطور الآيات القرآنية الكريمة يمكن رؤيتهم قوماً مؤمنين يدغدغهم حب الذات .

ان الأنانية التي تولّدت في ذلك اليوم جعلت من بني اسرائيل مجتمعا مغلقاً في الغالب , وهذا ما يتعارض مع مبدأ الهجرة الإبراهيمية التي كانت تدور حول هداية الناس . لكن رغم ذلك كان لوجود النبي (إسحاق) ومن بعده نبي الله (يعقوب) دوراً هاماً في التأثير الاخلاقي والسلوكي على المجتمعات المحيطة , التي رأت في المجتمع الاسرائيلي الاول مجتمعاً صالحا , يختلف عمّا رأته من مهاجرين سابقين .

ان مساهمة النبي (إسحاق) في حفر الكثير من الآبار –كما فعل أباه (إبراهيم) من قبل– في الارض الكنعانية , وفتحها امام كل الاقوام الأخرى ١٤٥ اوجد تصوراً آخر لدى الاقوام المحيطة بالمجتمع الإبراهيمي , يقوم على اساس المقارنة بين الصالحين والطالحين من قادة الاقوام المتجاورة , وشكّل سهماً مهماً في نظرية تولية الصالحين للقيادة السياسية .

وأدرك الشيطان المناطق الضعيفة والهشة في المجتمع الرسالي الوحيد حينذاك (بني إسرائيل) , وتنبّه الى اخطر تحالف من الممكن ان يغير مسار البشرية لصالح ارادته , فقرر بناء العالم الجديد الذي يخدم رغبات

---

١٤٣ سفر التكوين / الإصحاح الخامس عشر / ٢

[١٤٤] **سورة يوسف ٩ – ١٠**

١٤٥ سفر التكوين / الإصحاح السادس والعشرون

الشياطين , عبر تحالف الفرعون و(هامان) و(قارون) , وهو ثلاثي كان فيه فرعون يمثّل السلطة المتواصلة مع العالم الآخر , و(هامان) يمثّل الاداة التنفيذية والعلمية , و(قارون) يمثّل الكيان المادي الشره للمال والثروة واللذات .

لقد تم اختيار (قارون) لهذه المهمة لأسباب ذاتية وموضوعية , فهو يحمل خصائص الأنانية التي انحدرت بالمجتمع الاسرائيلي , كما انه عنصر داخل المجتمع الايماني الإسرائيلي المعادي للمجتمع الفرعوني , وهو ايضاً قريب من العائلة الابرز والاهم في مجتمع بني اسرائيل الموحِّد , فهو اذاً ابن المجتمع الديني والمرجعية الدينية لمجتمع بني اسرائيل[١٤٦] .

فكان (قارون) احد اهم الاسباب لاختراق المجتمع الايماني الاسرائيلي , وكان تملّكه من قبل الشيطان يمثّل الباب الذي خرج منه المئات , بل الآلاف , الذين يحملون صفة (قارون) في المجتمع اليهودي المعاصر , والذين يؤدون ذات الدور , حيث يمهدون لقدوم أنانية (الدجّال) وحكمها العالم . ومن لطيف الروايات التي تربط اساليب القارونيين قديماً بأساليبهم حديثاً أن (قارون) أثار بني إسرائيل ضد النبي (موسى) حتى لا يدفعوا له الزكاة واتفق معهم أن يتهموا النبي (موسى) في شرفه اذا أصر على أخذ الزكاة منهم وذلك عبر ارسال إحدى بائعات الهوى اليه لتتهمه أنه اعتدى على شرفها , لكنّ النبي (موسى) دعا عليهم فأخذهم العذاب١٤٧ .

ان القارونيين اليهود اليوم لا يمثّلون اعلى سلطة على الارض , فالسلطة لازالت تحت ايدي الفراعنة المعاصرين , مدعومين بمؤسسات (هامان) الضخمة , وهي مؤسسات علمية وصناعية وعسكرية١٤٨ .

وكانت الفترة بين نزول (إبراهيم) الى مصر وبين ظهور النبي (موسى) بحدود الثلاثة قرون , تغيّر خلالها المجتمع الاسرائيلي بصورة كبيرة , حيث انحرف ذلك المجتمع , الا انهم لازال فيهم الكثير من المؤمنين , ولازال مجتمعهم المجتمع الايماني الاكبر في العالم , فكان من الضروري ان يستنقذهم الله من براثن فرعون و(هامان) وجنودهما , ويريهما ويُري بني اسرائيل من آياته , فبعث فيهم النبي (موسى) علاجا , الا ان مهمة النبي (موسى) كانت صعبة ومضاعفة , لأنه سيواجه فرعون ومِنْ خلفه الشياطين , وكذلك عليه ان يبين لبني اسرائيل حقيقة ما يجري .

---

[١٤٦] سورة القصص ٧٦ – ٨٠

١٤٧ المستدرك على الصحيحين , الحاكم النيسابوري , الجزء الثاني , ح ٣٥٩٣

١٤٨ الشركات متعددة الجنسيات , لتفاصيل اكبر يمكن مراجعة كتاب "عقيدة الصدمة" , تأليف : نعومي كلاين

وتأثّر مجتمع مؤمن بشريعة شيطانية , وما كان على النبي (موسى) بيانه كانت مسائل معقدة فلسفيا , فالشريعة الفرعونية تدّعي ان الانسان كان متوحداً مع الإله في البدء ثم انفصل عنه في مرحلة لاحقة , ولو اراد الانسان ان يعود ليندمج مع الإله فعليه ان يمارس طقوسهم (كبّالاه) ١٤٩.

ان الشياطين وضعت للسالك في هذا الطريق المزيف مجموعة من الهدايا , القائمة على اساس لعب فيزيائية , يمكن تسميتها باختصار "السِحْر" , لكنه ليس سحراً بالمعنى العرفي , بل هو خليط من الفيزياء ودمج العوالم . وقد وردت الإشارة الى ذلك في القرآن الكريم ((سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم))[١٥٠] .

كما يمكن ل"نظرية الاوتار الفائقة" في الفيزياء و "نظرية الاكوان المتوازية" تفسير الفكرة الاساسية للكلمات المقتضبة أعلاه , حول الاسس العلمية للاعتقادات (الكبّالية) ١٥١.

ان العقيدة الفرعونية ١٥٢والنظريات العلمية في الفيزياء النظرية المعاصرة جميعاً تفترض وجود عدة عوالم في الكون غير هذا العالم , وبقوانين غير قوانينه , والمسلمون يقرون بوجودها منذ البداية , ومنها عالم الجن بقوانينه .

وفي الفكر الشيعي الإمامي هناك تصوير لعوالم الطاقة في الخلق بشكل هرمي , فالله قد اوجد عدة مستويات للطاقة , يساوي عدد العوالم التكاملية التي اوجدها , بمعنى ان هناك مجموعة عوالم , الاعلى منها يكون حاكماً على الادنى , وهكذا , فهناك عالم الجبروت , وهو اعلاها , وهناك العالم الاوسط , وفيه مستوى الجن للطاقة , وتحكمه علوم السيمياء والهيمياء وما شابهها , وهناك عالم الدنيا , وهو عالم الانس , وتحكمه قوانين الفيزياء والكيمياء وما شابهها , ويقال ان هناك عالم ادنى من الدنيا يسمى عالم الظلام , له فلسفته الخاصة ويسكنه مستوى متدني من الجن او المخلوقات المتشابهة معهم .

والذي يهم من ذلك هي فلسفة الطاقة , فعالم الجبروت فيه اعلى مستوى للطاقة , لكنّ الوصول اليه يتطلب اخلاصاً عالياً ايضاً ودرجة كبيرة من الرياضات الروحية , لذلك يجده البعيدون عن الله طريقاً صعبا ,

---

١٤٩ (نحن انحدرنا من مستوى كنا فيه مترابطين معاً ومع الواقع , حتى وصلنا الى مكان يدعى الفاصل او الحاجز , مما أدى الى تحديد وحصر وجودنا في هذا العالم الذي نعيش فيه) , موقع (حكمة الكابالا) العربي , سلسلة محاضرات لدراسة الكابالا , الدرس الثاني

[١٥٠] سورة الأعر اف ١١٦

١٥١ (... ومع ذلك فان علماء الكابالا , والذين احرزوا العالم الروحي , يقولون لنا انه –لهدف معين– نحن انحدرنا من هذا المكان , أي من هذا الواقع الكامل لوضعنا الحالي في وقتنا الحاضر من خلال نظام يدعى " العوالم " . ان المعنى الجذري لكلمة "عالم" في لغتها الاصلية تعني " الاختفاء ") , , موقع (حكمة الكابالا) العربي , سلسلة محاضرات لدراسة الكابالا .

والمقصود بمصطلح "الواقع الكامل" هو "الإله" لكنهم لا يصرحون بهذا في منشوراتهم العلنية .

١٥٢ انظر كتاب : الديانة المصرية القديمة , ياروسلاف تشيرني

فيحاولون التواصل مع العالمين الاخرين , الاوسط والظلام١٥٣ لكي يحصلوا على مستوى اعلى من الطاقة , يمكّنهم من التسلط على البشر , ولكي يحققوا مآرب دنيوية واضحة للجميع , ومن هؤلاء البشر (الكبّاليون) , اصحاب شريعة (كبّالاه = قبّالاه) امثال الفراعنة . بينما يحاول المؤمنون المخلصون ان يصلوا الى اعلى مستوى من الطاقة النقية في عالم الجبروت , والذي هو عالم الملائكة , وهنا يكمن الاختلاف بين اصحاب الكرامات من العارفين والعابدين وبين اهل السِحر , لكن يختلط الامر غالباً على البسطاء والحشوية , كما اختلط على بني اسرائيل ١٥٤.

كذلك يمكن استشفاف دليل قرآني على هذه المدعيات التاريخية , فعندما ارى النبيُ (موسى) سحرةَ فرعون حقيقة القدرات الشيطانية للفرعون وجنوده , ادرك السحرةُ انفصال عالم الآخرة عن مجريات الاحداث الدنيوية , وهذا الامر يعني ان مفاهيمهم السابقة كانت تتصور عالم الآخرة بأنه ذلك العالم الذي تنقلهم اليه قدرات الشياطين , وهو عالم دنيوي , لكنه ليس ارضيا , لكنّ النبي (موسى) جعلهم يدركون وجود عالمين منفصلين من ناحية القوانين والعمل , فتبيّن لهم حقيقة الخديعة الشيطانية , والتي صوّرت لهم الآخرة من خلال صور عوالمية موهومة , ((قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى . قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا))[١٥٥] .

وبصورة عامة يمكن موافقة ما كتبه الباحث (محمد حسن المبارك) من أن بني إسرائيل –بعد اقامتهم لعدة قرون في مصر– تأثروا بالثقافة المحلية الفرعونية المصرية , وحين خروجهم من مصر نقلوا الكثير من تلك الثقافة وخلطوها بمعتقداتهم اليهودية , لا سيما التعاليم السحرية التي نقلوها من جيل الى جيل بصورة شفوية والتي عُرفت باسم تعاليم (كبّالاه) , فتم تحريف التوراة تدريجيا , بإضافة صفات إنسانية ضعيفة الى الرب , وجعلوه إلهاً لهم فقط , حتى تصوروه إلهاً مادياً وطلبوا أن يروه , ثم بالغوا في تلك المادية واتخذوا "العِجل" إلهاً كما كان يفعل الفراعنة , ثم تسربت اليهم عبادة الشيطان الفرعونية شيئاً فشيئاً بصورة مباشرة او غير مباشرة , لاسيما ادخال الإله الشيطاني (ست) في تعاليم (كبّالاه)١٥٦.

---

١٥٣ انظر كتاب : ما وراء الفقه , للسيد محمد الصدر

١٥٤ انظر كتاب : ما وراء الفقه , للسيد محمد الصدر

[١٥٥] انظر : سورة طه ٥٦ – ٧٢

١٥٦ الروافد الوثنية للثقافة اليهودية , الباحث : محمد حسن المبارك

https://saaid.net/Doat/almubark/٨.htm

فكانت وظيفة النبي (موسى) مضاعفة , اذ كان عليه ان يأتي بآيات تفوق ما عليه مستوى السِحر الحاكم في ذلك الزمان , فتحويل العصا الى ثعبان امر طبيعي حينها , لكن من غير الطبيعي اختفاء ما ابتلعته الافعى الموسوية كلياً عن عالم الخلق , وهذا ما ادهش السحرة الذين جاء بهم فرعون , فقد كانوا يظنون –عقائدياً– انهم في الطريق الى الاندماج بالإله –وفق علوم (كبّالاه) – حتى ايقظهم النبي (موسى) , ولولا شهادتهم لكان من الصعب على النبي (موسى) اقناع بني اسرائيل , فضلاً عن المصريين وفرعون[١٥٧] .

فامكانيات النبي (موسى) وامكانيات سحرة الفراعنة مختلفة , فالسِحر في مصر الفرعونية بلغ شأناً عظيما , وصار التواصل مع الشياطين فلسفة حضارتهم , لكنّ قدرتهم لم تتجاوز الحد الذي بإمكان النبي (موسى) ابطال تأثيره . في حين كان للفراعنة القدرة على ايهام الناظر بخلاف واقع الاشياء , اعطى الله للنبي (موسى) سر الحياة في عصاه , رغم ان النبي (موسى) ربما خلط بين الظاهرتين , فأوجس خيفة في كثير من الاحيان , والله العالم . فقد أشار القرآن الكريم الى تحوّل العصا بكل كيانها وكينونتها الى حية تسعى , فلم تعد عصا , بل هي حية , بمعنى ان حقيقتها الجديدة اصبحت كذلك[١٥٨]. وفي آيات قرآنية أخرى تحولت حقيقة العصا الى ثعبان , واقعاً لا تمويها , فيما كانت اليد بيضاء للناظرين , لا في الواقع .

لكنّ الملأ من قوم فرعون –وهمْ النخبة– اصروا على ان ما جاء به النبي (موسى) كان سحرا , رغم انهم ادركوا انه ناتج عن علم جديد يفوق ما لديهم من علوم[١٥٩], وأن النبي (موسى) اوضح انه سيأتي بما هو جلي من القدرة[١٦٠]. فما لدى سحرة الفراعنة من علم لم يكن يستطيع ان يغيّر من الواقع , كما كان باستطاعة النبي (موسى)[١٦١], فقدرة زعماء السحر الفرعوني –والتي كانت قوية وكبيرة لدرجة ان يتخيل نبي ان الحبال تسعى كالحية– لم تتجاوز التأثير خارج الواقع , لذلك اوحى الله الى النبي (موسى) ان ما لديه اسمى واعلى , فهو علم تغيير الواقع . ولأن السحرة كانوا زعماء المعرفة الفرعونية واهل الاختصاص فقد ادركوا الفرق بين العِلمين , علمهم وعلم النبي (موسى) , بخلاف القيادة الفرعونية السياسية والعسكرية[١٦٢].

لكنّ المهمة المضاعفة يحتاج صاحبها الى وزير , فكان (هارون) . والقرآن الكريم يذكر (هارون) أكثر من عشرين مرة , كوزير للنبي (موسى)[١٦٣], او المتحدث نيابة عنه[١٦٤] [١٦٥]. و (هارون بن عمران) نبي من انبياء

---

[١٥٧] القرآن الكريم : سورة طه ٥٦ – ٧٦

[١٥٨] سورة طه ١٧ – ٢١

[١٥٩] سورة الأعراف ١٠٧ – ١٠٩

[١٦٠] سورة الشعراء ٣٠ – ٣٢

[١٦١] سورة طه ٦٦ – ٦٨

[١٦٢] سورة الشعراء ٤٤ – ٤٨

[١٦٣] سورة الفرقان ٣٥

الله الذين يؤمن بهم أتباع العقائد اليهودية والمسيحية والإسلامية . وقد عاش النبي (هارون) مع اخيه النبي (موسى) في مصر في عصر الفراعنة بحسب العهد القديم والقرآن الكريم . وفي الوقت الذي تنسب بعض الكتابات اليهودية المحرفة في الكتاب المقدس صناعة صنم "العِجل" الى (هارون)[١٦٦] يُلاحظ ان القرآن الكريم يعطي (هارون) مكانة كبيرة ودوراً مهماً في صحبة اخيه , فينفي عنه صناعة صنم "العِجل" الذي عبده اليهود في غيبة النبي (موسى) , وينسبه إلى شخص اسمه (السامري)[١٦٧], كما يورد اعتراض (هارون) على هذا العمل[١٦٨]. والظاهر ان (هارون) كان الاداة التنفيذية للنبي (موسى) , وعلى يديه جرت الآيات الكبرى , فقد اورد الكتاب المقدس عدة آيات تذكر ذلك١٦٩ .

ويُلاحظ ان النبي (موسى) طلب من الله ان يكون أخوه (هارون) وزيراً له , وأن يشد عضده به , وهذا يعني ان النبي (موسى) كان يعتقد ان المهمة الملقاة على عاتقه كبيرة جدا , تحتاج الى وجود نبيينِ , مما يدل على مستوى عالٍ من التعقيد الاعتقادي والاجتماعي والانحراف , كما ان جهة الانحراف كانت على الارجح ضخمة جدا , ليست من الناحية الكمية فقط , لأن الانبياء عادة لا ينظرون الى الكم , ولكنها كانت ضخمة من ناحية القوة الفكرية ومتغلغلة في النفوس والاذهان , ومن هنا يُلاحظ في آيات القرآن الكريم ان النبي (موسى) –وهو تلك الشخصية الضخمة والمفصلية– يمر بلحظات من الخوف , ليس الخوف العادي , لا , حاشاه بل هو أكرم وأرفع من ذلك , لكنه الخوف الناتج من التعقيد الموضوعي للمجتمع الفرعوني , كذلك معرفة النبي (موسى) ان ما يواجهه ليس انحرافاً في الفكر الانساني , بل هو الانحراف الناتج من اول تحالف مباشر بين الانسان والشياطين , لذلك سيكون خداع المجتمع المؤمن من قبل الفراعنة ممكنا , لأنهم سيُظهرون من الآيات ما يشابه آيات النبي (موسى) , لولا اللطف والمعونة الالهية للنبي (موسى) .

والهارونيون –ذرية النبي (هارون) – شكّلوا نخبة خاصة داخل قبيلة (لاوي) , ولذا فقد كان منهم كبير الكهنة في بني إسرائيل , في حين كان يتبع صغار الكهنة قبيلة (لاوي) , وأنها هي التي نشرت الدين الجديد بسبب مكانتها , وبسبب وجود النص الإلهي والوصية بهم لهذه الوظيفة الدينية١٧٠ .

---

[١٦٤] سورة القصص ٣٤

[١٦٥] وقد جمعت سورة طه المعنيينِ : ٢٧ – ٣٠

[١٦٦] سِفر الخروج ٣٢

[١٦٧] سورة طه ٨٥

[١٦٨] سورة طه ٩٠

١٦٩ سفر الخروج , الاصحاح الثامن , ٥ – ٦

١٧٠ سفر الخروج , الاصحاح الاربعون , ١٢ – ١٥

إنّ الفوائد القرآنية تشير الى أن (موسى) كان ثائراً على عبادة الشيطان في البلاد الفرعونية , فمن من اهم الاستدلالات المستفادة من القرآن الكريم , والتي تنتج المفاهيم المهمة في هذا الموضوع , الآية ((وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ على حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هذا مِنْ شِيعَتِهِ وهذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ النبي موسى فقضى عَلَيْهِ قَالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ))[١٧١], والتي تظهر منها فائدتان , اولهما انه كان ل(موسى) قبل النبوة شيعة , بمعنى الانصار لا القوم , مما يدل على توجّه ثوري حمله (موسى) ودعا اليه سرا , ((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ))[١٧٢], وثانيهما ان (موسى) انتصر لأحد انصار فكره , بقتل عدوهما , والقتل لا يجوز الا في مواضع نادرة , وبالتالي فإن سبب القتل كان مهماً وخطيراً , بحيث اجاز ل(موسى) قتل ذلك الرجل الفرعوني , وقد صرّح (موسى) بالسبب , حين قال لهم ((هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)) , والى هنا لا إشكال لدى الناس في عهد الفراعنة , لأن كل شيء كان مسخراً لعبادة الشيطان , ((فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))[١٧٣], لكنّ الإشكال كان عندما اعلن (موسى) حقيقة الشيطان , بقوله ((إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ)) , هنا كانت بداية الثورة الموسوية على قرون من عبادة الشيطان من خلال الديانة الفرعونية . ويعضد كل ذلك ما جاء في الآيات القرآنية من اتخاذ الكثير من البشر عبادة الشيطان عقيدة لهم[١٧٤].

ان قتل (موسى) للرجل الفرعوني كان رفضاً لأعمال السخرة التي استعملها الفراعنة كآلية لإنشاء المعابد الشيطانية , اذ اراد ذلك الرجل تسخير احد المؤمنين بفكر (موسى) الثوري , فقتله (موسى) , لكنّ الملفت أن (موسى) لم يسكت , وقد كان سكوته هو الامر العقلائي وفق الحسابات البشرية العادية , لا سيما انه قتل فرداً من السلطة , وسبب هذه الناطقية من موسى ان فعلته لم تكن شخصية , بل ثورية , فبيّن للناس سبب الفعل , في اول اعلان للثورة , وهو اعلان كان لابد له ان يكون دراماتيكيا , فقال لهم ان ما تقومون به كان من اجل الشيطان , لا من اجل الخالق , حيث كانوا يظنون انهم يعبدون الخالق الحقيقي , عبر طقوس محافلهم الشيطانية , فشرح لهم (موسى) ان هذا المعبود يتعمد اضلالهم ويمكن كشف ذلك بوضوح . من هنا يمكن الاستيقان ان عبادة الفراعنة كانت كما جاء أعلاه , وأن (موسى) كان له من العقل والمنطق ما الهمه الصواب , وعرّفه استحالة ان يكون الخالق بمواصفات الشريعة الفرعونية .

---

[١٧١] سورة القصص ١٥

[١٧٢] سورة القصص ١٤

[١٧٣] سورة الانعام ٤٣

[١٧٤] سورة يس ٦٠ , سورة الزخرف ٦٢ , سورة البقرة ١٦٨ – ١٦٩ , سورة فاطر ٦

لذلك شعر (موسى) بالاسى لكونه في الجانب المظلم , وهو قد تربّى في قصر فرعون , ولما لاحت له انوار المعرفة الإلهية ((قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))[١٧٥], وأخذ عهداً ثورياً ((قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ))[١٧٦], لتبدأ رحلته النورانية الى الجانب الآخر .

وقد وردت عدة تفاسير لهذه الآيات , اراد كتّابها تبرئة ساحة النبي (موسى) , الا انهم لم يدركوا حقيقة ما جرى . ولكن مع ذلك وردت روايات وتفاسير قريبة من المعنى الاقرب للاحتمال الذي ذُكر , لكنها ليست هو , كما في تفسير (الميزان)١٧٧.

وبعد اعلان الثورة تغيّر حال (موسى) ((فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ))[١٧٨]. ثم ان (موسى) توقّع من انصاره الا يعودوا الى موارد الهلكة المادية والمعنوية , لكنه وجد صاحبه السابق ((فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ موسى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ))[١٧٩], فأعاد (موسى) الكَرّة على عدوهما , وهذا دليل انه يعلم بمآل العدو , وانه يجوّز قتله , لاعتقاده بضرره على المجتمع , ولأن صاحبه كان يتأمل منه النفع في تلك الظروف والمرحلة الخطرة , لكن تفاجأ (موسى) بروح جديدة تدخل اعماق النفس الفرعونية ((فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا موسى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ))[١٨٠], هنا ادرك (موسى) انه زرع المصل المضاد لكل ما يجري من الظلم , وأن هؤلاء باتوا في ثنائية اعتقادية , تجمع بين ما ورثوه وبين ما جاء به (موسى) , ليبدأ مفهوم الشك التصحيحي يسري في المجتمع الفرعوني .

فبدأت مرحلة الخروج الموسوي من ظلام المجتمع الفرعوني الى عالم النور , حيث خرج (موسى) من ذلك العالم الفرعوني المظلم بعد ان ((جَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا موسى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ))[١٨١], لكنه لم يجد جوهر ما يبحث عنه عقله بعد , ((فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))[١٨٢], فأخلص وجهه للخالق الحق والربّ الحقيقي ((وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مدين قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ))[١٨٣], فكان عند هذه المرحلة بحاجة الى موجّه

---

[١٧٥] سورة القصص ١٦

[١٧٦] سورة القصص ١٧

١٧٧ الميزان في تفسير القران , محمد حسين الطباطبائي

[١٧٨] سورة القصص ١٨

[١٧٩] سورة القصص ١٨

[١٨٠] سورة القصص ١٩

[١٨١] سورة القصص ٢٠

[١٨٢] سورة القصص ٢١

[١٨٣] سورة القصص ٢٢

ناصح , من الارض التي لازالت تحت تأثير التوحيد الإبراهيمي , فكان في انتظاره في (مدين) شيخ من الأنبياء العرب , بقي (موسى) في داره عدة سنين[١٨٤]. وبعد هذه المرحلة الاجتماعية الإبراهيمية اصبح (موسى) الثائر جاهزاً لدخول عالم النور ((فَلَمَّا قَضَى موسى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ))[١٨٥], فنودي ((مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا موسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ))[١٨٦], لكنّ النبي (موسى) كان بحاجة ليميز مفهوم (الله) , لِما رآه من تلاعب فرعوني في الآيات التكوينية , فجاءه النداء المعرّف ((رَبُّ الْعَالَمِينَ))[١٨٧].

لكن كان مشهد ((وألقِ عصاك فلمّا رآها تهتزّ كأنها جآنٌّ ولّى مدبراً ولم يعقّبْ))[١٨٨]مألوفاً عند النبي (موسى) , حيث يظهر الجن للفراعنة , من خلال طقوسهم . ان التعبير القرآني ((رآها تهتز كأنها جآنٌّ)) , كان دقيقاً جدا , ومتعمداً لتوصيف حقيقة الجن المعتمدة على ظاهرة الموجات وترددداتها الاهتزازية , فهي رسالة للإنسان , اي للمستقبل , وهنا جوهر لعبة الطاقة الشيطانية القائمة اليوم , وهي اساس وجود مستقبلات الطاقة كالأهرامات والمسلّات وغيرها في عدة حضارات وثنية .

وربما خشي النبي (موسى) في نفسه ان يكون داخل العالم الفرعوني حتى الآن , فكان بحاجة الى الطمأنينة الربانية ((يَا موسى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ))[١٨٩], و ((يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون * إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم))[١٩٠].

وفي مرحلة لاحقة في طريق الهجرة سأل النبي (موسى) آخر اسئلته التنويرية الكبرى , فأتاه الجواب ((وَلَمَّا جَاء موسى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ))[١٩١], فأصبح جاهزاً لتلقّي شريعة الربّ , وأن يعلمها قومه في مرحلة لاحقة[١٩٢].

---

[١٨٤] سورة القصص ٢٣ – ٢٨

[١٨٥] سورة القصص ٢٩

[١٨٦] سورة القصص ٣٠

[١٨٧] سورة القصص ٣٠

[١٨٨] سورة القصص ٣١

[١٨٩] سورة القصص ٣١

[١٩٠] سورة النمل ١٠ – ١١

[١٩١] سورة الأعراف ١٤٣

[١٩٢] سورة الأعراف ١٤٥

ولأن الشك هو طريق البحث , بدأ فرعون –مثل أولئك السحرة– يشك بالربّ الخاص به , وصار يتأثر بصورة الله التي طرحها النبي (موسى) , لكنه اختار الطريق الخاطئ للتأكد من (الله) الحقيقي , حيث قال ((فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلّي اطّلع الى اله موسى))[١٩٣], ((يا هامان ابن لي صرحاً لعلّي ابلغ الأسباب))[١٩٤], اذ سلك نفس طرق (كبّالاه) الفيزيائية والكونية للوصول الى الخالق , والتي خدع الشيطان بها آباءه .

وفرعون لم يكن ذلك الساذج , كما تصوّره بعض الكتابات , بل كان يريد المعرفة , لكنه استكبر ان ينزل الى طريق النبي (موسى) الذي جاء من وسط العبيد , فأصرّ على سلوك طريق آبائه في المعرفة , وهو رغم كونه طريقاً علمياً ضخماً جدا , الا انه ببساطة هالة ضخمة من الخداع . ان مقدار المعرفة الذي يمتلكه فرعون كان كبيراً جداً بكل المقاييس البشرية حينذاك , فالله تعالى يقول ((وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى))[١٩٥], ومن رأى الآيات كلها –وهي خارقة للطبيعة المنظورة– كان بالتأكيد يعرف الكثير , لكنّ العقلية التي نشأ عليها فرعون جعلته يظن ان ما يراه هو ذاته ما يمكن ان تحققه له الشياطين , والتي ارته سابقاً الكثير من الآيات الكونية , وراح يعتقد ان ما جاء به النبي (موسى) هو جزء من ذات العالم الذي يتواصل معه الفرعون , فتوجّه الى النبي (موسى) و ((قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا موسى . فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى))[١٩٦].

ولأن الآيات التي يجريها الله على يد اوليائه تكون بداعي الاحتجاج او اثبات الحق , فمنح الله تعالى نبيه (موسى) تلك القدرة على التحكم بالآيات الكونية . وكانت تلك الآيات على قسمين , آيات لفرعون وملئه , وآيات لبني إسرائيل . والقسم الاول كان للاحتجاج على فرعون وقومه , ولإثبات فساد معتقداته , واظهار قدرة الخالق الحقيقي , ولفرز الاوراق بين العوالم المخلوقة , واهلاك من يصر ويعاند تحت راية الباطل . اما القسم الثاني فكان لغسل الذهنية الاسرائيلية , وتنظيفها من رين ودنس الظلمات التي خلّفها تأثير تعاليم (كبّالاه) في عقولهم وثقافتهم .

وقد اختط الله الخالق الباري للبشرية درباً صالحاً موصلاً الى بر الأمان , لكنها ركنت الى السوء , واخلدت الى الأرض , ولم يجد لها عزما , فشرع الرب الخالق –وفق قاعدة الاختيار– منهجاً ثانياً للنجاة , من خلال دعوة الرسل والانبياء . لكن لمّا كانت البشرية في غالبها شهوانية اشترع الله لإنقاذها منهجاً باطنياً , يسير على يد

---

[١٩٣] سورة القصص ٣٨

[١٩٤] سورة غافر ٣٦

[١٩٥] سورة طه ٥٦

[١٩٦] سورة طه ٥٧ – ٥٨

افراد قادرين وكاملين , يصلحون ما تخرّبه اليد البشرية الخاطئة[١٩٧], فكان العبد الصالح (الخضر) من أولئك الافذاذ .

وحين عبر النبي (موسى) خطوط الظلام البشرية واقترب من شجرة النور , ولمّا كان واجبه مواجهة شياطين الفراعنة , ولإزالة "الخوف" عن صدره الطاهر من جرّاء الكم الرهيب لشباك الظلموت حول رقاب البشر , كان لابد من لقائه برجل من اهل الباطن والمعرفة النورانية . فسافر النبي (موسى) على ظهر احدى سفن الفينيقيين هو وفتاه – وصيه (يوشع بن نون)١٩٨ – والتقيا بالعبد الصالح (الخضر)[١٩٩], عند "الصخرة" ٢٠٠, على الساحل الاسباني عند مضيق (جبل طارق) , حيث كانت علامة الوصول رؤية الدلافين قرب الصخرة , بعد جهد ونَصَب . لكنّ الحقيقة التي سعى لها النبي (موسى) كانت تستحق ان يعود على ذات الطريق المنهك بحثاً عن ولي عالم الباطن , الذي اثبت للنبي (موسى) أنّ الله يرى٢٠١.

وهذا العالم المعرفي كان ضرورياً للذهن الموسوي , لأجل المواجهة والخطة النورانية القادمة في مقتبل الأيام . يروي السيد (محمد الحسين الحسيني الطهراني) في كتابه "الروح المجرّد" ما نصه ((لقد سافر المرحوم آية الحقّ والعرفان آية الله الشيخ (محمد جواد الأنصاري الهمداني) أواخر عمره الى باكستان , بالرغم من توارد الضعف الشديد ووهن القلب , وكان ذلك أمراً شاقّاً وعسيراً لعدم توفّر وسائل النقل آنذاك كما هي عليه اليوم . ولم يذكر المرحوم علّة سفره لأحد , فجرى الحديث عن سبب سفره في محافل الأصدقاء ومجالسهم , فكان كلٌّ يتكلم بحدسه وظنّه , حتّى سألتُ عن ذلك يوماً من سماحة السيد (الحدّاد) بعد مرور سنين طويلة وبعد وفاة ذلك المرحوم فقال : إنّ سفر أمثال هؤلاء الأجلاء لا يخلو من احد أمرين : الأول : ان يكون هناك في تلك النواحي والديار عاشق والهٌ ومتحمس ومتحرر , فيكون علاج داء هجرانه في عالم التوحيد على يدي هذا الرجل , فيأمره الله تعالى بالذهاب الى ذلك العاشق للأخذ بيده ومساعدته ومعالجة دائه . والثاني : ان يكون الله قد قدّر , وفق المقدّرات العامة والكلية , إنزال عذاب على تلك النواحي , فيأمر الله عبده هذا بالعبور الى جميع تلك النواحي , ليرفع الله بأثر بركة ورحمة النفس الرحمانية لهذا العبد عذابَه عن أُولَئِك القوم))٢٠٢ .

---

[١٩٧] سورة الكهف ٥٥ – ٥٩

[١٩٨] البداية والنهاية , ابن كثير , دار هجر , ط ١ , ج ٢ , ص ١٧٤

[١٩٩] سورة الكهف ٦٠ – ٨٢

[٢٠٠] التي كانت تُسمّى عند الفينيقيين (calp) او (الصخرة المجوفة) , وهي اليوم (صخرة طارق) , عن كتاب "رحلة مع اللغز القراني" , د. تحفة جعفر , ص ٤٦

[٢٠١] رحلة مع اللغز القرآني , د. تحفة جعفر , مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية : حيث اثبتت هذه القصة القرآنية بأروع ما يكون من صفاء الذهن ونقاوة العلم والتفكر من ص ١٠ الى ص ٤٧ بما لا مزيد عليه من العرض الجديد

[٢٠٢] الروح المجرد / محمد الحسين الحسيني الطهراني / دار المحجة البيضاء

والآيات الربانية التسعة[٢٠٣]التي جرت على يد النبي (موسى) في مجتمع كالمجتمع الفرعوني السحري –القائم على عبادة الشيطان– كان لابد لها ان تكون مناسبة لما يجيده اهل ذلك المجتمع , وهذه سُنّة الله في الآيات الدالة على نبوة المرسلين . ان الآيات الموسوية كانت كلها تتعلق بالمعاجز التكوينية , لذلك يمكن استنتاج ان الفراعنة كانت لهم معرفة واسعة بأسرار الكون والحياة ٢٠٤, من هنا كان يجب ان تكون تلك الآيات كبرى لها قدرة اختراق المعرفة الفرعونية المصرية لتكون حجة . ولقد جاء في الكتاب المقدس عن النبي (موسى) ما نصه ((فتهذّب موسى بكل حكمة المصريين))٢٠٥ .

ومع ان آيات النبي (موسى) كانت كبرى , الا ان فرعون ظن انها نشاطات سحرية , من ذات العالم البُعدي الذي يتواصل معه , لكنه لم يعرفها , فرجّح ظنه , ولم يجزم , ففرعون كان مغيّباً في عالم الظلمات . وفرعون رأى –هو وملؤه– الكثير من العجائب الكونية والتكوينية سابقا بمعونة التعاليم السحرية , فقال فرعون ((إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا موسى مَسْحُورًا))[٢٠٦].

ولاختراق هذا العالم المعقد كان لابد ان يصاحب هذه الآيات سلطان مبين , او حجة إلهية واضحة[٢٠٧]. وكان على النبي (موسى) ان يوضح لهم الفرق وأن يزيل اللبس , فقال انه رسول ربّ العالمين الى الثَّقَلينِ من الجن والانس , وهنا ازال النبي (موسى) الغطاء عن اقدم العقائد في الديانة الفرعونية , فعالم الجن كما ادعى النبي (موسى) الآن ليس الا جزءاً من عدة عوالم اوجدها الرب الخالق[٢٠٨]. الا ان الاستكبار والنظر الدونية –التي اعتمدها الفراعنة للمصلح– جعلتهم لا يتأملون تلك الآيات الكبرى بما تستحق لينقذوا انفسهم وعالمهم[٢٠٩].

وأول تلك الآيات كانت عند ساحة القدس الإلهية , حينما خاطب اللهُ (موسى) وكلّمه تكليما , فمنحه "العصا" , التي باستطاعتها ان تصل بترددتها الاهتزازية الى مستوى اختراق عالم (الجنّ)[٢١٠], وبذلك امتلك النبي (موسى) اولى مفاتيح حل الالغاز الفرعونية الشيطانية . لكنّ دخول ذلك العالم ليس سهلا , والحقيقة ان الانهزام فيه مبني على معادلات الخوف , ففي هذا العالم يشكّل الخوف –بترددته– مصدراً للطاقة عند العدو ,

---

[٢٠٣] سورة الاسراء ١٠١ – ١٠٦

٢٠٤ جاء في (تاريخ مختصر الدول , ج ١ , ص ٢٠) : وزعم المعنيون بتعريف طبقات الأمم انه كان بمصر بعد الطوفان علماء بضروب علوم الفلسفة من الرياضية والطبيعية والالهية وخاصة بعلم الكيمياء والطلسمات والنيرنجيات والمراءي المحرقة .

٢٠٥ اعمال الرسل , الاصحاح السابع , ٢٢

[٢٠٦] سورة الاسراء ١٠١

[٢٠٧] سورة المؤمنون ٤٥ , سورة هود ٩٦

[٢٠٨] سورة الزخرف ٤٦

[٢٠٩] سورة يونس ٧٥ , سورة الأعراف ١٠٣

[٢١٠] سورة النمل ١٠

فأخبر اللهُ رسولَه (موسى) بحقيقة هذه المعادلة الفيزيائية الكونية[٢١١]. وكيف لا يخاف النبي (موسى) في بحر العجائب هذا وعالم اختلاط الاوراق , فاخبره الله ألا يخاف لكي يكون من الآمنين[٢١٢]. وكانت تلك العصا الربانية تقنية كافية للقضاء على الكم السحري الضخم من العجائب الكونية والتكوينية التي امتلكها الفراعنة وسَحَرتهم قبله[٢١٣].

ثم تلتها آية "اليد البيضاء"[٢١٤]. ومن بعدها اتت آيات الإهلاك , كطمس الأموال والطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم ونقص الثمرات لسنين طويلة نسبيا[٢١٥], لا سيما ان شعار المجتمع الفرعوني كان يشيع انهم المجتمع الاغنى بفضل الالهة التي عبدوها . وأراد النبي (موسى) نصحهم وأعادتهم الى الله كثيراً ببيان أن هذه الآيات لفتح بصيرتهم المغلقة قبل أن تهلك الحزب الفرعوني[٢١٦], لكن ((فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين))[٢١٧].

ان الآيات القرآنية[٢١٨]تضمنت جملة اشارات حول عالم الجن , حيث ان لدى هذا النفر من الجن ذاكرة معينة , جعلتهم مستثارين عند سماعهم القرآن الكريم , الى درجة الانصات , وأن هؤلاء النفر تأثروا كثيرا بما استمعوا اليه من القرآن , بحيث اصبحوا دعاة لدين الاسلام المحمدي في قومهم عندما رجعوا اليهم , وقالوا لهم انهم سمعوا كتاباً أُنزل من بعد النبي (موسى) , فيما كان بين النبي (موسى) والنبي الخاتم (محمد) نبوة ورسالة المسيح (عيسى) , مما يشير ربما الى ان آخر تواصل مباشر لهم مع الارض كان في زمان النبي (موسى) , او أن للأنبياء (محمد) و (موسى) قدرة تواصل خاصة مع العوالم الأخرى , لم تكن معطاة للنبي (عيسى) , لا لنقص فيه , بل لاختلاف وظيفته عن النبيينِ (موسى) و (محمد) , وأن هؤلاء النفر ادركوا ان ما جاء في القرآن الكريم يوافق الطريق المستقيم , ويهدي الى الحق , مما يشير الى كونهم من العلماء في قومهم , وممن له معرفة بالأديان ورسالات السماء , او انهم من اصحاب العقول السامية في قومهم , وأنهم حددوا مفهوم "الله" لقومهم بنحو مباشر من الربوبية والخالقية والحاكمية .

---

[٢١١] سورة النمل ١٠

[٢١٢] سورة القصص ٣١

[٢١٣] سورة طه ١٧ – ٢١ , سورة الأعراف ١١٧ , سورة طه ٦٩ , سورة الشعراء ٤٥

[٢١٤] سورة الأعراف ١٠٨ , سورة الشعراء ٣٣ , سورة القصص ٣٢ , سورة طه ٢٢

[٢١٥] سورة يونس ٨٨ , سورة الأعراف ١٣٣ , سورة الأعراف ١٣٠

[٢١٦] سورة الاسراء ١٠٢

[٢١٧] سورة النمل ١٣ – ١٤

[٢١٨] سورة الاحقاف ٢٩ – ٣٢

من هذه النقاط الخمس , وبعد جمعها مع الآيات القرآنية الدالة على المعتقدات الدينية لعالم الجن[٢١٩], يظهر جلياً ان النبي (موسى) هو من نقل الجن من الديانة التي خدعهم واغراهم بها "سفيههم" , حينما كان يقول على الله "شططا" , بزعمه انّ لله "صاحبة" و"ولدا" , الى معرفة الله وعبادته , وبالتالي ارسى المعرفة الاولية اللازمة لقبول الديانة المحمدية الاسلامية , ضمن عالم الجن .

وهنا يأتي دور القسم الثاني من الآيات الربانية , والتي تختص ببني اسرائيل , وهي لازمة لإخراجهم من عالم الظلمات الى عالم النور[٢٢٠]. حيث ان اخراج بني اسرائيل كان يحتاج الى آيات القدرة الربانية , لأنه لم يكن اخراجاً عسكرياً ديموغرافياً فقط , بل كان اخراجاً من عالم الظلمات الشيطانية الى عالم النور الإلهي , فكانوا يرون المعجزات الإلهية على يد الأنبياء , بأعينهم التي أضعفت بصيرتها تعاليم الفراعنة , وهي آيات عظيمة كانشقاق البحر ونجاتهم من الجيش العظيم لفرعون وغرق ذلك الجيش واتضاح ضلال فرعون ونزول المنّ والسلوى والطيبات , ثم توبة الله عليهم , الا انها التوبة التي تسبق اللعنة لو اصرّ بنو إسرائيل على الضلال بعد كل ذلك[٢٢١]. وأورث الله الأرض لمؤمني بني إسرائيل[٢٢٢], وصارت لهم بداية دولة .

وقد استنقذ النبي (موسى) بني اسرائيل , وعددهم حينئذ اكثر من ٦٠٠ الف انساناً ٢٢٣ , وعبر بهم البحر بآية كبرى , شقّ بها البحر , ويُلاحظ ان كل آيات النبي (موسى) كونية كبرى , تدل على تصرف تكويني , لكن رغم كل ذلك , فالنبي (موسى) كان قد استنقذ مجتمعا تتغلغل (كبّالاه) في اوصال الكثير من افراده , لكنه ظل يحوي رجالاً مخلصين افذاذاً مثل (يوشع بن نون) وصي النبي (موسى) وخليفته . ((متى دخلتَ الأرض التي يعطيك الربُّ إلهك , لا تتعلّم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم . لا يوجد فيك من يُجيز ابنه أو ابنته في النار , ولا من يعرف عِرافة , ولا عائف , ولا متفائل , ولا ساحر , ولا من يرقي رقية , ولا من يسأل جانّاً , أو تابعة , ولا من يستشير الموتى))٢٢٤ .

وقد دخل بنو إسرائيل في تيه فكري قبل التيه المادي , بل ان هذا التيه الفكري هو ما نقلهم الى التيه الفكري , فكانوا يحنّون الى انحرافهم السابق , وكذلك يعيشون الاهتزاز العقائدي , الذي خلّفه التأثير الفرعوني فيهم ,

---

[٢١٩] سورة الجن ١ – ٥

[٢٢٠] سورة إبراهيم ٥

[٢٢١] سورة طه ٧٧ – ٨٢

[٢٢٢] سورة الشعراء ٥٩

٢٢٣ موسوعة الأديان , وقد اعترض صاحب الموسوعة (علوي بن عبد القادر السقاف) على الرقم واعتبره مبالغاً فيه . فيما اثبت (احمد سوسة) في كتابه (العرب واليهود في التاريخ , ص ٢٨٤ – ٢٨٥) ان المهاجرين بنحو هذا العدد من مصر كانوا هم (العبيرو = الهكسوس) بعد مواجهة عسكرية مع الجيش المصري الفرعوني في منطقة (افاريس) .

٢٢٤ سفر التثنية , الاصحاح الثامن عشر , ٩ – ١١

فصاروا لا يهتمون للأوامر الالهية , لأنهم بدأوا يشكّون بمفهوم الربّ الموسوي كليّا , فكانوا في مرحلة تقلقل , اتاحت لهم التلاعب بالكلام مع النبي (موسى) , مع ما له من الهيبة , فادّعوا انهم يريدون استبدال الطعام الذي اهداهم الله , لكنهم غفلوا انهم انما اختاروا ما هو ادنى من الناحية المادية والمعنوية , فأجابهم النبي (موسى) –بعد ان انهار النظام الفرعوني تقريبا– اهبطوا الى مصر , وهو هنا اما يقصد بلاد مصر , أو انه يقصد بالمِصر المدن كما هو مستخدم في لغة العرب , ليكون في كلا الحالتين خاضعين لغيرهم , فاقدين لنعمة النقاء المعرفي , مما تسبب بغضب الله عليهم . وقد صاروا ربما يبحثون في بقايا الطقوس والمعتقدات الفرعونية .

ان سماح النبي (موسى) لهم بالهبوط الى مصر كان ممكناً بعد ان اراهم حقيقة الطريقين , الإلهي والشيطاني , وترك لهم الاختيار , فمهمته كانت تتلخص في ذلك[٢٢٥].

لقد كان بنو اسرائيل بحاجة الى مشاهد اعجازية ضخمة تثبت لهم ان قدرات النبي (موسى) تتفوق على سحر الفراعنة , فيؤمن الصالح منهم بنبوته , ويخشاه غير الصالح فيرتدع عن اتيان المنكر . وكانت من هذه المشاهد الضخمة –التي هالت المجتمع الاسرائيلي وأبهرته وجعلته مستعداً ومهيأً نفسياً– معجزة انشقاق البحر الكبير[٢٢٦], وانفجار اثنتي عشر عين ماء , بعدد أسباط بني اسرائيل[٢٢٧], والغمام وطعام المنّ والسلوى[٢٢٨], ورفع الطور او الجبل فوقهم[٢٢٩], والصاعقة التي أصابتهم بعد أن تسببت رواسبهم الفرعونية في أن يطلبوا رؤية الله[٢٣٠], ورغم تلك الصاعقة التي أرادت تربيتهم اتخذوا "العِجل" إلها[٢٣١], وربما يكون هذا الإصرار على عبادة "العِجل" هو السبب في أن يطلب منهم الله "ذبح بقرة" , كي يثبت لهم بدرس عملي ضعف هذا المخلوق أمامهم وخضوعه لهم , لكنهم أثبتوا بعد أن طلب منهم النبي (موسى) ذبح البقرة أنهم في تيه منقطع النظير[٢٣٢].

لكنّ بني اسرائيل رغم ما شاهدوه من آيات كبرى , لم يكونوا على قدر المسؤولية , فعندما فارقهم النبي (موسى) لياليٍ معدودة عبدوا عجلاً مصنوعاً له خوار , بعد أن أضلهم احد المنحرفين عن الدين (السامري) ,

---

[٢٢٥] سورة البقرة ٦١

[٢٢٦] سورة الشعراء ٦٣

[٢٢٧] سورة البقرة ٦٠

[٢٢٨] سورة الأعراف ١٦٠

[٢٢٩] سورة البقرة ٦٣ , سورة البقرة ١٧١

[٢٣٠] سورة البقرة ٥٥

[٢٣١] سورة النساء ١٥٣

[٢٣٢] سورة البقرة ٦٧ – ٧٣

رغم وجود النبي(هارون) اخي النبي (موسى) بينهم , وهو ما يكشف مستوى الانحدار الذي أصابهم خلال فترة الاستعباد الفرعوني لهم , بحيث أن وجود نبي من العائلة الموسوية لم يكن يكفي لصدهم عن خزعبلات ضالٍ من أصحاب الوجاهة الاجتماعية او الدينية سابقاً كما يكشف خطاب النبي (موسى) الرقيق له[٢٣٣]. وكما هو واضح من الطلبات التي ذكرها القرآن الكريم[٢٣٤] –على لسان اليهود للنبي (موسى) عند الخروج الكبير من مصر– انهم بدأوا حينها عصر الوثنية المركّبة المعقدة , تلك الممزوجة بعقائد توحيدية , في اضطراب فكري واضح , لذلك اتخذوا "العِجل" –الذي هو العجل (أبيس) الفرعوني– إلهاً بمجرّد عبورهم من مصر وغياب النبي (موسى) ليالٍ معدودة , رغم رؤيتهم لمعجزة شقّ البحر .

والعِجل ظلّ على الدوام الرابط بين الديانات الثلاث , الفرعونية واليهودية والرومانية , حيث يوجد في المتحف البريطاني نقشٌ يعود لعام ٢٩٥ م , في فترة حكم (ماكسميانوس) و (فاليريوس) , يمثّل الإمبراطور وهو يقدّم القرابين للعجل (بوخيس) . وفي حدود عام ٥١٥ ق م كان لليهود معبد في (الفنتين) , يتم فيه تقديس الآلهة (عنات) والآلهة (اشيما) , الى جانب المعبود (يهوه) .

والظاهر من هذا التسلسل في اضطراب التاريخ انّ اليهود وصلوا الى مرحلة ضبابية خطيرة , تغلغل فيه السِحر الى ساحة المعتقدات الدينية , فصار هناك خلط لدى نسبة معتد بها من الناس[٢٣٥]. وراح اليهود لا يميّزون بين ميتافيزيقيا فرعون و بين عالم الجبروت[٢٣٦], بل انّ الفكرة انتشرت على انحرافها[٢٣٧]. لكنّ بني اسرائيل مع ذلك لم يكونوا جميعاً كافرين , كما يظهر من السرد التاريخي , وهذا ما يكشفه الاضطراب في مواقفهم ايضا[٢٣٨].

ومن هنا كان من الطبيعي رؤية بني اسرائيل وهم يتهمون الأنبياء بأنّهم سحرة , حيث صار هؤلاء اليهود يفكّرون بالعقل الفرعوني , الذي يخلط بين التلاعب الفيزيائي الذي تُحدثه الكائنات الغير منظورة , وبين قدرة الخالق التي تجري على يد أنبيائه , كما اعتمد فرعون ذات الآليات الباطنية المقترنة بالهندسة للبحث في امر إله النبي (موسى) , بسبب الاختلاط الفكري لديه , غافلاً عن المعنى اللامادي للخالق[٢٣٩]. وهذه النظرة المادية

---

[٢٣٣] سورة طه ٨٣ – ٩٨

[٢٣٤] سورة الأعراف ١٣٨

[٢٣٥] سورة القصص ٤٨

[٢٣٦] سورة الصف ٦١

[٢٣٧] سورة الاحقاف ٧

[٢٣٨] سورة المائدة ١١٠

[٢٣٩] سورة غافر ٤٠

للماورائيات , والتي يمكن تسميتها "الميتافيزيقيا الجديدة" , او "الميتافيزيقيا الفرعونية" , صارت هي خلاصة العقل الكهنوتي للمجتمع اليهودي , لا سيما بعد سرقة هذا الكهنوت من الباطنيين الفراعنة .

لقد كان من الضروري الإعجاز الالهي في إيجاد المسيح (عيسى بن مريم) , كما هي ضرورة نسبه الشريف في بني اسرائيل , وكذلك الآيات الكبرى على يديه , من حيث القدرة على الإحياء والمعرفة بإذن الله , بعد هذا الاضطراب الذي عاشه المجتمع الاسرائيلي[٢٤٠]. انّ هذه الآيات الواضحة الإعجاز على يد عيسى المسيح – فضلاً عن ولادته الإعجازية ايضا– تكشف عن العمق الذي تغلغل اليه السحر في مجتمع كهنوت بني اسرائيل , والمدى الذي اتقن معه اليهود علوم السحر , وكيف انهم طوَّروا المنظومة الفرعونية , فقرابينهم الوثنية كانت كبيرة معنويا[٢٤١].

وهذا التخبُّط الفكري هو ما يفسّر عودة بعض بني اسرائيل لعبادة الأصنام عند وفاة (يوشع بن نُون) وصيّ النبي (موسى)٢٤٢, وكذلك هو ما يشرح إقامة مملكة اسرائيل الأصنام في هياكلها وعبادتها عند وفاة النبي (سليمان) , حيث انقسمت مملكته الى قسمين ٢٤٣, شمالي (اسرائيل) , فيها عشرة أسباط , بقيادة (يربعام بن ناباط) , وجنوبي (يهودا) , فيها سبطا (يهوذا) و (بنيامين) , بقيادة (رحبعام بن سليمان) . ومملكة (اسرائيل) بقيادة (يربعام) هي من أصبحت وثنية وعبدت العجل مرة أخرى٢٤٤, حتى نشب القتال بين القسمين .

ومن خلال الفوائد القرآنية بخصوص ذكر (السامري) يُستشفّ عدة أمور , الامر الاول أن لفظة (السامري) لم ترد الا في سورة طه[٢٤٥], وهي سورة تتحدث في العلوم العرفانية والقدرات النفسية والآيات التكوينية , والامر الثاني ان الصيغ التي تحدثت بها الآيات القرآنية عن (السامري) –وفي كل الخطابات– تشير الى انه كان شخصية معروفة , ولا يُستبعد ان تكون موثوقة , والامر الثالث ان (السامري) بصر بما لم يبصر به القوم , واخذ قبضة من اثر الرسول الذي لا يشرح القرآن الكريم ماهيته , مما يشير الى أن قدرات (السامري) المعرفية والروحية كانت عالية , والامر الرابع ان خطاب النبي (موسى) مع (السامري) –الذي اضلّ بني اسرائيل– كان خطاباً مرناً وأرقّ من خطابه مع أخيه النبي (هارون)[٢٤٦], والامر الخامس ان عقوبة (السامري) كانت مشابهة

---

[٢٤٠] سورة آل عمران ٤٩

[٢٤١] سورة المائدة ٧٠

٢٤٢ سفر القضاة , الاصحاح الثاني ,١١ – ١٢ , حيث عبدوا (البعليم) وتركوا الرب اله ابائهم !

٢٤٣ العرب واليهود في التاريخ , ص ٣٠٢

٢٤٤ العرب واليهود في التاريخ , ص ٣١٨

[٢٤٥] سورة طه ٨٥ و ٨٧ و ٩٥–٩٨

[٢٤٦] سورة طه ٩٤

لعقوبة (ابليس) , بالإمهال وأن يقول "لا مِساسَ" , كما تم تدمير إلهه "العِجل" أمام عينه , مما يعني أن النبي (موسى) أراد إزالة اللبس عن ذهنه بالإضافة الى أذهان بني إسرائيل[٢٤٧]. كل هذه الامور تدفع للاعتقاد بأن (السامري) كان احدى الشخصيات الدينية المهمة في المجتمع الاسرائيلي , وأنه كان متعبداً فيهم , وكان له فضل من نوع ما في انتشار الدعوة الموسوية التوحيدية , لكنه ضلّ , وكانت عاقبته الخسران المبين .

وطيلة الفترة الموسوية ظل بنو اسرائيل على تقلقلهم وتزعزع مفهوم الدين الإبراهيمي في اذهانهم , نتيجة التأثر بالفترة الفرعونية الشيطانية[٢٤٨], فعانى النبي (موسى) منهم كثيرا , لذلك كانوا بحاجة الى فترة زمنية لإعادة ترتيب اوراقهم الاعتقادية , واعادة الترتيب تصاحبها الصدمات والهزات التي توقظهم[٢٤٩]. ونتيجة الممانعة والعصيان الاسرائيليينِ كان بدء التيه هو العقاب الإلهي لبني إسرائيل , فظلّوا في التيه أربعين عاما , حتى يتغيّر جيل التمرد والرفض إلى جيل طاعة أوامر أولي الأمر من الصالحين .

إن التراث الديني لبني إسرائيل مشبع بالأدلّة التي لا تقبل الشك على أن الذين رافقوا النبي (موسى) في طريق الهجرة لم يكونوا –غالباً– أكفّاء لحمل عبء التوحيد وفلسفته التجريدية الرفيعة , ولم يجدوا فيما تقدّمه الديانة الجديدة ما يشبع احتياجاتهم إلى الاعتبارات المادية.

ان الله تعالى اوضح حقيقة ان هذا الجيل الاسرائيلي الفرعوني لا يمكن له ان يحمل رسالة الرب , فهم غير واثقين بالله[٢٥٠], لأنهم لا يزالون لا يعرفون الربّ الحقيقي ولازالوا يشكون في اله النبي (موسى) . لكن كان هناك استثناء , هو الذي ابقى رحمة الرب واختياره لهم , انهم المؤمنون من بني إسرائيل , مثل (كالب بن يفنة) و (يوشع بن نون)٢٥١, وبالتالي فغضب الله لا يشمل الجيل اللاحق , الذي ستكون راية التوحيد معقودة بيده٢٥٢, وفعلاً بعد مرور قرون تالية كان عديدون من بني إسرائيل يبغضون (هيرودس الادومي) والي الرومان على فلسطين حتى عام ٤ قبل الميلاد , لأنه عمل على نشر الاصنام والوثنية الرومانية٢٥٣, رغم انخراط آخرين من بني إسرائيل في السلك الوثني الروماني ومشاركتهم في محاكمة المسيح الظالمة .

---

[٢٤٧] سورة طه ٩٧

[٢٤٨] القرآن الكريم : سورة المائدة ٢٠ – ٢٦ , الكتاب المقدس : سِفر العدد ١٣ و ١٤

[٢٤٩] القرآن الكريم : سورة الأعراف ١٥٩ – ١٦٣ , الكتاب المقدس : سِفر حزقيال ٢٠ : ٣٣ – ٣٦

[٢٥٠] سِفر التثنية ١ : ٣٠ – ٣٥

[٢٥١] *سفر التثنية ١ : ٣٦ – ٣٨*

[٢٥٢] *سفر التثنية ١ : ٣٩ – ٤٠*

[٢٥٣] *العرب واليهود في التاريخ , ص ٣٢٥*

انّ مهمة النبي (موسى) الاساسية كانت تتلخص في امرين , الأول استنقاذ المجتمع الايماني الاسرائيلي , باعتباره المجتمع الذي يحمل الراية الايمانية حتى تلك اللحظة , والثاني تبليغ الشريعة الالهية المفصلة , والتي تتناسب مع التطور البشري المعاصر لها , على خلاف شريعة إبراهيم التي ناسبت عصرها , ((وَابْتَدَأَ موسى فِي أَرْضِ مُوآبَ شَرْقِيَّ نَهْرِ الأُرْدُنِّ يَشْرَحُ الشَّرِيعَةَ))٢٥٤. وقد قضى النبي (موسى) فترة طويلة جداً من السنين يبيّن لبني إسرائيل مَن هو الربّ , وربما كانت هذه الفترة وهذا الحال الموسوي في البيان هما محور "سِفر التثنية" كله من الكتاب المقدس . وكانت وفاة النبي (هارون)٢٥٥والنبي (موسى)٢٥٦قبل دخول الارض المقدسة , في طريق الهجرة . ((وَمَاتَ موسى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ بِمُوْجِبِ قَوْلِ الرَّبِّ. وَدَفَنَهُ فِي الْوَادِي فِي أَرْضِ مُوآبَ, مُقَابِلَ بَيْتِ فَغُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. وَكَانَ موسى قَدْ بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ, لَمْ يَكِلَّ بَصَرُهُ وَلاَ غَاضَتْ نَضَارَتُهُ. وَنَاحَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى موسى فِي سُهُولِ مُوآبَ طَوَالَ ثَلاَثِينَ يَوْماً))[٢٥٧].

وكان للنبي (موسى) وصي هو (يوشع بن نون) , اذ أورد (ابن العبري) أن (يوشع بن نون) كان وصي النبي (موسى) بأمر إلهي واضح , بعد أن امتلأ (يوشع) بالحكمة حين حظي برعاية خاصة من النبي (موسى) , لأن الله علم من بني اسرائيل الضلال والانحراف بعد وفاة النبي (موسى)٢٥٨. وهو ما يحتج به المسلمون الشيعة في إثبات وجوب الوصية ل(علي بن ابي طالب) عن طريق الوحي الإلهي الى النبي (محمد) , او على الأقل رجحانها في سيرة الأنبياء .

وقد ترك النبي (موسى) وصيه (يوشع بن نون) في بني اسرائيل٢٥٩, او (يَشُوعُ بْنُ نُونٍ) عند المسيحيين , أو (يُوشَعُ بْنُ نُونٍ) عند المسلمين , فقادهم الى الارض المقدسة . اذ بعد وفاة النبي (موسى) تسلّم (يشوع) زمام قيادة الأُمة , وأصبح قائداً لبني إسرائيل طوال الحقبة التي تم فيها الاستيلاء على معظم أرض كنعان . فاستطاع (يشوع) وهو ما زال في سهل (موآب) أَن يجند قواته ويجهزها وينظمها لخوض المعارك التي اشتدت بعد أن اجتاز نهر الأُردن . فقد نشبت عدة معارك بقيادة (يوشع) , في الشمال والوسط والجنوب , أسفرت كلها

---

٢٥٤ *سفر التثنية ١ : ٥*

٢٥٥ *سفر العدد ٢٠ : ٢٩*

٢٥٦ *سفر التثنية ٣٤ : ٥*

[٢٥٧] سِفر التثنية ٣٤

٢٥٨ *تاريخ مختصر الدول , ابن العبري , ترجمة موسى*

٢٥٩ *سفر التثنية ٣٤ : ١٤*

عن انتصاره٢٦٠, وقد ورد وصف هذه المعارك بصورة إجمالية . وما لبث بعد هذه المعارك الأولية أن قسّم الأرض بين مختلف اَسباط بني إسرائيل٢٦١, و ألقى كلمة فيهم حثّهم فيها على المثابرة على طاعة الله٢٦٢.

ولأن بني اسرائيل كانوا يقضون فترة العقوبة الالهية لعصيانهم أوامر الرب ايام النبي (موسى) , كان (يوشع) هو الذي أخرج بني إسرائيل من التيه ودخل بهم الى بيت المقدس .

ومقتضى مفهوم "الوصاية" عند الله هو ذاته الذي يطرحه المسلمون الشيعة الإمامية اليوم , فالوصي عن احد الانبياء يجب ان يكون بالمستوى الديني والنفسي والجسدي اللائق , من هنا كان اختيار النبي (موسى) ل(يوشع) وصياً تنفيذاً لإرادة ربانية , لا رغبة شخصية للنبي (موسى) , ولم يترك الله هذا الامر الى الجمهور من بني اسرائيل , الذين اثبتوا انهم يحتاجون الى قيّم دائم على سلوكهم . لذلك خاطب الرب (يوشع) بأنه معه كما كان مع النبي (موسى) , وترك اليه قسمة الأرض , وتنفيذ الشريعة بشجاعة٢٦٣.

ان (يوشع) كان للنبي (موسى) كالظل يخدمه ويتعلم منه , فأخذ عنه علوم الشريعة وخبرة القيادة في ذلك المعترك الصعب من تاريخ التوحيد . وربما يكون هو من اشار اليه القرآن الكريم في قصة النبي (موسى) مع الحوت٢٦٤, كذلك ذكره الكتاب المقدس مرات عديدة , ومنها : (فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكارا في الكتاب وضعه في مسامع يشوع)[٢٦٥], (فقال الرب لموسى خذ يشوع بن نون رجلاً فيه روح وضع يدك عليه)[٢٦٦], (ففعل موسى كما امره الرب. اخذ يشوع واوقفه قدام العازار الكاهن وقدام كل الجماعة)[٢٦٧], الخ من آيات عديدة ذكرت (يوشع) . والنص الأخير هو ذاته ما فعله رسول الله (محمد) مع (علي بن ابي طالب) يوم غدير (خم) .

لقد كان ل(يوشع بن نون) الاثر الكبير في انتقال بني اسرائيل من عصر التيه الى عصر معرفة الرب , ويبدو جلياً ان النبي (موسى) كان يدرك ان وظيفته تقتصر على نقل بني اسرائيل من عصر الاستعباد والانخداع الى عصر التيه , والتيه كان ضرورياً كفترة زمنية يتم خلالها سحق الصور المنحرفة التي جاء بها العقل الاسرائيلي من الممارسات الفرعونية . لذلك قام النبي (موسى) بأمر الله على تهيئة وصيه (يوشع بن نون) ,

---

٢٦٠ *سفر يشوع ١١ : ١٦*

٢٦١ *سفر يشوع ١١ : ٢٣*

٢٦٢ *سفر يشوع ٢٤*

٢٦٣ *سفر يشوع ١ : ٥ – ٩*

٢٦٤ *سورة الكهف , ٦٢*

[٢٦٥] خروج ١٧: ١٤

[٢٦٦] عدد ٢٧: ١٨

[٢٦٧] عدد ٢٧: ٢٢

الذي تمتع بالصفات المناسبة للقيادة , والتي تم صقلها , فادّى (يوشع) مهمته الربانية احسن الاداء , وهزم الاقوام الوثنية من العماليق والكنعانيين , وقسم الارض بين اسباط بني اسرائيل , ونظّم مجتمعهم ووضع اسس قيام الدولة التوحيدية الاولى[٢٦٨].

وهناك رأي آخر يقول بأن دخول الاسرائيليين الى ارض كنعان كان على فترات زمنية متباعدة نسبيا , وأن دور (يوشع) كان يقوم على اعادة هيكلة المجتمع الاسرائيلي فقط , وبالتالي كان سبب استيطان ارض كنعان هي الهجرة القبلية والازاحة السكانية ٢٦٩.

وقضية النبي (موسى) وآياته وقصة بني اسرائيل تركت المجتمع الفرعوني منهاراً ومتزعزعا , لاسيما بعد غرق الفرعون , فكان على الشيطان ان يجد في بني اسرائيل من يفتح مشروعاً جديدا , لترميم المجتمع الشيطاني الفرعوني , ويضرب عصفورين بحجر واحد , يهدم المجتمع الايماني الاسرائيلي , أي استغلال الدِين لضرب الدِين , ويرمم المشروع الشيطاني . فكانت فرصة ذهبية للشياطين , وكذلك هي فرصة ذهبية للطامحين من منحرفي بني اسرائيل , بمعنى المنفعة المتبادلة بين عالمينِ ظلاميينِ , ساعد على ذلك رحيل الشخصيات القوية والمركزية مثل النبي (موسى) والنبي (هارون) والوصي (يوشع) .

وانتقلت قيادة بني اسرائيل بعد النبي (موسى) الى فترة القضاة والملوك , فبعد وفاة (يوشع بن نون) انقسم بنو إسرائيل إلى قبائل عدة , وكان حكّامهم يسمون القضاة . وقد انتشرت بينهم الحروب والنزاعات , كما حدثت هزائم كبيرة لليهود , وسُلب منهم التابوت٢٧٠, وفيه عصا النبي (موسى) والألواح الأصلية للتوراة٢٧١, وملابس النبي (موسى) وآثار من النبي (هارون) . وينتهي هذا العصر بآخر القضاة وهو النبي (صموئيل) ,

---

[٢٦٨] سِفر القضاة ٢ : ٧

٢٦٩ اورشليم واليهودية ومسألة الهيكل , الباحث : فراس السواح , محاضرة منشورة الكترونياً

٢٧٠ العرب واليهود في التاريخ , احمد سوسة , ص ٢٩٢ – ٢٩٣

٢٧١ سفر التثنية ٣١ : ٢٥ – ٢٦

الذي طلب منه بنو إسرائيل أن يختار لهم ملكاً يوحد صفوفهم ويقاتلون خلفه[٢٧٢], فبعث الله لهم الملك (شاؤول)[٢٧٣], وهو أول ملوك القبائل العبرانية.

ويستخدم اليهود مصطلح "شوفيط = قاضٍ" للإشارة الى معنيين[٢٧٤], العام الذي يحكم في قضايا الناس , كحال الأنبياء وأوصيائهم , والخاص الذي يشير الى زعماء العشائر اليهودية الذين بلغوا مرتبة عالية من السلطتين الدينية والدنيوية . وهذا ما نقلته بعض المصادر , لكنّ هناك معنى آخر اسمى لمصطلح "القضاة" في المجتمع الاسرائيلي , ملخصه الجمع بين النبوة والحكم والقضاء بين الناس , أي الفصل , وهي الحالة التي كانت ضرورية لإدارة مجتمع بهذا التعقيد الفكري والاجتماعي , كما انها كانت مهمة ايضا لاستنقاذ الاسرائيليين من سطوة الاحداث والمآسي والغزوات المحيطة بهم .

اما المملكة فأسسها (شاؤول = طالوت) , وسُمِّيت مملكة إسرائيل , لكنّ الفضل الحقيقي في تأسيس المملكة يعود إلى (داوود) ٢٧٥. و (طالوت) هو الذي اوصى اليه بالمُلك القاضي النبي (صموئيل)[٢٧٦]. لكنّ بني اسرائيل –كعادتهم المادية وتذمرهم– رفضوا ان يكون (طالوت) ملكاً عليهم[٢٧٧], فأوضح لهم النبيّ أن المُلك ليس بالعشيرة ولا بالمال , ووضع لهم القاعدة الكلية للحاكم الصحيح , بأن يتمتع بصفات وخصائص الاصطفاء الإلهي والعِلم والصحة النفسية والجسمية[٢٧٨]. كما ان مُلك (طالوت) كان مصحوباً بآية ربانية , كانت ضرورية لمثل الثقافة الاسرائيلية في فترة ما بعد الخروج من مصر , وكانت تلك الآية عودة التابوت والسكينة ومواريث آل النبي (موسى) وآل (هارون) , من خلال آلية كونية تنسجم مع قوانين الكون[٢٧٩].

وضمن جيش (طالوت) المؤمن استطاع (داوود) قتل الزعيم الوثني (جالوت = جليات) , وهو شاب[٢٨٠], وصار ملكاً عليهم , وحكم فيهم بشرع الله في توراة النبي (موسى) , وظهرت على يديه المعجزات المتتاليات , منها تسبيح الجبال والطيور معه عندما كان يقرأ كتب المزامير التي أنزلت عليه[٢٨١]. ودعم (داوود) اتحاد

---

٢٧٢ صموئيل , ٨ : ٤ – ٥ ,, القران الكريم , سورة البقرة ٢٤٦

٢٧٣ صموئيل ٩ : ١٧

[٢٧٤] انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية , د. عبد الوهاب المسيري

٢٧٥ العرب واليهود في التاريخ , ص ٢٩٦

[٢٧٦] سورة البقرة ٢٤٧

[٢٧٧] سورة البقرة ٢٤٧

[٢٧٨] سورة البقرة ٢٤٨

[٢٧٩] سورة البقرة ٢٤٨

٢٨٠ صموئيل ١٧ : ٥٠

[٢٨١] سورة البقرة ٢٥١

القبائل , وحوّلها إلى مملكة متحدة , ووسّع حدود مملكته , وهزم المؤابيين والعمونيين والأدوميين , وقد خلفه ابنه (سليمان) في حكمها[٢٨٢].

واستمر النظام القبلي هو السائد في مجتمع بني إسرائيل طيلة فترة حكم القضاة , ثم توحدت تلك القبائل في ظل نظام اكثر مدنية وتقارباً على يد الأنبياء (داوود) و(سليمان) , ثم انقسمت مملكتهم بعد رحيلهم , شمالية باسم (إسرائيل) تضم القبائل العشر , وجنوبية باسم مملكة (يهودا) تضم قبيلتي (يهودا , بنيامين) , وكان النزاع والتصارع وعدم التكاتف موجوداً بين جميع تلك القبائل , بل كانت حتى لهجاتهم مختلفة , واغلب حروبهم الداخلية على النفوذ[٢٨٣]. ويبدو ان هذه القبائل كانت تتأثر بالبيئة الخارجية المحيطة بها في طريقة الحياة[٢٨٤]. بل ان اقوى تلك القبائل منفردة (افرايم) كانت تسكن الى جانب العموريين (العماليق) , وكانت باقي القبائل مشتتة في مساكنها[٢٨٥].

في هذه الفترة من تاريخ بني اسرائيل , ورغم ما أنعم الله عليهم من القيادات الصالحة ورغم الرعاية الخاصة لهم , الا ان اغلبهم اظهروا من المفاسد والمنكرات ما تناقلته الكتب المقدسة المختلفة , حتى اصبحوا مصدراً كبيراً للشرور على الارض , فكان من الضروري ان تتم تصفية هذا المجتمع المنحرف , مع ابقاء امكانية توبته , فكانت مهمة النبي (سليمان) المزدوجة هي ابقاء باب التوبة والاصلاح , وكذلك سلب الراية الايمانية التوحيدية من ايديهم وتحويلها الى المجتمع البديل الذي خطط النبي إبراهيم له من قبل .

فظهرت الثنائية الكهنوتية الإسرائيلية بعد خروج اليهود من فلسطين , وهي الثنائية الاعتقادية والاجتماعية , فقسم منهم التزم شريعة النبي (موسى) وآبائه , وآمن بالرب الذي وصفه النبي (موسى) لهم من خلال شريعته , والقسم الآخر ظلت ترتكز في ذهنه صورة الرب المصري المادي "الخفي" . من هنا نشب الصراع بين الكهنة والانبياء , وكلاهما كانت له شعبيته ونفوذه . وقد استمرت هذه الثنائية في المجتمع الاسرائيلي حتى توسع الانقسام وانفصل المجتمعان . واليوم مصطلح اليهود يشير الى المجتمع الاسرائيلي الذي اتّبع الكهنة , والذي

---

٢٨٢ العرب واليهود في التاريخ , ٢٩٦

[٢٨٣] سِفر القضاة ١٢

٢٨٤ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية , د. عبد الوهاب المسيري , المجلد الرابع , الجزء الأول , الباب التاسع , مدخل القبائل العبرانية الاثنتا عشرة

[٢٨٥] سِفر القضاة ٥

يعتقد بالإله المصري . اما المجتمعات اليهودية التي احتفظت ببعض العقائد النقية فقد انعزلت في تجمعات خاصة في الشرق الاوسط .

وهذه الثنائية هي التي تفسّر ما عاناه الانبياء (ارميا٢٨٦, اشعيا , دانيال) داخل المجتمع الاسرائيلي , حيث تم نبذ هذا الشعب٢٨٧, فيما كان اليهود السبب الرئيس في قضية صلب المسيح (عيسى)[٢٨٨]. ولكن كان يهود السبي في (آشور)٢٨٩ من اول المؤمنين بالمسيح , في القرن الاول الميلادي٢٩٠, وساهموا في قيام المسيحية النسطورية , التي تعتبر احدى انقى الفرق المسيحية تاريخياً من ناحية الاعتقاد .

و (القبَّالاه = كبّالاه) ٢٩١ كانت مجموعة تعاليم باطنية , توارثها كهنة اليهود , ولها معنى لغوي يفيد التواتر والتقبّل المباشر عن الأسلاف , او التعليم الشفوي . ثم في نهاية القرن الثاني عشر اخذت شكلاً مستقلاً لدى قسم من الحاخامات , تحت عنوان (مقوباليم) أي العارفون بالأسرار الإلهية , وصار هناك مصطلح "أسرار التوراة" , حتى ظهر مصطلح أكثر تعقيداً وغنوصاً هو (يوردي مركافاه) بمعنى "النازلين من المركبة" , ثم مصطلح (بعلي هاسود) بمعنى "أمناء الاسم" , ثم مصطلح "أبناء قصر الملك" . وحينئذ اعتبر هؤلاء الحاخامات ان النصوص التوراتية رمزية , لا يمكن الاخذ بظاهرها ولا بتفسيرات الفلاسفة لها , فسمحوا لأنفسهم بإيجاد تأويلات خاصة بهم , كلها باطنية , وهذا ما اعطاهم فرصة كبيرة للتلاعب بالنصوص والأفكار الدينية , فجعلوا لكل حرف في التوراة رمزاً ومعنى ورقما , وصنعوا طرقاً خاصة لقراءتها , ومن ثم لتفسيرها , وبالتالي لا يمكن لغيرهم التحكم بمعاني النص الديني , ففقد النص قيمته الروحية والتربوية , وفقد الناس فرصة الاندماج مع النص الإلهي النقي , وظهرت مجاميع من الفرق الفكرية المتطرفة والغامضة , وبهذا اتجهت (كبّالاه) الى الاندماج بتعاليم السِحر والتنجيم والسيمياء وقراءة الطالع وتحضير الأرواح , بعد أن ابتعدت عن الرؤية الموسوية للدِين , كما صار لها رؤية خاصة عن الإله , تختلف عن رؤية المفسرين الفلسفيين اليهود , تزداد ضيقاً وتركيزاً داخل حلقة حاخامات (كبّالاه) , بعد أن كانت ضيقة أصلاً داخل الشعب اليهودي نفسه الذي يرى أنه "شعب الله المختار" .

---

٢٨٦ العرب واليهود في التاريخ , ص ٣١٥

٢٨٧ ,, انجيل متى ١٥ : ٧ – ٨ ,, سفر ارميا ٢٦

[٢٨٨] انجيل متى ٢٧ ,, سِفر أعمال الرسل ٤ : ١٠

٢٨٩ العرب واليهود في التاريخ , ٣٠٤ – ٣١٣

٢٩٠ عندما بدأ تلميذ عيسى (توما) يبشّر بالمسيحية في العراق ومن ثم الشرق

٢٩١ انظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية , عبد الوهاب المسيري , المجلد الخامس , ج ٢ , ب ٨ , ٢

فتم سلب الراية الايمانية من المجتمع الاسرائيلي المنحرف , ليبدأ انطلاق المجتمع البديل , عندما زاد الانحراف في بني اسرائيل , وعانى بينهم الانبياء , وصاروا باباً للفساد , بعد ان كانوا باباً للإيمان .

ولعل الاعتقادات التي نشأت في مجتمعهم بشكل مغلوط ناتجة عن الترسبات الفرعونية في العقلية الاسرائيلية , كما في ادعائهم أن "يد الله مغلولة"[٢٩٢], أي أنه لم يعد قادراً على التدخل في الكون بعد خلقه , ولا يمكن تصوّر ان تعاليم الأنبياء إبراهيم و (موسى) تضمنت هذه المغالطة في عزل القدرة الالهية عن التصرف في الخلق , لكن عند تأمّل المعتقدات الفرعونية وتعاليم (كبّالاه) يمكن ايجاد الأصل لمثل هذه المعتقدات , والتي تتجلى اليوم في الأفكار الماسونية , التي تشبه ما كان يجريه المصريون , وهي عين ما يعلّمه العبرانيون وما يجرونه[٢٩٣], فكان من الضروري ان يبعث الله فيهم نبياً قوياً , يقوم بسلب الراية الايمانية من ايديهم قبل أن يمزقوها , ويسلمها الى مجتمع نقي , قادر على حملها , ولأن الله الرحيم الحكيم والرؤوف بخلقه فقد اعد مجتمعاً اخر في شبه الجزيرة العربية , بعيداً عن تأثير سموم بني اسرائيل الشيطانية المخلوطة والمغطاة بالدين , هو المجتمع السبئي , أو مملكة (سبأ) , ومنهم قبيلة (جرهم) احفاد نبي الله (هود) , وهو مجتمع يتضمن خصلة فريدة واساسية هي الاخلاق الرفيعة السامية والانسانية , والتي يأتي الدين ليتممها , كما عبر الرسول (محمد) .

ولأداء هذه الوظيفة كان لابد ان يكون هذا النبي حاكماً ملكيا , لأن بني اسرائيل لم يعودوا روحانيين , بل ماديين , كان معظم ما يبهرهم هو النفوذ والقوة . كما ان مهمة هذا النبي لن تكون سهلة , لان بني اسرائيل فتحو طرق الارض امام عبور الشياطين ((وَأَقْتَرِبُ إِلَيْكُمْ لِلْحُكْمِ, وَأَكُونُ شَاهِدًا سَرِيعًا عَلَى السَّحَرَةِ وَعَلَى الْفَاسِقِينَ وَعَلَى الْحَالِفِينَ زُورًا وَعَلَى السَّالِبِينَ أُجْرَةَ الأَجِيرِ : الأَرْمَلَةِ وَالْيَتِيمِ, وَمَنْ يَصُدُّ الْغَرِيبَ وَلاَ يَخْشَانِي, قَالَ رَبُّ الْجُنُود))[٢٩٤], حتى صار ظهورها امراً مألوفا , بعد ان كانت حكراً على طقوس مغلقة لدى الفراعنة .

من هنا كان لابد لهذا النبي الجديد من مُلك وسلطة لا تنبغي لأحد غيره , يغلق بها منافذ اختراق الارض , فكان النبي (سليمان) ضرورة المرحلة الإسرائيلية والتوحيدية تلك . وقد مهّد الله له الأمر , وذلك عندما ابهر

---

[٢٩٢] سورة المائدة ٦٤

٢٩٣ الحقائق الاصلية في تاريخ الماسونية العملية , شاهين مكاريوس , مؤسسة هنداوي ٢٠١٤ , ص ٣٧ , بتصرف

٢٩٤ سفر ملاخي ٣ : ٥

ابوه (داوود) بني إسرائيل بقتل (جالوت) عملاق الجيش الفلسطيني المعادي لهم , والذي جبنوا عن مواجهته , فقتل (داوودُ) جالوتَ , واختاره بنو اسرائيل ملكا , ((وورث سليمانُ داوودَ))[٢٩٥].

وكان من الضروري ظهور المجتمع الإيماني الوسيط , من خلال خطة (سليمان) الكبرى , حيث كان تولّي النبي (سليمان) الحكم في بني اسرائيل امراً ضروريا , لأن مجتمعهم لم يعد تنفع فيه روحانية الانبياء كثيرا , ولكن لمّا فتح بنو إسرائيل ممرات الارض امام الشياطين صار على (سليمان) ان يغلقها جميعا , وفي نفس الوقت ان يبهر هذه العين المادية لبني اسرائيل .

فتم ذلك بمُلك وقدرة لم تكن لأحد غيره , اذ أعطاه الله ذلك , فعمد (سليمان) الى طريقين , الابدال من البشر , والمؤمنين من الجن , فكانوا حماة مُلكه وادواته التنفيذية , وبهم اخضع المردة من الجن أيضا .

ان القدرات الفيزيائية التي منحها الله ل(سليمان) جعلته قادراً على معالجة الخلط بين الاكوان المتوازية للمخلوقات , وهو الخلط الذي اوجد الفوضى الوثنية والعملية في العالمين . وكان على (سليمان) ان يتحرك في خطين متوازيين , الاول يقضي بإغلاق المنافذ والابواب التي فتحها سحرة بني اسرائيل ومَن قبلهم لعبور الشياطين , عبر استخدام وسائل الملك العلمي الذي ل(سليمان) , والثاني يقضي بإيجاد مجتمع بديل عن بني اسرائيل لحمل الراية الايمانية , وكان المجتمع الاقوى ترشيحاً عند (سليمان) هو مجتمع (سبأ) من العرب القحطانيين , لأسباب كثيرة .

ولإغلاق الابواب بين العوالم لم يكن المُلك الذي وهبه الله ل(سليمان) بمعنى المُلك المادي المعروف , والذي يحيل الذهن الى الممالك والعساكر والقصور , بل هو مُلك علمي , يحتاجه (سليمان) في مهمته ووظيفته . فالقرآن الكريم يصرّح بأن هذه المنزلة التي حظي بها النبي (سليمان) جعلته يتحكم في حوادث العوالم البُعدية فيزيائيا[٢٩٦] . ويشير الكتاب المقدس بوضوح الى أن (سليمان) لم يطلب طول العمر والغنى ولا موت أعدائه , بل طلب الفهم والمعرفة , فأعطاه الله تمام العقل والحكمة٢٩٧ .

لقد فجّر (سليمان) ثورة معرفية , كانت لازمة لفتح اذهان الناس نحو الحقائق العلمية والطبيعة والخلق , تمهيداً لإقناع ذلك المجتمع المادي بأن السِحر ما هو الا تصرّف بقوانين الكون . اذ يشير الكتاب المقدس الى

---

[٢٩٥] سورة النمل ١٦

[٢٩٦] سورة (ص) ٣٥ – ٤٠

٢٩٧ سفر الملوك ٣ : ١٠ – ١٢

أن مجلس النبي (سليمان) صار جامعة عالمية للحديث في الحكمة والعلوم العقلية والطبيعية , تأتي اليه كل شعوب العالم٢٩٨ .

ان الطلب الذي اراد (سليمان) اجابته من ربه في تلك الظروف والعوالم المعقدة كان نصّه ((قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)) , وتعبير "مُلكاً" و "لا ينبغي لأحد" بما يكون دليلاً على "الهبة الإلهية" , لابد انه كان شيئاً فريداً وعظيما , ومتناسباً مع طلب (سليمان) وظروف عالمه . فما هو ؟ ان العطاء الاهم يأتي كأول العطايا بالتأكيد , وكان ذلك العطاء الاول في جملة ((فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ)) , تجري بأمر (سليمان) حيث أصاب , ثم يأتي بعدها في الاهمية "تسخير الشياطين" , وهي تلك المخلوقات ذات القدرات الكبيرة .

فما هي حقيقة هذه "الريح" ؟ وما دورها واهميتها في وظيفة (سليمان) الكونية ؟ , انها بالتأكيد لم تكن من اجل تحريك "بساطه السحري" كما تصوّر الافلام والحكايات . ان القرآن الكريم حدد صفة ووظيفة هذه الريح بقوله ((وَلِسليمانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ))[٢٩٩], فهي ريح ذات قوة عنيفة , تسير منتظمة نحو "الارض المباركة" . فماذا تنقل هذه الريح الى تلك الارض المباركة ؟ وماذا يتم هناك عندما تصل بما تحمل ؟ وأي حدث هذا الذي اشار اليه الله بأنه من آيات علمه ؟.

ان السياق القرآني المستخدم مع هذه الريح وتسخيرها يتناسب مع عظمة واهمية تسخير الشمس والقمر , مما يشير الى وجود ترابط بين التسخيرين , يتعلق بإعجاز كوني ((اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ))[٣٠٠], و ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ))[٣٠١].

ان هذا التسخير كان ضمن منظومة العجائب الخاصة بالخلق ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ))[٣٠٢]. وليس من الواضح حقيقة تلك الريح , او ماذا تحمل , لكن فيما يخص "الارض المباركة" فهناك مرويات عند فرق المسلمين مختلفة تشير اليها , كما في رأي الإمام (جعفر بن محمد الصادق) الذي ينقله (داود بن كثير الرقي) أنها الأرض التي يرثها شيعة آل (محمد)٣٠٣.

---

٢٩٨ سفر الملوك ٤ : ٣٢ – ٣٤

[٢٩٩] سورة الأنبياء ٨١

[٣٠٠] سورة الرعد ٢

[٣٠١] سورة لقمان ٢٩ . كذلك ورد تسخير الشمس وتدبير أمرها وعلاقاتها الكونية في سورة فاطر ١٣ , سورة الزمر ٥

[٣٠٢] سورة العنكبوت ٦١

٣٠٣ بحار الانوار , محمد باقر المجلسي , ج ٥٢ , ص ٣٨٠ , ح ١٩٠

انّ ما يهم هو أن النبي (سليمان) كان يُدخل او يُخرج من وإلى هذه "الارض المباركة" ما ينفعه في تخليص عالم البشر من ظواهر التداخل بين العوالم او الأبعاد الكونية , تمهيداً لإبعاد الجن والشياطين عن بني البشر . وفي الوقت الذ يصر اليهود المعاصرون على افتراض ان مقام (سليمان) كان في القدس في فلسطين , تقول المصادر التاريخية القديمة – ومنهم مسلمة اليهود – انّ مقامه كان في (تدمر) في سوريا , وقد أراد الله منه العمل على هداية مجتمع الملكة (بلقيس) , كما ورد عن (وهب بن منبه)[٣٠٤], وكما هو رأي (ابن بطوطة) في رحلته[٣٠٥].

لقد وصف الكتاب المقدس " تابوت بني إسرائيل " بأنه صندوق مصنوع من خشب السنط , بأبعاد معينة , مطلي بالذهب من الداخل والخارج , عليه ملاكان (كرّوبان) ناشرين الأجنحة[٣٠٦]. وكان التابوت محرما , يحتوي على ألواح الشريعة والعهد والتوراة , وعصا النبي (موسى) , والمن . واختفى المن وعصا (هارون) في أيام حكم (سليمان) . وكان رمزاً موسوياً يحمله شعب إسرائيل في ترحاله , وكان يختص بحمله سبط (لاوي) . وبقي التابوت في خيمة خاصة , حتى وقع في أيدي الفلسطينيين , فنُقل من (أشدود) , ثم الى (القدس) في فترة حكم (داوود) , أي بعد ثلاثة قرون تقريبا . واحتفظ النبي (سليمان) بالتابوت في مكان مقدس خاص . ويظهر أن بعض الأسباط وضع الأصنام الى جانب التابوت . ويبدو أن التابوت اختفت عناصره المقدسة لاحقاً كما يُنقل عن (يوسيفوس) , وأنه أصبح رمزاً لقبيلة (افرايم) القوية وهو فارغ , أي مجرد رمز فلكلوري , حتى اختفى كلياً حيث لم يجده البابليون حين أسقطوا الدول اليهودية . ويقال أن بني إسرائيل يعتقدون بعودته حين يعود المسيح المخلّص[٣٠٧] .

---

[٣٠٤] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , د. بلقيس إبراهيم الحضراني , مطبعة وهدان ١٩٩٤ , ص ٧٩

[٣٠٥] تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار , ابن بطوطة , ذكر سلطان العراق

[٣٠٦] سِفر الخروج ٢٥

[٣٠٧] *انظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية , المجلد الرابع , الجزء الأول , الباب الحادي عشر , مدخل تابوت العهد*

وذكرت الكتب المقدسة (بناء الشياطين وغوصهم) لخدمة النبي (سليمان) , ((وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ))[٣٠٨]. لكنّ الاكيد أن النبي (سليمان) لم يكن من المادية والطغيان او الفكر الاستعماري ما يجعله بحاجة الى تسخير البنّائين من عالم الجن , ولا كان من البذخ بحيث يستعين بغواصين من الجن ايضا .

وربما لا يمكن الإحاطة بذلك الغوص الذي يحتاج الى تقنيات عالية جداً لا يملكها الا الجآنّ , لكن لا يمكن اخراجه ايضاً عن نوع الغوص في ذات البحر الذي ذكرته الآية القرآنية ((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ))[٣٠٩].

فيما يمكن ادراج "بناء الجن" –الذي جاء بصيغة المبالغة في اللغة العربية– ضمن الآيات ((الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ))[٣١٠], ((أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ))[٣١١], ((وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ))[٣١٢], ((أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا))[٣١٣], ((وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا))[٣١٤].

وهو ما يتناسب مع نظريات الفيزياء الحديثة مثل "الاوتار الفائقة" و "الاكوان المتوازية" , حيث ان هذه النظريات قرّبت الكثير من معاني القرآن الكريم الى الناس , وفتحت الباب لفهم الكثير من الاسرار .

ان كل القضية مع عالم الجن ترتبط بعلم الطاقة وفن استخدامها , وكيفية استقبالها وارسالها , وبالتالي كان على (سليمان) –للتحكم بعالم الجن– السيطرة على مداخل ومخارج وحركة الطاقة بأنواعها , ((يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ داوود شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ))[٣١٥].

---

[٣٠٨] سورة (ص) ٣٧ – ٣٨

[٣٠٩] سورة الأنبياء ٣٣

[٣١٠] سورة البقرة ٢٢

[٣١١] سورة (ق) ٦

[٣١٢] سورة الذاريات ٤٧

[٣١٣] سورة النازعات ٢٧

[٣١٤] سورة الشمس ٥

[٣١٥] سورة سبأ ١٣

ان التفاسير التي تناولت الآيات اعلاه بعيدة جداً عن واقع حاجة نبي مثل (سليمان) , فهو من اجل محراب وتماثيل –على فرض حِلّيتها في ذلك الزمان– وبعض القدور الكبيرة ليس بحاجة الى تسخير الجن والسيطرة على عالمهم . لكن ربما ان تلك المحاريب لا تعدو ابنية لاستقبال وارسال الطاقة وفتح واغلاق الثغرات البوابية بين العوالم على الأرجح , بمعنى فكرة متطورة عن نظام الاهرامات , والتي تعد من الاشكال المهمة في استقبال الطاقة فيزيائيا , حيث ان "القباب , المثمنات , الاشكال الهرمية" من اهم الاشكال المعتمدة علمياً في ارسال واستقبال الطاقة على وجه الارض . اما الجفان والقدور الراسيات , فربما كانت مركبات ضخمة او انظمة تحكم في نظام الكون .

وما يؤكد وجهة النظر هذه ما جاء في كتاب "العلل" بإسناده عن (محمد بن علي الباقر) ما معناه أن (سليمان بن داود) صنع له الجن قبة من مادة شبيهة بالقوارير , و"القارورة" في اللغة العربية وعاء من الزجاج الصافي الشبيه بالفضة , وكذلك "حدقة العين"[٣١٦], وهو معنى جامع , فدخل ملك الموت اليها معه ليقبض روحه , وكانت حاجبة له عن عيون الجن , بحيث لم يعلموا بموته فيها حتى سقطت عصاه التي هي سر آخر من٣١٧.

والتقنيات والآلات التي اخفاها (سليمان) بعد الفراغ من استخدامها من الاسرار التي لازالت غامضة في تأريخ البشرية عموماً والاديان خصوصاً .

فظواهر وآلات مثل "تابوت العهد , عصا النبي (موسى) , خاتم (سليمان) , ..." , جاء في توصيفها ومحاولة الوصول الى حقيقتها اقوال كثيرة , بعضها ديني والآخر علمي تقني , وهناك ما وراء الطبيعي , لكن ما يهم هنا هو الصفة المشتركة لهذه الظواهر , أي اختفاؤها في زمان واحد , هو زمان النبي (سليمان) . فهناك من قال انها اختفت في عهده , بعد ان فرغ من استخدامها , والبعض يقول انها اختفت بعده بفترة , لكن الجميع يتفق انها اختفت في عصره .

---

[٣١٦] **قاموس المعاني الالكتروني**

[٣١٧] ***الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل , ناصر مكارم الشيرازي , تفسير سورة (سبأ) , عن تفسير الميزان , ج ١٦ , ص ٣٦٦ , عن كتاب (علل الشرائع)***

ان الربط بين وظيفة (سليمان) الكونية الفيزيائية وبين هذه الآلات يستدعي كونها ذات خصائص محددة , تُستخدم في التحكم بمجريات الطاقة والكون .

ويمكن الفهم من الاحتياطات التي كانت ترافق حمل "تابوت العهد" في بني إسرائيل , ومن الخصوصية الممنوحة له , ومن حملهم له في معاركهم التي ينتصرون فيها , أنه تضمّن تقنيات هندسية ترتبط بفيزياء الكون بنحو ما .

ان النبي (سليمان) بإخفائه لتلك الآلات –التي تتفوق على قدرات الجن التقنية– ختم مرحلة الفوضى والاختلاط بين العوالم الفيزيائية على الارض . لكنّ ذلك لا يمنع من ان تعود تلك الآلات للاستخدام في حال عادت الفوضى والاختلاط بين العوالم . لذلك بحسب الروايات الإسلامية انتقلت تلك الآلات من (آدم) الى (شعيب) ثم الى النبي (موسى بن عمران) ثم الى اهل بيت النبي (محمد) حتى تصل الى (القائم المهدي) , خضراء , ناطقة , تصنع كل شيء اذا أُمرت , لها شعبتانِ[٣١٨]. وهي مع "ألواح النبي (موسى)" عند أهل بيت النبي (محمد) , باعتبارها من مواريث الأنبياء خاصة[٣١٩]. وتكون تلك الوسائل والآلات أصلها من الجنة , ومرتبطة في بعض الروايات بمسجد الكوفة الذي هو مجمع الأنبياء , وتكون بيد (المهدي المنتظر) في يوم ظهوره , يستعين بها على قضاء حوائج الناس , حتى أنه يُخرج بها عيون الماء[٣٢٠], وهو ما يوافق نص القرآن الكريم[٣٢١].

وهناك مرويات عديدة تشير الى ان النبي (سليمان) حاول نقل "تابوت العهد" من يد بني اسرائيل الى يد المجتمع البديل (سبأ) , وهذا ما يصر عليه الاحباش . فيما يرى بعض الباحثين ان التابوت وقع تحت يد الكنيسة الكاثوليكية المتحالفة مع الماسونية , ايّام الاستعمار الاوربي للعالم .

ان الواضح من الروايات ان للعصا و الحجر والتابوت –الذي ربما يحتويهم– اهمية خاصة في الربط بين عوالم الخَلق , وكذلك يمكن اعتبارها منظومات للسيطرة على بوابات العوالم , بل هي اعلى واسمى , حيث انها تعتمد في العمل على القوانين الكلية المحيطة بالخلق . وهنا تلوح بعض ملامح نظرية "الولاية التكوينية" .

كما يمكن ادراك مدى الاحراج الذي عاشه قادة الجن امام القدرة المفاجئة للإنسان , التي اتاحت له التفوق على تأريخ من غطرستهم واستعبادهم للناس , خصوصاً بعد ان احضر (آصف بن برخيا) وصي النبي

---

٣١٨ الأصول من الكافي , محمد بن يعقوب الكليني , ج ١ , باب ما عند الائمة من ايات الأنبياء عليهم السلام , ح ١

٣١٩ بحار الانوار , محمد باقر المجلسي , ج ٤٧ , باب ٤ ,, بحار الانوار , ج ٣٩ , ص ٣٤٢

٣٢٠ الأصول من الكافي , ج ١ , باب ما عند الائمة من ايات الأنبياء عليهم السلام , ح ٣ ,, بحار الانوار , ج ٥٢ , ص ٣٥١ , ح ١٠٥ ,, مستدرك سفينة البحار , علي النمازي الشاهرودي , ج ٧ , ص ٢٥٦ ,, كتاب الكافي , ج ٣ , كِتَابُ اَلصَّلاَةِ , بَابُ فَضْلِ اَلْمَسْجِدِ اَلْأَعْظَمِ بِالْكُوفَةِ وَ فَضْلِ اَلصَّلاَةِ فِيهِ وَ اَلْمَوَاضِعِ اَلْمَحْبُوبَةِ فِيهِ .

[٣٢١] سورة الأعراف ١٦٠ , سورة الشعراء ٦٣

(سليمان) عرش (بلقيس)[٣٢٢], بسرعة تفوق سرعة الضوء , فيما كان عرض الجنّيّ على (سليمان) إحضارهم بسرعة ادنى من سرعة الضوء , رغم انه من نخبة الجن الذين كان لهم شرف مجالسة (سليمان)[٣٢٣]. ف(آصف) لم يكن لديه الا بعض علم من الكتاب , فكيف بمن لديه علم الكتاب كله ! .

ومن ثم توفي (سليمان) في حالة غريبة , واقفاً , وكانت الجن تجهل موته , لولا دابة الارض التي اكلت منسأته . واذا كانت الجن لم تتفحص وقوفه , فكيف يمكن ان تهمل اسرته طول وقوفه وسكونه ! , ومن غير المعلوم اين ومتى كانت وفاة (سليمان) , فهي من سيشرح حقيقة الوضع حينها .

((فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ))[٣٢٤], ومن الواضح ان هناك اشارة في هذه الآية تشرح وضع الجن حينها , فإنّ عذابهم لم يكن مادياً ربما , بل هو معنوي , ناتج عن خضوعهم لبني الانسان , رغم انهم كانوا سادتهم وآلهتهم المزعومة , لذلك استخدمت الآية تعبير "مهين" .

---

[٣٢٢] سورة النمل ٤٠

[٣٢٣] سورة النمل ٣٩

[٣٢٤] سورة سبأ ١٤

الفصل الثاني : مجتمع (سبأ) البديل

منذ عهد النبي الملك (سليمان) عاشت الارض عصراً جديدا , كما رأت البشرية طريقة حياة اخرى , غير التي كانت قبل (سليمان) , وكذلك كان على الجن ان يدخلوا الى عالمهم مفاهيم جديدة , وعقائد لم يعرفوها او يتعلموها سابقا . والفترة من النبي (موسى) الى (سليمان) كانت آخر فترات التواصل المباشر بين عالمي الجن والانس , لكن التواصل غير المباشر ظل موجودا . كما ان الاولياء العظام , كالرسول (محمد) , كان لهم القدرة على النفوذ الى ذلك العالم[٣٢٥].

لقد أشار القرآن الكريم الى ملكة (سبأ) , دون ذكر اسمها , وأوضح ما لها من عقل وسمو نفس , ضمن قصتها مع النبي (سليمان) , حيث آمنت برسالته ودينه في آخر الامر , بعد أن مرت بتجربة فريدة , تداخل فيها الإعجاز وتأثير الجنّ , مع البيان والعقل , بعد أن كانت هي وقومها يقدسون الشمس من دون الله . وقد كان واضحاً أنها حكيمة , تستشير وجوه قومها , صاحبة دولة قوية[٣٢٦].

ولما لم يكن البحث مستهدفاً علم الانساب , بقدر ما كان استقصاءً لحركة اجتماعية تاريخية , لذا ليس هو في صدد بيان من هي (بلقيس) , او من هو ابوها , أو هل كانت أمها من الجن ام لا , انما يقتصر على وراثتها وقومها –السبئيين– لرسالة الايمان . لكن يمكن الاستفادة من الاسم المفترض لجدها (الهدهاد [٣٢٧]) في تطوير فكرة الباحث (عباس الزيدي) من كون (الهدهد) –الذي كان في جيش النبي (سليمان)– احد الضباط المنتمين لقومية السبئيين , لا انه طائر يطير بجناحين , بل من فرقة الفرسان السريعة , بدلالة الاسم , واهتمامه الخاص بأحوال مملكة (سبأ) , وكونه المرسل اليهم من النبي (سليمان) .

لقد قرر النبي (سليمان) انْ يختار المجتمع السبئي وريثاً رسالياً لما كان يدعو اليه من عادات واخلاق إنسانية راقية , بغض النظر عن العقيدة المؤقتة التي يكون عليها هذا الشعب , فهذا المجتمع يرجع في نسبه الى النبي (هود) , كما انه يمتد من جنوب العراق حتى اليمن , وبذلك هو يرث ايضاً العقل السومري , ويسيطر

---

[٣٢٥] سورة الأحقاف ٢٩ – ٣٢

[٣٢٦] سورة سبأ ٢٣ – ٤٤

[٣٢٧] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , ص ٤٥

على جزء كبير من التجارة الدولية التي تعطيه فرص اكبر لحركة التبليغ , كما انه يتمتع بمساحة حريات كبيرة دلّ عليها النص القرآني الذي تناول هذه القصة , بالإضافة الى تمتعهم ببأس شديد فردياً وجماعيا , الامر الذي يوفّر الحماية اللازمة لعقيدة التوحيد بعد انهيار المجتمع الإسرائيلي .

و (بلقيس) نموذج امرأة سارت بقصصها الركبان , وتوارثت قصتها البشرية , بما تمتزج فيه الحقيقة بالخيال , والاسطوري الخارق بالواقع التاريخي[٣٢٨]. وأشار القرآن الكريم الى عظم ثروتها , التي لم تثر النبي (سليمان) , بقدر ما اهتم بقضية الايمان بالله الواحد , حيث آمنت به (بلقيس) وأضافت الى جمالها ومالها وقوتها الايمان . والايمان في هذا السياق هو دليل الحكمة والمعرفة , كما هو دليل حب الله والناس , فلا عجب ان تتحول في الخيال الشعبي الى ينبوع من الاساطير . وكيلا يتم الدخول في صراع النسب الذي تنتسب اليه هذه الملكة , يمكن الاكتفاء بما هو اقرب الى الاتفاق من انها تنتهي الى (سبأ الأكبر)[٣٢٩]من القحطانيين العرب .

ان النص التوراتي[٣٣٠]يكشف تماماً انّ بلقيس ابتغت البحث عن "مجد الربّ" بين يدي النبي (سليمان) , وانبهرت لحكمته , الامر الذي يوافق القران الكريم من انها اسلمت مع (سليمان) لله ربّ العالمين , مما يدلّ على طواعية هذا الايمان , وحكمة ورشد هذه المرأة وشعبها , وهو الذي جعل النبي (سليمان) يختارهم بديلاً ايمانياً عن المجتمع الإسرائيلي المنهار .

يقول البروفيسور (فرنر داوم) ما نصه (لم يتحكم السبئيون في المنتجات فقط وانما ايضاً في التجارة , اذ لم يكن هناك معبد او بيت سواء في بابل او مصر او اليونان او القدس او روما الا وهو بحاجة الى هذه المنتجات القيّمة وعلى استعداد ان يدفع وزنها ذهباً)[٣٣١], ومن هنا يمكن معرفة أهمية عامل الحرية التجارية والحركة العالمية في اختيار السبئيين كمجتمع ايماني بديل من قبل النبي (سليمان) .

ان زيارة (بلقيس) كانت تهدف الى استيضاح المبهم من الأمور بالنسبة لها , وقد تكون علاقة الانسان بالخالق في هذا السياق , لارتباط اسم (سليمان) هنا باسم الرب (فسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان واسم الرب)[٣٣٢], فما هو ذلك الخبر ان لم تكن النبوة ؟! ومما يؤكد هذا هو انها بعدما كلمته "بجميع ما في خاطرها" عادت اكثر حكمة وصلاحاً وبصيرة . كما عكس النص سعة صدر (سليمان) وحكمته وكرمه , الامر الذي يتوافق مع شخصية النبي الداعية حيث " كانت كل الأرض تلتمس مواجهة (سليمان) لتسمع حكمته التي

---

[٣٢٨] انظر : الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , د. بلقيس إبراهيم الحضراني , مطبعة وهدان ١٩٩٤ , المقدمة ص ٩ بقلم جبرا إبراهيم جبرا

[٣٢٩] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز ص ١١ و ٢٠

[٣٣٠] سفر الملوك ١٠ : ١ – ١٣

[٣٣١] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , ص ٣٥

[٣٣٢] سفر الملوك ١٠ : ١

اودعها الله في قلبه "[٣٣٣]. وهو ما يتوافق مع ما اخرجه (ابن ابي حاتم) عن (ابن عباس) في تفسير قوله "افتوني في امري"[٣٣٤]. وأشارت التفاسير الى قصة "الصرح" , والى تآمر الجن وخوفهم من ان يتزوج (سليمان) بلقيس , فيولد له ولد , فيبقون مسخّرين لآل (سليمان) ابدا , كما نقل (ابن كثير) ذلك[٣٣٥]. ولاشك انّ خوف الجن كان عاماً , ولا يُعقل انّ يبدأ هذا الخوف فقط عند قدوم (بلقيس) وقومها , لذا يمكن فهم انّ الشياطين انما خافت من هذا الاتحاد المرتقب بين المجتمع السبئي الأخلاقي وعقيدة التوحيد .

قالت الملكة لوفد قومها –حين قدموا من عند (سليمان) – "ماذا رأيتم ؟ " قالوا "وجدناه يأكل الشعير , ويطعم ضيوفه لذيذ الطعام , ويجلس على الحصير والجلود , ويلبس الصوف , فما هو بملك وانما هو شيء اخر اكبر من الملك , انه نبي من انبياء الله"[٣٣٦]. فأبلغت الملكة قومها فوراً ليقرروا بأنفسهم مصير بلادهم , فهم الذين يدفعون نفوسهم ونفائسهم ويبذلون مهجهم دفاعاً عن بلادهم , وهناك بون شاسع بين قرار نابع من الشعب , وقرار يتخذه فرد مستبد .

ان الملكة قالت ((يا أيها الملأ اني القي اليّ كتاب كريم)) لانّ الكتاب مبدوء ب((بسم الله الرحمن الرحيم)) , فخاطبت قومها خطاباً كريماً ((قالت يا أيها الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امراً حتى تشهدون))[٣٣٧]. فانتزعت الملكة (بلقيس) –طواعية وبطيب خاطر– طاعة قومها المطلقة , اذ فوّضها شعبها تفويضاً مطلقاً . وفي إخبار الملكة لقومها بهذه الحقيقة دليل على السمو والرقي ومحاولة الارتفاع بمستوى شعبها[٣٣٨].

و (سبأ) اسم رجل من قحطان , هو (سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود)[٣٣٩] النبي. وجاء في تفسير (ابن كثير) عن بأسهم وعدتهم عن (ابن عباس) قوله ((كان مع بلقيس الف قيل تحت كل قيل مائة الف مقاتل)) , وكان مجلس الشورى – البرلمان – ثلاثمائة واثني عشر رجلاً , وكل رجل منهم على عشرة الاف رجل[٣٤٠].

---

[٣٣٣] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , ص ٣٦

[٣٣٤] فتح القدير , الشوكاني , ج ٤ , ص ١٣٩

[٣٣٥] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , ص ٥٥ – ٥٦

[٣٣٦] قصة بلقيس مع نبي الله سليمان , المرتضى بن زيد المحطوري الحسني , مركز بدر , ص ١٦

[٣٣٧] القرآن الكريم : سورة النمل

[٣٣٨] الملكة بلقيس التاريخ والرمز والاسطورة , ص ٥٤ – ٦١ بتصرف

[٣٣٩] الملكة بلقيس التاريخ والرمز والاسطورة , ص ٤٥

[٣٤٠] انظر : الملكة بلقيس التاريخ والرمز والاسطورة

والتوراة ذكرت (سبأ) وهي في أيام النبي (موسى) وقبل (سليمان) بثمانمائة عام , ولا تذكر ذلك عنها الا وهي دولة قائمة بعيدة الصيت[٣٤١].

ويرى (هومل) ان كلمة (sabum = sa – bu – um) التي وردت في سجلات ملوك (اور) في ٢٥٠٠ ق م انما تعني (saba) الواردة في العهد القديم , واذا ما صح هذا صارت هذه النصوص السومرية اقدم نصوص تاريخية تصل الى العصر الراهن وفيها ذكر (سبأ)[٣٤٢].

ومن (سبأ) قبائل (كندة , مذحج , انمار , الاشعريون , الازد , لخم , جذام , عاملة , غسان , حِمْير) , وفي هذه القبائل ومنها وقبلها قبائل جمة , كالأنصار من (الاوس) و (الخزرج) وكذلك (النخع) و (همدان)[٣٤٣].

ولم يرد ذكر الملكة العظيمة (بلقيس) في نقوش (المسند) , والحديث عنها من خلال النقوش اليمنية لا زال متعذراً , ولم يعثر في أي مكان على أي نقش يعود الى ما قبل تاريخ (سمهعلي ينوف) , الذي يحتمل انه الباني الأول لمعبد (اوام) , والمخطط لبناء سد (مأرب) وغيره من المعابد في (مأرب) و (صرواح) و (المساجد) , ويشير بعد ذلك الى اسلام ملكة (سبأ) , وربما يجمع المؤرخون اليمنيون على عدم ورود اثر ما يدل على اسم هذه الملكة في تاريخ اليمن[٣٤٤], رغم انهم يفتخرون بكونها نُسبت وقومها الى تاريخ بلادهم , لذا هم يقتبسون قصتها عن القرآن الكريم .

وليست هذه الحقيقة بغريبة على عين المحقق , ف(بلقيس) وقومها لم يسكنوا اليمن , ولم يتخذوه وطناً , لكنّ قبائل السبئيين امتدت لاحقاً باتجاه اليمن توسّعاً , باعتباره الامتداد الجغرافي القريب الى مواطنهم الاصلية في جنوب العراق التاريخي , ((فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا))[٣٤٥], والعراق التاريخي يمتد من أرمينيا شمالاً حتى حدود سلطنة عُمان جنوباً[٣٤٦], ومن الاهواز شرقاً حتى سوريا والحجاز غرباً . وهذا ما يفسر ايراد (الثعالبي)

---

[٣٤١] الملكة بلقيس التاريخ والرمز والاسطورة , ص ١٠٩ . نقلاً عن المؤرخ (محمد علي الاكوع) , ربما إشارة لما جاء في سِفر التكوين ١٠ : ٧

[٣٤٢] الملكة بلقيس التاريخ والرمز والاسطورة , ص ١٢٣ , نقلاً عن العلّامة (جواد علي)

[٣٤٣] البداية والنهاية , ابن كثير , ج ٣ , ص ١٠٨ , دار هجر – ١٩٩٧

[٣٤٤] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , ص ١٠٨ – ١٠٩

[٣٤٥] سورة سبأ ١٩

[٣٤٦] تاريخ ابن خلدون , دار الفكر , ج ٤ , ص ٦٥٥

إشارة الى دفن الملكة (بلقيس) في (تدمر)[٣٤٧], كما يفسّر قدوم النبي إبراهيم من أرمينيا لبناء البيت الحرام كما ورد عن (بشر بن عاصم)[٣٤٨].

ومما لا شك فيه انه من الصعب على الباحثين التاريخيين والاجتماعيين الإقرار بقبول المجتمع اليمني لمُلك امرأة , في ظل وجود العصبية القبلية المعروفة عندهم الى اليوم , لكنّ مؤرخيهم اضطروا الى القبول بهذه

[٣٤٧] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , ص ١٠٠

[٣٤٨] اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار , أبو الوليد محمد بن عبد الله الازرقي , تحقيق : رشدي الصالح , الناشر : عبد المقصود محمد سعيد خوجة , ط ٢ – ٢٠٠٥ , ص ٥٠

القصة , امام الضغط الديني المختلط بالأسطورة في قصة الملكة (بلقيس) مع النبي (سليمان) , رغم ان القرآن الكريم لم يشر الى (اليمن) مطلقاً في آياته الكريمة , بل قال ((فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ))[٣٤٩], وهي إشارة واضحة الى وجود دولة باسم (سبأ) كأمة واضحة عند النبي (سليمان) .

ومن اقدم النقوش التي ذكرت (سبأ) و (تيماء) نقوش الملك الاشوري (تجلات بلاسر) عند ٧٤٤-٧٢٦ ق م , التي تروي قدومهما بالهدايا للملك , بعد انتصاره على قبائل العرب الشمالية وعلى ملكة العرب (شمسي) في القرن الثامن قبل الميلاد .

وبما أن العربية لغة تطورت عن السبئيين وحضارتهم فهذا يعني أن قبائل شبه الجزيرة العربية الشمالية كانت منهم حتما , وأن لهم دولة هناك على حدود (آشور) الجنوبية , كانت عليها ملكة , ادخل سقوطها بيد الاشوريين الرعب في نفوس اهالي (تيماء) والدول إلى جنوبها , فجاؤوا يهنئون الملك الاشوري . و (تيماء) تقع في الجزء شمال غرب الجزيرة العربية .

لقد قامت مملكة (سبأ) الجنوبية حوالي (١٠٠٠ ق م) , إلا أنها ازدهرت حوالي (٨٠٠-٧٠٠ ق م) . وهي الفترة التي يعود تأسيس سد (مأرب) إليها . وخلال عام (٦٨٥ ق م) كانت قائمة , إذ ذكرها الملك الاشوري (سنحاريب) في احد النقوش . لهذا ليس من المنطقي أن يكون انهيار السد هو لحظة انتشار السبئيين , فكما هو واضح أن العرب كانوا يقيمون في جنوب العراق وفي (تيماء) وفي شرق الأردن وفي سوريا وفي الأحساء والقطيف والبحرين , قبل بناء السد اساسا . والسد ظل قائماً حتى (٦٠٠ ق م) حين قام (أبرهة الحبشي) بإعادة ترميمه .

ويبدو أن الاشوريين كانوا ينظرون للجزيرة العربية على أنها بمجملها (سبأ) , فهم لم يذكروا في نقوشهم دولاً جنوبية مهمة مثل (حضرموت) و (اوسان) , على الرغم من ذكرهما في نقوش الدولة السبئية الجنوبية في اليمن , كما في نقش (كرب إل وتر بن ذمار علي) . وهذا يعني أن الجزيرة كانت في عين ملوك (آشور) كلها (سبأ) .

[٣٤٩] سورة النمل ٢٢ – ٢٣

وليست مملكة (سبأ) هي وحدها من تداخلت مع عالم الآراميين شمالاً , في العراق وسوريا , بل هناك ممالك هي أسفل منها , وأحياناً تتبع لها , مثل (قتبان) التي نظمت القوانين على شكل مسلة شبيهة بالمسلات القانونية العراقية , وسكّت النقود بالخط الآرامي . حتى ان الحكام القتبانيين والسبئيين حملوا لقب (مكرب) طيلة قرون حكمهم , لكن عند سقوط بابل –على يد الفرس عام (٥٣٩ ق م) – بدأ اللقب يتغير إلى ملك .

يشترك السبئيون مع الآراميين في وحدة الأصل اللغوي , حيث أن اللغات الساميّة الغربية تنقسم إلى الساميّة الوسطى (الآرامية , العربية الكنعانية) , وإلى الساميّة الجنوبية (الصيهدية , غير الصيهدية) , وتنقسم الساميّة الجنوبية الصيهدية إلى السبئية والمعينية والقتبانية والحضرمية .

ان النظام الساميّ الشمالي الشرقي والنظام الأبجدي العربي ينطلقان من مصدر واحد في الشمال , انفصلا عنه –بحسب التوقعات العلمية التاريخية– في الألفية الثانية قبل الميلاد , ويعدّان من اسمى الأنظمة اللغوية . ويرى (روبان) بأن أبجدية اللغة العربية الجنوبية أتت من الشمال , وتحديداً من النموذج الاوغاريتي في سوريا[٣٥٠].

ويرى الأستاذ (طه باقر) ان العرب الشماليين اخذوا خطهم من الأنباط , والخط النبطي شكل من أشكال الخط الآرامي . وهو أصل الخط العربي الشمالي بجميع أطواره[٣٥١]. وقد كان (عمر بن الخطاب) يظن ان آخر ارض العرب هي البصرة , ثم تبتدأ ارض العجم , وهم النبط , لشدة اختلاط العرب بالنبط بعد ذلك[٣٥٢].

واذا كان النص السومري –الذي يرجع إلى عهد الملك (أرادننار) امير سلالة (لگش الثانية) في عصر سلالة (أور الثالثة) في حدود ٣٠٠٠ ق م , والذي جاء فيه كلمة (Sa–bu–um=Sabum) – يعني (سبأ) فهذا التاريخ بعيد جداً عن تاريخ قيام الدولة السبئية الجنوبية في اليمن .

لقد كانت المنطقة التي ينتشر فيها السبئيون العرب ضمن إقليم (سلالة القطر البحري) العراقية . و (سلالة القطر البحري) نشأت في جنوب بلاد بابل , على سواحل الخليج في جنوب العراق التاريخي , وسُميت بالقطر البحري لأنها كانت مطلة على سواحل الخليج ومتداخلة مع اهوار العراق . ونشأت بعد ثورة في سومر , قادها

---

[٣٥٠] انظر : نقوش عربية جنوبية قديمة من اليمن , رياض احمد سعيد باكرموم , رسالة ماجستير – كلية الاثار والأنثروبولوجيا – جامعة اليرموك , ٢٠١٤ م

[٣٥١] انظر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة , ج ١ , الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين , دار الوراق

[٣٥٢] تاريخ الطبري , مؤسسة الاعلمي , ج ٣ , ص ٩٠

(ايلوما ايلو) , الذي كان أول ملوكها , ضد (سمسو إيلونا) ابن (حمورابي) . وحكمت هذه السلالة من ١٧٣٢-١٤٦٠ ق م , وظهرت أسماء هؤلاء الملوك في قائمة الملوك الآشورية , بأسماء أكدية .

ان ظهور ممالك العرب -التي يشكل السبئيون نسبتها الأكبر , مثل (عربايا) او (الحضر) و (تدمر) والانباط والمناذرة والغساسنة- مباشرة بعد سقوط بابل يكشف أنهم شكلوا جزءاً مهماً من التحالفات الداخلية للإمبراطوريات العراقية في العهود المتأخرة .

انّ المجتمع الأقرب لفهم كون المرأة ملكة فيه هو المجتمع العراقي , الذي وردت في تاريخه أسماء ملكات عديدات في تلك الحقب الزمنية . لذا يشكك الأستاذ المتخصص (د. محمد بافقيه) في مجمل المشهور الروائي حول علاقة (بلقيس) والسبئيين باليمن , اذ يعتمد (بافقيه) في تناوله للتاريخ اليمني القديم على النقوش والكشوفات الاثارية والدراسات التاريخية والدراسات الاكاديمية التي تمخضت عنها , كما يظهر تحفظاً إزاء تبني وجهات نظر المؤرخين اليمنيين القدامى حول اسم (بلقيس) , ولا يميل الى انه الاسم الحقيقي للملكة الواردة في القرآن الكريم , لأنه لم يرد في النقوش اليمنية , ويرى ان هناك سببين لانتشار هذا الاسم عند (الهمداني) يخلطان بين روايات قد تكون إسرائيلية صرفة معدلة بمعارف متناقلة منذ القدم , او كان ماثلاً في نقوش "محرم بلقيس" عن (المقه) , و (شمس) التي جُعلت اختاً لبلقيس وذكرت كمعبود ل (المقه) في نفس المحرم او المعبد . ويتوقف (د. بافقيه) عند حقيقة وجود نظام الملكات الحاكمات في جنوب الجزيرة , حيث بالرغم من وجود إشارات ترجع الى القرن الثامن قبل الميلاد تدل على وجود ملكات عربيات , الا ان النقوش اليمنية القديمة والحديثة لم تذكر ملكة حاكمة , وانما ذكرت ملكة كزوجة للملك . ويطرح (د. بافقيه) ما طرحه بعض المستشرقين من ان السبئيين لهم أصول مختلفة عن بقية القبائل اليمنية كحِمْير وحضرموت , وانهم ربما أتوا من الشمال , وعرفوا نظام الملكات الحاكمات . وهو يعتمد على دراسة وتتبع التباين بين لهجات القبائل المختلفة , ف(سبأ) قبيلة كغيرها من القبائل العربية التي كونت في كثير من الأحيان ممالك . ويشير (د. بافقيه) الى دراسة ل(صيهد) قديم حول رملة (السبعتين) , يتضح من خلالها استقلالهم بملامح لهجوية مختلفة , كاستعمالهم سابقة الهاء بدل السين للتعدية , كاستخدام الفعل (هقنا) بدل من (سقنا) , وهذه الظاهرة جعلت بعض المستشرقين يذهب الى انها قبيلة جاءت من الشمال . والدراسات التي تشير الى الأصول الشمالية للسبئيين كثيرة , كما في كتاب "شعوب العهد القديم" , وحملت رأياً تفصيلياً لما أورده (د. بافقيه) من اشارات , حيث ذكرت أن العلاقات الواضحة في لغات جنوب الجزيرة تدل على انه في الوقت الذي قد يكون فيه للمعينيين والقتابيين أصول من شمال شرق الجزيرة , فإنه من المحتمل ان يكون السبئيون قد جاءوا من وسط

او شمال الجزيرة العربية , واضافة الى ذلك فإنهم يظهرون بأنهم كانوا اناساً محاربين , قدموا في زمن ما , وان كان لم يُعرف تاريخه بعد , ونفذوا الى جنوب الجزيرة , حيث نشروا تأثيرهم تدريجياً على السكان . وعليه فإنه لا يمكن استبعاد أنه في حوالي القرن السابع او الثامن قبل الميلاد كان جزءاً من (سبأ) على الأقل لا يزال ممتداً في شمال الجزيرة . ويكتسب هذا الافتراض مغزى عندما يستذكر المرء قصة زيارة ملكة (سبأ) الى (سليمان)[٣٥٣]. وبسبب هذا الانقطاع بين سبأ القديمة التي كانت ملكتها (بلقيس) وبين (سبأ) اليمنية الجنوبية المتأخرة , ذهب بعض نقّاد التوراة الى ان قصة بلقيس و(سليمان) في التوراة اسطورة , دوّنها كتبة التوراة , لبيان عظمة ثروة (سليمان) وحكمته ومُلكه . ورأى اخرون ان هذه الملكة لم تكن على مملكة (سبأ) الشهيرة التي هي من اليمن , وانما ملكة على مملكة عربية صغيرة في أعالي الجزيرة العربية كان سكانها من السبئيين القاطنين في الشمال[٣٥٤].

وهذه الرؤية المنطقية لسكن السبئيين في العراق التاريخي ترفع الإشكال الذي يفترض ان الكلدانيين كانوا عرباً هاجروا من (عُمان) , باعتبار انّ (عُمان) ذاتها كانت جزءاً من المنظومة السبئية العراقية ذاتها . حيث يذكر بعض المؤرخين ان الكلدانيين –الذين اسقطوا الدولة الاشورية ثم حكموا العراق للفترة (٦٢٦ – ٥٣٩ ق م) – كانوا من العرب الذين هاجروا من عُمان , واستوطنوا في جنوب العراق , وكانوا على مقربة من مساكن السبئيين , ثم ظهروا كقوة سياسية عند رأس الخليج في جنوب العراق , حتى سُمي بخليج الكلدانيين . ويعتمد أصحاب هذا الرأي على نصوص باللغة العربية القديمة عُثر عليها في مواقع في جنوب العراق , مثل (اور , الوركاء , نفَّر) , الامر الذي يرجح كونهم من قبائل عُمان التي هاجرت وتنامت قدراتها , فأنشأوا دولتهم[٣٥٥].

وهذا الفهم ناشئ عن خطأ في استيعاب حركة العرب السبئيين التي كانت تسري في جسد اسمه العراق شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً , كحركة الدم المغذي , لا كهجرة ووفادة غريبة . لذا لم يعمد الحاكم الكلداني الى اخراجهم من العراق يوماً , رغم المناوشات الداخلية مع الكثير منهم , اذ خاض مع القبائل العربية معركة لتوسيع امبراطوريته , كما ان حروبه شملت العرب المقيمين في سوريا وفي فلسطين وفي شمال الجزيرة العربية , ووثب على من كان في بلاده من تجار العرب , وكانوا يقدمون عليهم بالتجارات والبياعات ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها , فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم حيراً على ارض النجف وحصّنه وضمهم فيه , ووكل بهم حرساً وحفظة , ثم نادى بالناس للغزو فتأهبوا لذلك , وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين , فاستشار (برخيا) مستشاره اليهودي , فقال (ان

---

[٣٥٣] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , ص ١١٥ – ١١٧

[٣٥٤] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , ص ١٢٥

[٣٥٥] العراق عرين القبائل العربية , علي الكوراني , ص ٧٣ – ٧٤

خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عما كانوا عليه , فاقبل منهم) , فأنزلهم على شاطئ الفرات , فابتنوا موضع عسكرهم وسموه (الانبار) , وخلّى عن اهل (الحيرة) فاتخذوها منزلاً , فلما مات انضموا الى اهل (الانبار) , وبقي ذلك (الحير) خرابا[٣٥٦]. وحين نزل (خالد بن الوليد) ارض (الأنبار) وجد أهلها عرباً , يكتبون بخط (أياد) , نزلوها ايّام (بختنصر)[٣٥٧]. وكما هو واضح فإن (برخيا) اعترف أنّ ما هم عليها من الأرض بلادهم , وليس من السهل ان يُقال مثل هذا في حضرة ملك عراقي , وهو الامر ذاته الذي يفسّر كيف اقام (المناذرة) –وهم من (الازد) السبئيين– مملكتهم في جنوب العراق لاحقاً , دون ان يعتبر احد من العراقيين هذا الامر احتلالاً , كما اعتبروا مملكة الفرس مثلاً .

ولفهم هذه الخريطة السكانية بصورة أوضح يمكن استعراض مناطق سكن قبائل (الازد) , وهم فرع من السبئيين كان لهم تالياً تاريخ مهم مع عقيدة التوحيد والايمان والرسالات الإلهية , ف(الأزد) هو (الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان) , حيث سكن (ازد شنوءة) بين (تهامة) واليمن , وسكن (ازد غسّان) في بلاد الشام والجزيرة العربية , و (ازد السراة) في تلك الجبال , اما (ازد عُمان) فكانت مواطنهم هي عُمان ذاتها[٣٥٨].

ومما يؤيد ان اصل السبئيين كان من جنوب العراق ما ورد في موضع قبر ابيهم النبي (هود) عن (أبي مطر) عن (علي بن ابي طالب) قال (... فإذا مت فاقتلوه , فإذا مت فادفنوني في هذا الظهر في قبر أخويّ هود وصالح)[٣٥٩].

وعن (عمر الجرجاني) عن (الحسن بن علي بن ابي طالب) حين سأله عن مكان دفن أمير المؤمنين (علي) قال ((على شفير الجرف , ومررنا به ليلاً على مسجد الاشعث , وقال : ادفنوني في قبر أخي هود))[٣٦٠]. لذا يكون وجه تسمية السبئيين ب (اليمانيين) جهة سكنهم من العراق التاريخي باتجاه ارض اليمن , او لتيامن العرب بهم لما لهم من دور كبير في انشاء الامة الموحدة .

وقد تفرّق السبئيون في مختلف البلدان , كشعب كبير , ذي بأس , يجيد التجارة , كما انه ورث المدنية عن اصله العراقي , وبغض النظر عن مدعيات المؤرخين عن سبب انتشار السبئيين في الأرض ونسبته جميعاً لانهيار سد (مأرب) , يبدو ان الأصل الحقيقي لذلك الانتشار كان يقوم على امرين , الأول الكثافة السكانية

---

[٣٥٦] العراق عرين القبائل العربية , ص ٧٤

[٣٥٧] تاريخ الطبري , مؤسسة الاعلمي , ج ٢ , ص ٥٧٥

[٣٥٨] العراق عرين القبائل العربية , ص ٧٥

[٣٥٩] بحار الأنوار , المجلسي , ج ٩٧ , ص ٢٣٩

[٣٦٠] بحار الانوار , المجلسي , ج ٤٢ , ص ٢١٨

والحاجة الاقتصادية واعتبارهم ان جميع منطقة الجزيرة –ابتداءً من جنوب العراق حتى اليمن– هي ارضهم الفعلية , والثاني الرؤية الدينية والبشارة النبوية .

فنزلت طوائف منهم أرض الحجاز , وهم (خزاعة) , اذ نزلوا ظاهر مكة , وفي المدينة النبوية (يثرب) , التي سكنها منهم (الأوس) و(الخزرج) , وفي الشام سكنت (غسان) و (عاملة) و (بهراء) و (لخم) و (جذام)[٣٦١], فيما توزعت قبائل (تنوخ) –التي احتسبت لهم– في العراق من (مذحج) و (النخع) وغيرهما من قبائل (الازد) وقبائل (طيء) .

ان الرؤية الدينية للسبئيين –التي جعلتهم يتحركون في مختلف البلدان– يمكن قراءتها واضحة في الكثير من النصوص التاريخية التي تروي سيرتهم , فقد روي عن (محمد بن إسحاق) ان (عمرو بن عامر) –الذي تبعته (الازد) في حركته الإقليمية– كان "كاهناً" , وان امرأته (طريفة بنت الخير) كذلك[٣٦٢], وكانوا يعنون بالكاهن ربما مفهوم "العبد الصالح"[٣٦٣]. ففي قصة (نصر بن ربيعة بن ابي حارثة بن عمرو بن عامر اللخمي) مع (شق) و (سطيح) –اللذين ورثا الكهانة عن (طريفة) امرأة (عمرو بن عامر) – نبوءة بمبعث (نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي , رسول مرسل يأتي بالحق والعدل من اهل الدين والفضل) , وانه من ولد (غالب بن فهر) , و يكون (الملك في قومه الى يوم الفصل)[٣٦٤]. فيما كان من امر (تبّع ابي كرب تبّان اسعد) انه قدم (المدينة) بجيشه , فأخبره حبرانِ من أحبار اليهود من (بني قريظة) أنها مهاجر نبي من قريش , وحذراه العقوبة الإلهية , فآمن بما قالاه , وأدخل معظم قومه من السبئيين الى اليهودية الموحدة بالله[٣٦٥]. وحين وفدت عرب الحجاز على (سيف بن ذي يزن) يهنئونه كان فيهم (عبد المطلب بن هاشم) –جد الرسول– فبشّره (سيف) برسول الله واخبره بما يعلم من امره[٣٦٦].

اذ يبدو الامر جلياً ان ممالك (سبأ) ورثت هذه البشرى واختزنتها في ذاكرتها القومية , ليس لهاجس ديني صرف , بل لأنها علمت ان لها اليد الطولى في حمل عبء نصرة تلك الرسالة السماوية , وانه شرف لها ما بعده شرف , لكن مع تفاوت في الفكرة والاستيعاب من طرف الى طرف , لكنهم امنوا بمجيئ الإسلام في الجملة , ثم لاحقاً افترقوا فيمن يمثّله .

---

[٣٦١] البداية والنهاية , ج ٣ , ص ١١٢

[٣٦٢] البداية والنهاية , ج ٣ , ص ١١٤ – ١١٥

[٣٦٣] من معاني الكاهن : كلّ من يتعاطى علمًا دقيقًا . قاموس المعاني الالكتروني , عن المعجم الوسيط .

[٣٦٤] البداية والنهاية , ج ٣ , ١١٧ – ١٢٠

[٣٦٥] البداية والنهاية , ج ٣ , ١٢٤ – ١٢٨

[٣٦٦] البداية والنهاية , ج ٣ , ص ١٦١ – ١٦٢

ومن ثم ينقل (محمود سليم الحوت) ان بعض الثقات يرى وجود اليهودية في اليمن يرجع الى أيام النبي (سليمان) , والبعض يرجعها الى عهد سقوط اورشليم على يد (نبوخذنصر)[٣٦٧].

ومن الواضح أن المشكلة المعرفية تكمن في أن ذهنية الباحثين المعاصرين تقرأ كلمة (اليمن) كمرادف لكلمة (سبأ) , والحق ان الدولة السبئية في اليمن او حتى الدولة المعينية ما هما سوى اثر للحضارة العراقية ودائرتين في فلكها بصورة مباشرة او غير مباشرة . وبذلك فالديانة اليهودية انتشرت قطعاً في المجتمع السبئي الأقرب الى بلاد النبي (سليمان) , وذلك يعني في العراق وجنوبه , ثم دخلت الى اليمن على يد جزء من السبئيين . لذا يشير (احمد سوسة) الى انتشار اليهودية في اليمن , حتى أصبحت مركزاً من مراكزها[٣٦٨]. ومن هنا فرغم انتشار اليهودية في (تيماء) و (خيبر) ووادي القرى و (يثرب) في القرن الأول الميلادي , الا انها لم تبلغ ذروتها في اليمن الا عند القرن السادس الميلادي , في عهد الملك (ذي نواس) , رغم تهوّد قبائل (حِمْيَر) في عهد الملك (اسعد ابي كرب)[٣٦٩]. ومما يثبت بُعد الشقة الارتكازية الضرورية للتوحيد عن اليمن ان (ذا نواس) ذاته قام بإحراق نصارى (نجران) , وهي القصة التي أشار اليها القران الكريم تحت عنوان "أصحاب الاخدود"[٣٧٠], ليجبرهم على ترك دينهم[٣٧١], في الوقت الذي دخل فيه سبئيو العراق والشام الى المسيحية , حيث تنصرت قبائل (طيء) و (مذحج) و (بهراء) و (سليح) و (تنوخ) و (غسان) و (لخم)[٣٧٢], لقرب الأخيرين من المرتكز التوحيدي الإبراهيمي للديانات , وهو العراق .

كما ان (المسعودي) في كتابه "مروج الذهب" يثبت حكم (سليمان) بعد (بلقيس) على قومها[٣٧٣], وفضلاً عن اثبات انها لم تكن ملكة على ارض اليمن , فإنّ (سليمان) ذاته لم يحكم اليمن , ولم تنتشر اليهودية كديانة قومية لليمنيين الا بعده بفترات , لذا يكون حكم (سليمان) –المفترض– بعد (بلقيس) على الأرض القريبة الى مملكته من اطراف العراق , اذ ان عاصمة (سليمان) كانت مدينة (تدمر) السورية . ولعلّ دين الضد اليهودي هو الذي حرّف كامل التاريخ التوحيدي هذا , لأسباب عقائدية تضد (سليمان) وبلقيس معاً , لذلك يجعل المؤرخ اليهودي (يوسفوس) ملوك الحبشة من نسل بلقيس[٣٧٤], ليزيحها بعيداً , وهي الرواية التي التزمها

---

[٣٦٧] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , ص ٣٩

[٣٦٨] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , ص ٣٩

[٣٦٩] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , ص ٦٧

[٣٧٠] سورة البروج ٤ – ٨

[٣٧١] البداية والنهاية , ج ٣ , ص ١٣٤

[٣٧٢] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , ص ٦٨

[٣٧٣] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , ص ١٠١

[٣٧٤] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , ص ١١٢

الاحباش عنه لاحقاً –ليزدادوا بها شرفاً سماوياً– دون تمحيص وخبرة , الامر الذي يفسّر الاقصاء التاريخي ل(سبأ) و (بلقيس) نحو اليمن .

الا انّ هذا لا ينفي ان يكون (سليمان) وبلقيس قد لعبا دوراً مهماً في زرع عقيدة التوحيد في ارض الحبشة , اذ في اسطورة "ملكة الجنوب" لقبائل (تيجري) كان هناك وفد من مملكة (سليمان) وبلقيس وصل اليهم , (حين كان الشيطان يبني بيتاً لمحاربة الله , وحين وصل الركب كان الشيطان يرفع حجراً ضخماً , لكنه حين سمع بقدوم الوفد هرب وترك الحجر , ليتم بناء كنيسة من تلك الحجارة) , والحجر الشيطاني المقصود هي احدى مسلات (اكسوم) المشهورة كما وصفها (بروس وليتمان)[٣٧٥]. الامر الذي يعيد الذهن الى الحرب الكونية بين (سليمان) وجيوش العوالم الخفية , التي استخدمت تلك المسلات بكثرة , لا سيما في العقيدة الفرعونية وطقوسها , كما تم بيان ذلك في كتاب "صراع الحضارتين[٣٧٦]", وهي المسلة ذاتها التي جعل الإسلام رجمها من طقوس الحج .

ويمكن القول اجمالاً ان قبائل (سبأ) اخذت اليهودية الموحدة عن النبي (سليمان) , كدِين وشريعة , او كفكرة توحيدية عامة , استقامت او مالت لاحقاً , لذا لا يمكن تصور الا ان هذا المجتمع قد حمل رسالة الهية في وجدانه , عززها ارتكازه التوحيدي العراقي , وهو الامر الذي أكده موقفهم الإيجابي من المسيحية والإسلام .

.....

[٣٧٥] الملكة بلقيس التاريخ والاسطورة والرمز , ص ١٨١

[٣٧٦] للمؤلف , صدر عن مركز عين للدراسات في النجف الأشرف , وعن دار القارئ في بيروت

الفصل الثالث: فرز الاوراق وانقسام المجتمع العالمي الى خطين متباعدين

موت النبي (سليمان) في حدود العام ٩٣١ قبل الميلاد كان اعلان انقسام مملكة إسرائيل إلى مملكتين , شمالية (اسرائيل) , وهي أكثر تعرضاً للغزو الأجنبي وليس لها سياسة خارجية واضحة ولم تكن مستقرة سياسياً خلال ثلاثة قرون , وجنوبيــة (يهودا) , وعاصمتها (القدس) , كانت أكثر استقراراً لصغرها وفقرها وبُعدها عن الطرق المهمة , وفيها ظهر معظم الأنبياء , كما دُوّنت فيها معظم نصوص العهد القديم . وفي هذه الفترة ضاعت التوراة , ويعتقد اليهود أنهم عثروا عليها في عهد الملك (يوشيا)٣٧٧.

ان هذه الفترة التي تلت مملكة النبي (سليمان) اثبتت ان اليهود كانوا يخضعون لقوة (سليمان) لا لرب (سليمان) , وانهم انغمسوا في الوثنية في اعماقهم , واصبحوا ارضاً خصبة للعبة الشيطانية الكبرى . واصبحت الظروف سانحة امام المنحرفين من بني اسرائيل لإعادة العمل بالسحر الفرعوني , رغم ما قام به (سليمان) من القضاء عليه , لكنهم ظلوا يبحثون عن شريعة (كبّالاه) السحرية , كما انهم عززوها بتعاليم السحر في بابل , وهذا ما أكده القرآن الكريم[٣٧٨].

فقد بنى (يربعام) المعابد , وجعل فيهما عجولاً ذهبية, واتخذهما مزاراً ملكياً مقدَّساً له . وهنا يمكن ملاحظة ان عبادة العجل (ابيس) –الفرعوني– ظلت داخل الذاكرة اليهودية رغم مرور السنين , وكذلك ان الاكثرية من الشعب توجهت لهذه العبادة , فيما بقي القلة مع ورثة النبي (سليمان) على التوحيد .

وسقطت (إسرائيل الشمالية) بيد الاشوريين , كما سقطت (يهودا الجنوبية) بيد البابليين , بعد تعامل اليهود مع المصريين وتحالفهم معهم , رغم تحذير انبيائهم من هذه التحالفات المخالفة لإرادة الرب . وبسبب غزوات

---

٣٧٧ اليهودية وما تفرع عنها ٥ – ٢ , سامي المنصوري , مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي

[٣٧٨] سورة البقرة ١٠١ – ١٠٣

الآشوريين والكلدانيين اختفت دولة اليهود في فلسطين بعد أن عاشت أربعة قرون (١٠٠٠ – ٥٨٦ ق.م) كانت حافلة بالخلافات والحروب والاضطرابات[٣٧٩] .

وخلت فلسطين من اليهود بعد سقوط (القدس) , وعاش اليهود في الأسر في (اشور) وبابل , قلدوا فيها عادات الاشوريين والبابليين , وأخذوا عنهم الكثير من شعائرهم وآدابهم , واشتركوا في وظائف الدولة تحت رقابة البابليين.

فالسلالات الآرامية –التي كانت بالدرجة الأولى من بقايا السومريين– تمكنت من السيطرة على سواحل الخليج ومختلف المدن السومرية والاكدية في جنوب العراق , وقد برزوا كظاهرة سياسية رئيسة منذ ١٧٤٢ ق م , ومارسوا سلطة غير ثابتة على كامل إقليم سومر واكد لأكثر من قرن ونصف القرن . ثم انضمت الى القبائل الكلدانية حشود من الآراميين السوريين ما بين ١٠٧٧ و ٩١١ ق م , فأسست منهم دولة في جنوب العراق باسم (بيت ياكيني) . وقد ظلوا في حالة صراع على النفوذ مع البابليين والآشوريين لعدة قرون , حتى استولى الزعيم والوالي الكلداني (نبوبلاسر) على كامل السلطة واستقل ببابل التاريخية كلها منذ سنة ٦١٢ ق م . وقد كان اشهر ملوكهم (نبوخذنصر = بختنصر) الذي بلغت الدولة في عهده اوج عظمتها السلطانية . وقد ساهمت هذه الدولة الإسهام الأكبر في تاريخ العالم القديم , اذ قضت على مختلف الدويلات في المنطقة السورية , وأنهت حياة مملكة (يهوذا) واسرت شعبها الى بابل من خلال حملتين عسكريتين كانت احداهما بقيادة (نبوخذنصر) نفسه , لتنتهي آخر دول اليهود في التاريخ , وليهاجر قسم كبير منهم نحو الغرب , فضلاً عن الذين جاءوا مأسورين الى العراق[٣٨٠].

واخذ الكلدانيون الحضارة البابلية القديمة , وأضافوا اليها الكثير , فتحسنت الفنون والصناعات , وعنوا بالدين والآداب عناية كبيرة , وقطعوا اشواطاً واسعة في علم الفلك , وظهر في الكلدانيين حكماء متوسعون في فنون المعارف كالمهن التعليمية والعلوم الرياضية والكهنوتية , فتعلموا كيف يحسبون الخسوف والكسوف , وهم اول من جزّأ الواحد الصحيح الى ستين جزء , وقسموا اليوم الى ٢٤ ساعة , والساعة الى ستين دقيقة , والدقيقة

---

٣٧٩ العرب واليهود في التاريخ , احمد سوسة , مباحث متفرقة , بتصرف

[٣٨٠] العرب واليهود في التاريخ , ص ٩٢ – ٩٣

الى ستين ثانية , وقد اخذ فيثاغورس جدوله التقويمي الفلكي عن مشاهير علمائهم , وقد صارت بابل في عهدهم معمورة العالم البهية[٣٨١] .

وقد اخذ اليهود خطهم الذي طبعوا به كتب التوراة من الخط الآرامي , كما ان العرب الشماليين اخذوا خطهم من الخط النبطي الذي هو شكل من اشكال الخط الارامي , وهذا هو الخط الذي كتب به القران الكريم وتطور عنه الخط العربي الحديث , كما اخذ الأرمن والفرس والهنود خطوطهم من أصول آرامية , ومن الخط النبطي نشأ القلم الحِمْيري العربي , الذي منه تولّد الخط الكوفي , ومن هذا نتج القلم النسخي[٣٨٢].

ثم سقطت سلالة الآراميين في بابل على يد (الفرس الاخمينيين) بقيادة ملكهم (كورش) , الذي ادعى ان الإله البابلي (مردوخ) هو من دعاه الى غزو بابل ورافقه كالصديق , فابتشر له كهنة اليهود , الذين أعاد لهم أدوات الهيكل , وسمح لمن يشاء منهم بالذهاب الى فلسطين , فسلبوا بعض مقتنيات المعبد في بابل , وقالوا بانّ (كورش الاخميني) هو "المسيح المنتظر" الذي سيعيد مملكة (صهيون)[٣٨٣]. ثم وقع العراق تحت حكم الاسكندر , ومن ثم خلفائه السلوقيون , ومن بعدها صار تحت حكم الفرس الفرثيين , واخيراً وقع بيد الفرس الساسانيين[٣٨٤].

اذ بعد احتلال الفرس لبابل سمح ملكهم (كورش) لليهود بالعودة إلى فلسطين , لكنّ الغالبية منهم فضّلت البقاء في بابل . ولاقى اليهود على يد الفرس معاملة حسنة , لأنهم أعداء البابليين , وغدت (يهوذا) ولاية من ولايات الفرس حتى سنة ٣٣٢ ق.م , حيث انتقلت إلى مُلك الاسكندر المقدوني , بعد أن هزم الفرس واحتل سورية وفلسطين . وسمح الفرس لليهود ببناء الهيكل مرة اخرى , وتحت اسم المملكة الفارسية .

وقام (زروبابل) –أحد كبار الكهنة الذين سمح لهم الإمبراطور الفارسي كورش بالعودة إلى فلسطين– بإعادة بناء الهيكل في الفترة ٥٢٠ ـ ٥١٥ ق.م , أي في أربعة أعوام , ويُسمَّى هذا هيكل (زروبابل) . ويذكر العهد القديم أن الهيكل الثاني بُني بأمر من إله إسرائيل, وبأمر أباطرة الفرس (كورش , دارا الأول , أرتحشتا)[٣٨٥]. ولذا كانت تُقدَّم فيه قرابين يومية لصالح حامي صهيون الوثني. وكان مرسوماً على مدخله خريطة لمدينة (سوسة) عاصمة الإمبراطورية الفارسية٣٨٦ .

---

[٣٨١] العرب واليهود في التاريخ , ص ٩٣ – ٩٥

[٣٨٢] العرب واليهود في التاريخ , ص ٥٧ – ٥٨

[٣٨٣] مقدمة في تاريخ العراق القديم , ص ٢١٥ – ٢١٨

[٣٨٤] مقدمة في تاريخ العراق القديم , ص ٢١٩

[٣٨٥] سفر عزرا ٦ : ١٤

٣٨٦ *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية , المسيري , م ٤ , ج ١٠ , ب ١٢ , مدخل هيكل زروبابل*

وبعد وفاة الاسكندر اقتسم قادة دولته المملكة , فحكم (سلوقس) سورية , وأسس فيها دولة السلوقيين , وحكم (بطليموس) مصر وأسس فيها دولة البطالمة . وكانت (يهوذا) من نصيب البطالمة , حيث حكم البطالمةُ شعب اليهود , رغم مقاومتهم العنيفة التي أكرهت (انطيخوس الرابع) على هدم (القدس) ودكّ أسوارها , واجبر اليهود على اعتناق الوثنية اليونانية .

فانقسم اليهود تحت حكم الإغريق إلى قسمين , قسم اتّبعوا الإغريق , وحملوا اسم اليهود الإغريقين , وقسم تمسكوا باليهودية وهربوا من السلوقيين وهم المكابيون , نسبة إلى قائدهم (يهوذا المكابي) , الذي استقل بحكم أورشليم حينما دب الخلاف بين السلوقيين والبطالمة . ويعتقد اليهود أن (يهوذا المكابي) قد قام بإعادة بناء الهيكل مرة أخرى . ولكن حكم المكابيين لم يدم طويلاً , إذ دَبّ بينهم الخلاف , وضعف مركزهم , واحتلهم الجيش الروماني بقيادة (بومبى) سنة ٦٣ قبل الميلاد[٣٨٧] .

ثم انتقل اليهود تحت حكم الرومان[٣٨٨] , ففي مصر انقسم بنو اسرائيل الى طائفتين , يتبع كلّ واحدة منهما طائفة اخرى , الاولى من الباقين على إيمانهم الإبراهيمي , تتبعها فئة تعتقد بما عليه الاولى , لكنّها علمانية دنيوية , والثانية مفتونة بالسحر والشريعة الفرعونية , تتبعها فئة صارت تبحث عن الله بوسائل فرعون .

ورغم احتدام الصراع بين الطائفتين الاولى والثانية , لكنّه لم ينتهِ بوضوح , بل استمرّ , حيث يقود الطائفة الاولى الأنبياء والصالحون , فيما يقود الطائفة الثانية أيضاً من صوّروا أنفسهم كقادة دينيين , يعرفون اسرار ما جاء به الأنبياء , او ما جاء به النبي (موسى)[٣٨٩].

حتى انتهى الصراع الى سيطرة الطائفة الثانية , من السحرة , لكن بعنوان الطائفة الاولى , بمعنى أوضح أنه تمت سرقة الديانة التوحيدية من قبل كهنة الإسرائيلية الفرعونية الجديدة , وهذا ما أغضب الرب منهم كثيراً كما هو واضح في معظم أسفار الكتاب المقدس .

---

٣٨٧ العرب واليهود في التاريخ , سوسة , ص ٣٢٤ – ٣٢٥ , بتصرف

٣٨٨ صراع الحضارتين , علي الابراهيمي , مخطوط

[٣٨٩] **سورة طه ٨٥ – ٨٨**

لذلك لم يكن الشعب اليهودي –حتى اليوم– قادراً على معرفة مَن يكون , او الى أين يتِّجه , ولماذا هو معادٍ لهذا الكم من الامم , انهم فقط كهنته الذين يدركون بعض ما يجري . يقول (اسرائيل شامير) في مقدّمته عن (كبّالاه) : (... على نحو مماثل , نادراً ما يفهم يهودي ما او يفهم ما يريده اليهود من أنفسهم ومن البشرية المحتارة . هذا العجز عن الفهم يؤدي بكثير من الرجال والنساء الطيبين لإعلان دعمهم –او معارضتهم– الى الجسم السياسي المدعو "اليهود" . أن تولد وتترعرع كيهودي لا يساعدك على الفهم , تماماً كعدم فهمك لخطط الأركان العامَّة لمجرد كونك احد أفراد القوات الخاصة ...) . فيما يفخر اليهودي بالسلف الذي سكن صحراء مصر او اسبانيا او روما او غيرها , رغم أنه بولندي او افريقي[٣٩٠].

لقد كان للفترة التي اعقبت انكسار الهكسوس في مصر اثرها على المجتمع الاسرائيلي , الذي فيما يبدو لم يكن قد شارك في مساعدة الهكسوس , لذلك هو لم يهاجر معهم خارج مصر بعد الانكسار , لذلك يمكن القول انّ هذا المجتمع فقد الهوية منذ وقت مبكّر .

نعم , لقد خضع المجتمع الاسرائيلي للاستعباد من قبل الفراعنة , كضريبة لاشتراكهما في الأصل (السامي) والعقائدي التوحيدي . وبالتالي اسهم الاسرائيليون في خدمة المشاريع الفرعونية بصورة كبيرة .

وبعد احتلال (كورش الاخميني) إمبراطور الدولة الفارسية للعراق والشام امر بفتح الطريق امام اليهود للعودة الى (القدس) , وسمح لهم ببناء الهيكل , إلَّا أنّ اليهود لم يعد منهم –كما ينقل البعض– الا المتعصبون . وحين شرع هؤلاء ببناء الهيكل احتجّت الأقوام المجاورة , من حوريين وحيثيين وعمونيين وادوميين , وهددت بالعصيان , مما اضطرّ (سمرديس) خليفة (قمبيز الثاني) الى إيقاف اعمال البناء .

انّ المثير في هذه الأحداث تلك الأوامر الامبراطورية الفارسية ببناء الهيكل على نفقة بيت مال الملك ! , وكذلك الاحتجاج الكبير للأقوام المجاورة لأرض الهيكل , والذي يكشف عن شعورها بمجموعة اخطار مشتركة ! .

لقد أعاد (دارا الاول) ملك الفرس البناء في عهده , وهو اصرار غريب من قبل هذه الدولة على انشاء الهيكل , الذي أنهت مظاهر طقوسه الدولة البابلية . وقد نال اليهود العائدون الذين استوطنوا اورشليم (القدس) امتيازات خاصة من الدولة الفارسية , فيما بقي اليهود الذين فضّلوا البقاء في العراق يجدون في أعمالهم التجارية الجديدة حافزاً للمضي في حياتهم في بلاد الرافدين .

ثمّ ظلّ اليهود تحت حكم احدى الدولتين اليونانيتين , السلوقية في الشام , او البطلمية في مصر . وقد استطاعوا من خلال استغلال الصراع بين الدولتين المختلفتين سياسياً أنْ يقيموا حكماً كهنوتياً ذاتيا , يبدو انّه

---

[٣٩٠] انظر : اليهود في مصر , المؤرخ اليهودي : موريس فيرجون

استعر في هذه الفترة , معتمداً على الطقوس الباطنية المستوردة , ومرتكزاً الى ظلام الانفس الشيطانية لكهنة بني اسرائيل الجدد . حتى قام الملك السلوقي (انطيوخس الرابع) بتدمير الهيكل وإفراغ خزائنه , مما يكشف عن استفزاز خاص كان يتسبب به هذا الهيكل للجميع , الى الحد الذي جعل منه مقصداً للأيدي العسكرية الضاربة , وكذلك الاحتجاجات الشعبية المختلفة .

وبعد فترة المكابيين الثورية سقطت (القدس) –كما سقطت الشام وممتلكات الدولة السلوقية– بيد الرومان , فخضع اليهود في (القدس) لفترة اخرى من فترات الالتحام والتعارف . وفي عهد (يوليوس قيصر) تمتع اليهود بحكم كهنوتي ذاتي . ومن الغريب أيضاً ان يقوم (هيرودس الادومي) –الذي عيّنه الرومان ملكاً على يهوذا– ببناء الهيكل مرّة اخرى , رغم انّه كان مبغوضاً من قبل اليهود , لنشره الأصنام والطقوس الوثنية في فلسطين ! , فكيف يأمر مثله ببناء "بيت الرَّبّ" إلَّا اذا كان بيتاً لأصنام عبيد الربّ ! .

وبعد وفاة (هيرودس) تولّى على يهوذا مجموعة من الموظفين الرومان , وفي عهدهم ولد السيد المسيح , وفي عهدهم أيضاً تمت محاكمته من قبل كهنة المعبد اليهودي , تحت نظر الحكم السياسي للرومان , بعد الغلّ الكهنوتي اليهودي ضدّ وجوده .

ثمّ تمّ تعيين (هيرودس اجريبا) ملكاً على فلسطين , وهو حفيد (هيرودس) , وذلك في عهد الإمبراطورين (كاليجولا) و (كلاوديوس) . وكانت هذه الفترة هادئة بصورة غريبة ومريبة هناك , لاسيما بعد محاكمة السيد المسيح . لكنّ الفترة المضطربة كانت بعد وفاة (اجريبا) , حيث حكم مجموعة من الولاة الرومان , كانوا جميعاً غير مقنعين للشعوب التي تقطن تلك الارض , مما ألهب ثورة اخرى ضدّ وجودهم . وقد استمرت تلك المعارك طيلة حكم (نيرون) و (وسبسيان) , حتى أودعت الامبراطورية امر اخماد الثورة الى (تيطوس) ابن الإمبراطور (وسبسيان) , الذي نجح في دخول (القدس) سنة ٧٠ م , ودمَّر المدينة , واحرق الهيكل , وقتل مقتلة عظيمة , وأخذ الباقين عبيدا . وبعد نصف قرن قامت ثورة اخرى بقيادة (باركوخبا) , وهو احد زعماء اليهود , الذي اعتصمت جماعته في المواقع الجبلية , وراحوا يقاتلون على طريقة حرب العصابات , وصمدوا لثلاث سنين , حتى تمّ اجتياحهم واحراق قراهم من قبل الرومان , ومن ثمّ قام (هادريان) بتحويل (القدس) الى مستعمرة رومانية يونانية , وفي عودة غريبة للهيكل تمّ انشاء معبد للإله اليوناني الروماني (جوبيتر) فوق ارضه . وقد ذهب –حسب بعض المؤرخين– في هذه الحملة نحو ٥٨٠ الف يهودي , اذا ضُمّت لسابقاتها فسيكون الضحايا من اليهود عدّة ملايين , مما يكشف عن ضياع الكثير من تاريخ ودِين بني اسرائيل الحقيقي معهم .

لكنّ التاريخ الاخر كان واضحاً في الكتل البشرية اليهودية التي تمّ نقلها الى العراق , من خلال الحملتين الآشورية , والمزدوجة البابلية , حيث صار أغلب من وصل من اليهود الى بلاد ما بين النهرين نصارى مسيحيين , بحدود القرن الأوّل الميلادي .

ان التوراة المعاصرة تتكون من ٣٩ سِفرا , خمسة منها فقط هي التي كانت على زمان النبي (موسى) . وقد تمّ تقسيم هذه الأسفار الى ثلاثة أقسام , (البنتاتيك) أي أسفار النبي (موسى) الخمسة , و (النبيّيم) أي أسفار الأنبياء , و (الكتوبيم) أي الكتابات والأشعار . ورغم انّ (البنتاتيك) هي ما يمكن القول برجوع اصلها الى عصر رسالة النبي (موسى) , إلَّا انه يمكن القبول ببعض مضمون ما جاء به أنبياء بني اسرائيل وأُضيف كملحق للتوراة الموسوية , وحتى القبول ببعض روح الأناشيد والمزامير . غير انّ اخطر ما تمّت إضافته للديانة اليهودية –كنصّ مقدّس– كان (التلمود) , الذي هو شرح وتعاليم الكهنة على التوراة . ويبلغ حجم التلمود البابلي –حيث هناك تلمود فلسطيني– نحو ٥٨٩٤ صفحة , ويتكّون من (المشناة) أي المتن أو النص , ومن (الجمارا) أي الشرح والمناظرات . وتكمن خطورة التلمود في إدِّعاء الحاخامات بورود تعاليمه شفهياً عن الأنبياء , رغم ما فيه من شريعة مبتدعة .

ورغم الاعتقاد بوجود نصٍ توراتي قديم , للزوم تدوين شرائع الله على يد الأنبياء , إلَّا انّ التوراة التي وصلت الى الجيل المتأخر كُتبت في بابل , على يد الكهنة اليهود , بعد عصر النبي (موسى) بنحو ثمانية قرون , حيث تلوّث المجتمع الاسرائيلي بأنواع البدع والباطنيات السحرية , وانتشار الماديات والأنانية .

وقد احتكر السلطة الدنيوية والدينية اليهودية بعد السبي البابلي مجلس كهنوتي اعلى يُدعى (السنهدرين) , الذي ظهر في (القدس) خلال العصر (السلوقي – البطلمي) . ويكفي في معرفة واقع هذا المجلس الكهنوتي ومدى ظلامه ادراك انّه هو مَن حاكم السيد المسيح , بالتعاون مع الرومان الوثنيين , ومن ثمّ حكم بقتله , بعد أنْ واجه دعوته الإلهية الإصلاحية . إلَّا انّ هذا المجلس هو من كتب التوراة , وهو ذاته من ابدع التلمود ! .

لقد استغلّ الرومان مجلس (السنهدرين) كثيرا , ووسّعوا من صلاحياته حسب الحاجة , ثمّ منحوه صلاحيات دينية واجتماعية اكبر , شريطة عدم الأضرار بالمصالح السياسية الرومانية . وفي الفترة التي حاكم فيها مجمع (السنهدرين) السيدَ المسيح –بحدود ٢٩ م– كان في أوج صلاحياته , متكوناً من ٧١ عضواً من الكهنة والحاخامات الكبار . وعند استلام الوالي الروماني (غابينوس) السلطة على فلسطين قسّم المنطقة اليهودية الى خمسة أقسام , وجعل على كلّ قسم منها (سنهدرين) محليّ , مؤلّف من سبعة أعضاء , تتبع جميعها للسنهدرين الأعلى في (القدس) .

وكما يبدو واضحاً فإنّ الباطنية الوثنية قد أُشربت في النفوس الكثيرة من بني اسرائيل . لذلك ابتدأ صراع كبير داخل هذا المجتمع , بين الموحدين والباطنيين الوثنيين . ومن ذلك ما فعله (السامريون) , الذين رفضوا كلّ الذي جاء به الكهنة السنهدريون , وقالوا بقدسية أسفار النبي (موسى) الخمسة فقط من التوراة , حتى حاول

قادة اليهود اخراجهم من اليهودية , إلّا انهم لم يستطيعوا , فقام السامريون –بمساعدة اغلب أعداء يهود السنهدرين– ضدّهم , مما يكشف عن اعتقادهم بالخطورة الكبرى التي يشكّلها هذا المجمع , الى الدرجة التي حَرَّم فيها السامريون الزواج من يهود السنهدرين .

والملفت ان السامريين لم يتعاونوا مع الرومان , وكانوا في نفس درجة العداء لهم , كما كانوا في عدائهم ليهود السنهدرين , في الوقت الذي أعانوا (نبوخذ نصّر) ضد السنهدرينيين . وكانت عقيدة السامريين تقوم على التوحيد وتوراة النبي (موسى) والبعث والمعاد , ككل ديانة توحيدية . فيما وافق السامريين –في وقوفهم ضد كهنة السنهدرين والتعاليم الشفوية المدّعاة– طبقة اخرى ظهرت في عهد السلوقيين تُدعى جماعة (الصدوقيين) , وهم من الكهنة والكتبة ايضا , الذين اصرّوا على التزام التوراة الموسوية , ورفض التعاليم الشفوية .

ومن هذه المواجهة –وبإضافة المواقف التي تذكرها التوراة للأنبياء بوجه الكهنة– يمكن معرفة مدى خطورة هذه التعاليم الشفوية المنقولة , لمن عرفها , ولابدّ انّ الكثير منها قد تمّ إخفائه عن العوام , كما قرّر المجمع المنعقد في بولونيا سنة ١٦٣١ م بالإجماع (حذف العبارات التي تهين الأغيار , وانّ التعاليم التي تهين المسيحيين لا يصح نشرها) . ويبدو اقرب للذهن –من خلال قراءة هذه المعطيات– انّ تلك التعاليم المتسببة في هذه المواجهة التاريخية الضخمة –الى درجة الانقسام– ليست سوى مجموعة تعاليم (القبّالاه) او (كبّالاه) , السحرية المأخوذة عن طقوس العقيدة الفرعونية السحرية , بعد الخروج من مصر , حيث تمّ تدوينها في بابل . لذلك لم يكن غريباً ان تتضمن هذه التوراة السنهدرينية أوامر لقتل الأطفال والنساء , وحرق المدن والقرى , ونسبة كل رذيلة لأنبياء الله وأوليائه , مما يعني سيطرة كهنة الحضارة (القابيلية) على المجتمع الاسرائيلي , الذي كان يحمل رسالة الله التوحيدية , ولذلك كان الإعلان الأخير للمسيح ببراءة الله من هؤلاء الكهنة (انجيل متى ٢١) ضرورة توحيدية . ومن هذين المقدمتين أيضاً كان من الطبيعي أنْ يدافع شيخ القبّاليين (موسى بن ميمون) عن التوراة السنهدرينية , تفسيراً وفقهاً وفلسفةً , في كتبه "السراج" و "تثنية التوراة" و "دليل الحائرين" , وَإنْ يعتبره القبّاليون بعد ذلك "شيخ الحكمة" .

ومن الغريب أيضاً أنّ قائداً وثنياً للبطلميين هو (بطليموس الثاني) يستمع لنصيحة (ديمتروس) في ضرورة ترجمة التوراة الى اليونانية , حيث يعني ذلك عولمة التوحيد ! , إلّا اذا كان البطلميون موحّدِين , او متيقنين من وثنية التوراة السنهدرينية . لذلك اجتمع في (فاروس) اثنان وسبعون حبراً يهودياً , لترجمة تلك التوراة , فيما تمّت ترجمة آخر الأسفار في العهد الروماني .

وفي خضّم الثورات الإسرائيلية ضدّ الرومان تمت ترجمة التوراة الى اللاتينية في حدود القرن الاول الميلادي , وهو القرن الذي شهد الى جانب محاكمة السيد المسيح تدمير (أورشليم) . ولا يمكن فهم كيف تتم الترجمة

لكتابٍ يُقدِّسه المغضوب عليهم من الامبراطورية ! . ومن قبل أخذت اليهودية السنهدرينية ما وافق العقيدة الآرية الفارسية , مما سمح لملوك الفرس نفسياً واجتماعياً بالدفاع عن هذه الطائفة سيئة السمعة عالميا .

ان مجتمع بني إسرائيل منذ اللحظات الاولى لخروج قوم النبي (موسى) من مصر الفرعونية كانوا يعانون الاضطراب والضبابية , إلَّا مجموعة من المؤمنين , صالحة , لكنها كانت تُستضعَف في كثير من الأحيان , فاتخذوا "العِجل" إلهاً وكانوا ظالمين[٣٩١], لكنهم بعد ذلك عرفوا ما هم فيه من ضلال وندموا بعد تجربة فاشلة قاسية[٣٩٢].

كما انّ الواسطة الماورائية الفرعونية ألهبت مشاعر الإسرائيليين بماديتها ومباشرتها الطقسية , لذلك أرادوا جعل الواسطة بين الخالق والمخلوقات –كما فعل المصريون الفراعنة– صنمية متمثلة , وفي ذات الوقت متفاعلة مع الطقس الديني بصورة حسّية , لا تخضع للحكمة الغيبية التي اعتادت عليها الأديان الإبراهيمية[٣٩٣].

ولعلّ اهم محرّك للتاريخ اليهودي المعاصر او القديم هو "الهيكل" , حيث السعي المحموم لإعادة بنائه , ولا يمكن تاريخياً التكهن بالباني الحقيقي للهيكل , او معرفة أصل القداسة لأرضه , اذ ورد انّه كان مكاناً مقدساً لدى الوثنيين قبل اليهود , فيما تذكر المصادر اليهودية انّ من صَلَّى فيه هو (دَاوُدَ) الملك , وبناه (سليمان) الحكيم , ومن جهة اخرى ساهم الفرس والرومان الوثنيون في اعادة إعماره عدّة مرّات . وقد وصفت المصادر اليهودية كيف استدعى (سليمان) المهندسين الكبار من مدينة (صور) الفينيقية , وكيف انه أنفق لبنائه نحو مائة الف وزنة من الذهب ومليون وزنة من الفضة , غير وزنات النحاس وباقي المعادن والأحجار الكريمة , وذلك يعادل ثروات خرافية في العصر الحاضر . وقد تمّ تشييده بحدود ١٠٠٥ ق م , ثمّ هدمه ملوك بابل في حدود ٤٢٤ ق م . وفي حين تروي بعض المصادر انّ اليهود العائدين من السبي قاموا بتجديده , إلَّا انه خرب مرة اخرى , فأعاد بنائه (هيرودس الكبير) , رغم انه كان ممثلاً للدولة الوثنية الرومانية , وكان (ادوميّاً) لا اسرائيليا ! , ورغم انّ (طيطوس) القائد الروماني دمّره سابقا . وعند الغزو الصليبي للقدس جعله ملكهم قصراً لسكناه , ومحيطه مأوى لحيواناته الداجنة , حتى استعاده (صلاح الدين الأيوبي) وأعاد بنائه , كما امر بفتح (القدس) امام ثلاثين عائلة يهودية للسكنى . ثمّ عاد اليهود اليوم لجعله رمزاً لحضارة وأمة , لا يُعلم مدى ارتباطه بكينونتها .

---

[٣٩١] سورة الأعراف ١٤٨

[٣٩٢] سورة الأعراف ١٤٩

[٣٩٣] سورة الأعراف ١٣٨

وكما هو واضح من الطلبات التي ذكرها القران الكريم على لسان اليهود للنبي (موسى) –عند الخروج الكبير من مصر– انهم بدأوا عصر الوثنية المركّبة المعقدة , تلك الممزوجة بعقائد توحيدية , في اضطراب فكري واضح , لذلك اتخذوا "العِجل" –الذي هو (أبيس) الفرعوني– إلهاً بمجرّد عبورهم من مصر وغياب النبي (موسى) ليالي معدودة , رغم رؤيتهم لمعجزة شقّ البحر . والعِجل ظلّ على الدوام الرابط بين الديانات الثلاث (الفرعونية , اليهودية , الرومانية) , حيث يوجد في المتحف البريطاني نقشٌ يعود لعام ٢٩٥ م , في فترة حكم (ماكسميانوس) و (فاليريوس) , يمثّل الإمبراطور وهو يقدّم القرابين للعجل (بوخيس) . وفي حدود عام ٥١٥ ق م كان لليهود معبد في (الفنتين) , يتم فيه تقديس الآلهة (عنات) والآلهة (اشيما) , الى جانب المعبود (يهوه) .

والظاهر من هذا التسلسل في اضطراب التاريخ انّ اليهود وصلوا الى مرحلة ضبابية خطيرة , تغلغل فيها السِحر الى ساحة المعتقدات الدينية , فصار هناك خلط لدى نسبة معتد بها من الناس بين ما هو دِين حقيقي وبين ما هو سِحر[٣٩٤]. وراح اليهود لا يميّزون بين ميتافيزيقيا فرعون و بين عالم الجبروت , حتى انكروا معجزات النبي (عيسى) الواضحة المبهرة وبشارته بالنبي (محمد) من بعده[٣٩٥], بل انّ الفكرة انتشرت رغم انحرافها[٣٩٦]. لكنّ بني اسرائيل لم يكونوا جميعاً كافرين , كما هو واضح من السرد التاريخي , وهذا ما يكشفه الاضطراب في مواقفهم ايضا , وما تكشفه إشارة القرآن الكريم باستخدام تعبير " فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ" , حيث الأداة "مِنْ" بمعنى "بعض" أو "جزء" للدلالة على كونهم فئتين , كافرة , ومؤمنة[٣٩٧].

ومن هنا كان من الطبيعي رؤية بني اسرائيل وهم يتهمون الأنبياء بأنّهم سحرة , حيث صار هؤلاء اليهود يفكّرون بالعقل الفرعوني , الذي يخلط بين التلاعب الفيزيائي الذي تُحدثه الكائنات الغير منظورة وبين قدرة الخالق التي تجري على يد أنبيائه , فكان من الممكن رؤية كيف اعتمد فرعون على الآليات الباطنية المقترنة بالهندسة للبحث في امر إله النبي (موسى) , غافلاً عن المعنى اللاماديّ للخالق[٣٩٨]. وهذه النظرة المادية للماورائيات , والتي يمكننا تسميتها "الميتافيزيقا الجديدة" , او "الميتافيزيقا الفرعونية" , صارت هي خلاصة العقل الكهنوتي للمجتمع اليهودي , لا سيما بعد سرقة هذا الكهنوت من قبل الباطنيين الفراعنة .

---

[٣٩٤] سورة القصص ٤٨

[٣٩٥] سورة الصف ٦

[٣٩٦] سورة الاحقاف ٧

[٣٩٧] سورة المائدة ١١٠

[٣٩٨] سورة غافر ٤٠

لقد كان من الضروري قيام الإعجاز الالهي في إيجاد المسيح (عيسى بن مريم) , كما هي ضرورة نسبه الشريف في بني اسرائيل , وكذلك الآيات الكبرى على يديه , من حيث القدرة على الإحياء والمعرفة بإذن الله , بعد هذا الاضطراب الذي عاشه المجتمع الاسرائيلي[٣٩٩]. انّ هذه الآيات الواضحة في الإعجاز على يد (عيسى) المسيح –فضلاً عن ولادته الإعجازية ايضا– تكشف عن العمق الذي تغلغل اليه السِحر في مجتمع كهنوت بني اسرائيل , والمدى الذي اتقن معه اليهود علوم السحر , وكيف انهم طوَّروا المنظومة الفرعونية , فقرابينهم كانت كبيرة , لقد كانت تلك القرابين قتل أنبياء الله[٤٠٠].

وهذا التخبُّط الفكري هو ما يفسّر عودة بعض بني اسرائيل لعبادة الأصنام عند وفاة (يوشع بن نُون) وصيّ النبي (موسى) , كذلك هو ما يشرح إقامة مملكة اسرائيل الأصنام في هياكلها , وعبادتها عند وفاة النبي (سليمان) , حيث انقسمت مملكته الى قسمين , شمالي (اسرائيل) , فيها عشرة أسباط , بقيادة (يربعام بن ناباط) , وجنوبي (يهودا) , فيها سبطا (يهوذا) و (بنيامين) , بقيادة (رحبعام بن سليمان) . ومملكة (اسرائيل) بقيادة (يربعام) هي من أصبحت وثنية , حتى نشب القتال بين القسمين .

لكن في ظلّ هذه الروح الفرعونية الجديدة ذات الصبغة اليهودية , يمكن تبرير حدوث المواجهات العنيفة بين المجتمع اليهودي بدوله وإماراته وجماعاته وبين الفراعنة وجيوشهم , او مع الفرعونية العالمية الجديدة (الرومان) , بزيادة البحث في عمق الباطنية المشتركة بين هذه الأطراف الثلاث , وكذلك في عمق تاريخها , لمعرفة مدى إمكانية تغيير مراكز النفوذ , او ادراك آلية التحكم والسلطة . لكن فيما يبدو انّ هذه المجتمعات لم تكن واضحة الباطنية , حيث اختصّ ذلك العالم السحري ب "الملأ" , من سياسيين وماليين وعسكريين كبار , وفي الكهنوت الديني , لذلك كان الصراع بينها نتيجة للتيّار الاجتماعي والسياسي العام الغالب . كذلك يمكن ان يكون الصراع ناشئاً بين فئات موحِّدة في طرف , وبين فئات وثنية في الطرف الاخر , وذلك لا يمنع انجذاب الشبيه الاخر الى شبيهه في المجتمع المضاد رغم الحرب والصراع .

اما في السنين الاولى للخروج من مصر فلم يكن الامر اكثر من اثر للعداء التاريخي بين الفراعنة وبين الهكسوس , الذين تمّ احتساب بني اسرائيل عليهم , والاكيد انّ الفرعون (مرنبتاح بن رعمسيس الثاني) في حملته ضد المقاطعات الآسيوية لم يكن يحترم كثيراً الوجود الاسرائيلي .

لكنّ الغرابة تكمن في عودة العلاقات بين مصر الفرعونية وبين مملكتي (بيت عومري) , وهي (إسرائيل) في التوراة , و (يهودا) . حيث كان من المتوقع ان تكون لمملكة وثنية كإسرائيل خيوط ارتباط بالفرعونية المصرية , وقد شكّلت خطراً على المملكة الموحدة في أورشليم (يهودا) , لذلك قام الآشوريون – بطلب من ملك يهودا

---

[٣٩٩] سورة آل عمران ٤٩

[٤٠٠] سورة المائدة ٧٠

(آحاز بن يوثام) – بحملة تأديبية كبرى على (بيت عومري) , في عهد الملك الآشوري (تجلاث بلاشر الثالث) , فاسقط ملكها (فقح) , وترك لخلفه (هوشع) مدينة (السامرة) فقط . ثمّ عادت (آشور) بحملة اخرى في عهد (شيلمنصر) لمحاصرة (السامرة) , وأتمت احتلالها في عهد (سرجون الثاني) , لتسقط نهائياً وجود مملكة (بيت عومري) .

لكنّ مملكة (يهودا) هي الاخرى خالفت امر نبيّها (اشعيا) , فارتبط ملكها (حزقيا) بمصر الفرعونية , في عهد الاسرة الخامسة والعشرين النوبية , وهي الاسرة الاشدّ انتماءً للديانة الفرعونية القديمة في وثنيّتها , حيث قامت باحتلال جميع بلاد مصر تحت دعوى اعادة الديانة الفرعونية الأصيلة . لقد حذّر النبي (اشعيا) من يطلب مساعدة أولئك الفراعنة بأنه يبحث عن الدعم المادي الدنيوي لا الإلهي[٤٠١]. لذلك قام الملك الآشوري (سنحاريب) خليفة (سرجون) بحملة على هذه المملكة المتمردة , ورغم إرسال فراعنة مصر جيشاً لنصرة مملكة (يهودا) إلَّا انّ (سنحاريب) انتصر عليهم , ثمّ قسّم الكثير من أراضي المملكة اليهودية على الممالك الاخرى القريبة الموالية لسلطانه . وقد ترك الآشوريون هذه المملكة منهارة , تدفع الجزية لهم . لكنّ (يهودا) عادت لتتمرد على أوامر الله مرة اخرى , فخالفت امر نبيّها (ارميا) , فتحالفت مع فراعنة مصر مرّة اخرى , وحاولت الخروج عن سلطان الكلدانيين ورثة الدولة الآشورية , فشنّ (نبوخذ نصّر الثاني) حملة لتأديبهم , وحاصر أورشليم , حيث توفي ملكها (يهوياقيم) اثناء الحصار , فخلفه ابنه (يهوياكين) , الذي اضطر الى الاستسلام , فعيّن (نبوخذ نصّر) الملك (صدقيا) –عمّ (يهوياكين) – بدلاً عنه . إلَّا انّ (صدقيا) عاد للدخول في الحلف الذي أنشأه فرعون مصر (حوفرا) , للتمرد على (نبوخذ نصّر) , وتدخّل النبي (ارميا) مرة اخرى , لثني (صدقيا) عن ارادته هذه , إلَّا انّ التمرد النفسي قاد الى التمرد السياسي , فغضب (نبوخذ نصّر) , وَقاد حملة عسكرية بنفسه , حاصر بها أورشليم , إلَّا انّ فرعون مصر (حوفرا) أرسل جيشاً لنصرة مملكة (يهودا) , فانسحب البابليون الكلدان عن أورشليم لملاقاة المصريين , فظنّ اليهود انّ النصر حليفهم , ولم يأخذوا بنصيحة نبيّهم (ارميا) , الذي اخبرهم بوهم هذا الاعتقاد , فسجنوه , في وثنية مبطّنة خطيرة , إلَّا انّ الفراعنة انهزموا امام البابليين , فعاد البابليون لمحاصرة أورشليم , واسقطوا مملكة (يهودا) .

لقد كان من نتائج كل هذه الحملات الآشورية والبابلية أربعة أمور مهمة :

الأوّل : سبي إعداد غفيرة من اليهود الى شمال العراق وجنوبه , تهيأت لهم فرصة الانفلات عن غلواء الفرعونية الباطنية , التي قادها زعماء الكهنوت السياسي , مما جعل هؤلاء اليهود المسبيين احدى الطوائف الأول التي آمنت بالسيد المسيح لاحقا .

---

[٤٠١] سِفر اشعياء : ٣١ : ١

الثاني : وضوح الاختلاف بين المجتمع النبوي في بني اسرائيل وبين المجتمع الكهنوتي السياسي .

الثالث : تعرّف الساسة العراقيين على المجتمع النبوي الاسرائيلي والتواصل معه .

الرابع : هجرة جماعات من كهنوت السياسة اليهودية الفرعونية نحو أوربا وشمال افريقيا , خلال الفترة التاريخية ٨٠٠ – ٥٨٦ ق م .

ورغم انّ الانحراف والشرخ بدا واضحاً داخل المجتمع اليهودي بقرون قبل ميلاد السيد المسيح , كذلك تحكي سيرة المؤرخ المتذبذب (فلافيوس جوزيفاس) كيف انّ هناك ناساً من اليهود كانوا يوالون الدولة الرومانية اكثر من ولائهم لليهودية , حيث عيّنه الرومان حاكماً على (الجليل) , بعد زيارته روما عام ٦٣ م , ثمّ قاتل الى جانب الرومان في زمن (طيطوس) , ومنحه (ڤاسبيان) لقب مواطن روماني , إلّا انّ القسم الاخر من اليهود كان لازال يحتفظ بخصائص بلاد الرافدين , حيث كانوا يوقدون النيران في الليل ليرشدوا السائرين , وليدعوهم الى الضيافة والاكرام , كما كان يفعل العرب , اعلاءً لشرفهم وصيانة لمجدهم[٤٠٢]. ومن ذلك يُعلم مدى عمق الصدع داخل الكيان اليهودي , بسبب الاختلاف الساري فيهم في فلسفتهم الاعتقادية بعد خروجهم من مصر الفرعونية , حيث تحوّلت العقيدة الى سلوك ورؤية للحياة .

انّ أشدّ الفترات على الوثنيين من اليهود كانت خلال الفترة ٨٠٠ – ٧٠٠ ق م , وهي ذات الفترة التي خرجت فيها عوائل فرعونية كبيرة من مصر , عند سيطرة الأسر الليبية على الحكم , ومن ثمّ الاسرة الخامسة والعشرين النوبية , لذلك شهدت أيضاً هجرة إعداد كبيرة من الأسر الباطنية الوثنية التي كانت تدير دفّة السياسة والكهنوت في (بيت عومري) او اسرائيل , وهي ذات الفترة التي شهدت انشاء (روما) في العام ٧٥٢ ق م , لذلك لا يمكن استبعاد أنْ تكون العلاقة بين هذه الحوادث وثيقة , خصوصاً مع وجود العلاقة الاعتقادية الباطنية التي ثبتت أعلاه , وبالفعل كان اليهود حاضرين بكثافة في العاصمة روما في ظلّ حكم (نيرون) , مما سمح له باتهامهم بحرق المدينة , ولا يُستبعَد قيامهم بذلك , رغم كل الاتهامات بالأمراض النفسية الموجهة الى (نيرون) , والتي تريد تحميله وزر احراق المدينة , اذ لا مبرر مقنع ليقوم الإمبراطور بحرق عاصمته الكبرى .

لقد ظلّ اليهود دائرة من الضباب , منقسمين فكراً وسلوكاً حتى ظهور المسيحية , حيث آمن يهود الشتات بها , في العراق , وفي شمال افريقيا , وفي عدّة بلدان اخرى , فيما ظلّ يهود (السنهدرين) مصدراً لمعاداتها في اليهودية , انطلاقاً من الهيكل . ثمّ تغيّر الموقف , حين صار يهود الهيكل او (السنهدرين) هم مَن في الشتات , وصار يهود الشتات السابقون مستقرين في اوطان تؤمن بالمسيحية .

---

[٤٠٢] د. اسرائيل ولفنسون , ص ٣١ تاريخ اليهود في بلاد العرب ,

لقد اغلقت التوراة المحرفة وتفسيرها (التلمود) الأبواب لكل من أراد الدخول في شعب الله , في أجلى صورة للعنصرية , مما يعني إرادة إغلاق ملف التوحيد , لولا تدخّل العناية الإلهية عن طريق النبي (سليمان) .

اما الهيكل او "قدس الأقداس" فأخذ مكانة مرموقة وملفتة في الثقافة اليهودية , اذ رأوه مركز العالم , والطريق الى تطهير اليهودي من الخطايا , وهو أثمن ما خلق الإله , وقيمته من قيمة بني إسرائيل , فهو مخلوق قبل خلق الكون . حتى انه خضع للكثير من تصورات الحاخامات الكونية , وتتذكر الثقافة الشعبية والكهنوتية اليهودية واقعة هدمه باستمرار , ويصلّون جميعاً لتعجيل إعادة بنائه .

وقد حاول القبّاليون توظيف الهيكل في شعائرهم ورموزهم عبر تعاليم (كبّالاه) . كما حاول الصهاينة استغلاله في دعم المشروع السياسي الصهيوني , عبر الادعاء بأن أساس جماعتهم قام عند هدم الهيكل , وأن دولة إسرائيل هي "الهيكل الثالث"[٤٠٣].

لقد ذكرت بعض المصادر انّ (نيرون) الصق تهمة احراق (روما) بالمسيحيين , ربما لأنهم كانوا في هذا المرحلة المتقدمة من تاريخهم (٦٤ م) جزءاً من المنظومة التوحيدية اليهودية , التي كانت متهمة –لما يمتلك بعض كهنتها من تاريخ تآمري– بتدبير الكثير من الحوادث المشابهة , لا أقلّ من قتلهم الأنبياء . وربما كان كهنة اليهود –ذوو العلاقة المميزة مع الوثنية الرومانية– هم من افتعل هذه الأحداث لإيقاع الضرر على المسيحيين الذين يشكّلون خطراً كبيراً على الوثنية اليهودية الجديدة .

انّ الأحداث التي اعقبت حريق روما شهدت ما يشبه الإبادة للمسيحيين في روما , حيث حُكم بالموت على اعداد ضخمة منهم , بأبشع الوسائل , فصُلب بعضهم , ولُفّ بعض اخر في جلود الحيوانات , وتمّ القامه للكلاب المسعورة في المسرح الروماني , فيما بلغت الوحشية ذروتها عندما تمّ طلي المسيحيين بالقار والزيت وإشعالهم في حدائق روما ليلا .

اما (دوميتيان) فقد اعتبر اعتناق المسيحية جرما , وحكم على المسيحيين بالموت , ومنهم قريبه القنصل (فلافيوس كليمنس) , وصادر أموال بعضهم , ووسّع اضطهاد كنائس اسيا الصغرى , فيما ألقى القديس (يوحنا الانجيلي) في زيت مغلي في روما . واعتبر الإمبراطور (تراجان) المسيحية ديانة محرّمة , واعتبر تجمعاتها من التجمعات السرية الممنوعة قانونا , وقد استغلّ اليهود هذه التشريعات في عهده , فاتّهموا

---

٤٠٣ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية , د. عبد الوهاب المسيري , المجلد ٤ , ج ١ , الباب ١٢ , ٢

(سمعان) اسقف أورشليم , فحُكم عليه بالصلب وهو في سن المائة والعشرين . وكذلك تمّ الفعل بأسقف إنطاكية (إغناطيوس) , فأُرسل الى روما وألقي الى الوحوش الضارية .

ورغم انّ التمييز بين الجماعتين –اليهودية والمسيحية– صار معتاداً بحدود عام ١٥٠ م , إلّا انّ الاضطهاد الروماني للمسيحيين استمرّ وبقوة , فرضاً للديانة الرومانية , التي لم يتم فرضها سابقاً على اليهود بهذه الكيفية , بل كان الخلاف مع جزء من اليهودية في ظاهره سياسي , بينما كانت روما تتعامل مع يهود (السنهدرين) بايجابية . وقد كانت أوامر روما تقضي بضرورة احترام المسيحيين للآلهة الحارسة للإمبراطورية , وتقديم القرابين للأصنام , كما يجب الاعتقاد بعبادة الإمبراطور ذاته .

وحتى على مستوى إمبراطور فيلسوف ومثقف مثل (اوريليوس) لم تكن المواجهة لتخفّ , بل انتقلت من التجريم القانوني للمسيحية الى تجريم وجودها فلسفيا , فهدّد من يُخَوِّف النَّاسَ من الله بالنفي . وفي عهده – الذي انتشرت فيه الكوارث الطبيعية ضمن رقعة الامبراطورية– تمّ إرجاع ذلك الى ذنوب المسيحيين وإساءتهم للآلهة الرومانية , لذلك تمّت محاصرتهم اجتماعياً وسياسيا . وكانت هناك عمليات اضطهاد واسعة في (ليون) عام ١٧٧ م .

وفي عهد (سبتميوس ساويرس) يمكن رؤية التناقض , الذي يكشف عن وجود نوعين من المسيحية , كالنوعين الذين انقسمت لهما اليهودية من قبل , حيث رغم وجود بعض المسيحيين في بلاط هذا الإمبراطور , كطبيبه (بروكولس) , إلّا انه اصدر مرسوماً يمنع المسيحيين من الدعوة الى دينهم والتبشير بما جاء فيه , فتعرّض المسيحيون في مصر وشمال افريقيا على اثر ذلك الى مذابح عديدة , لا سيما في قرطاجة عام ٢٠٣ م .

امّا (مكسيميانوس) الذي سمح للشعب في المشاركة باضطهاد المسيحيين , فقد وجّه غضبه نحو الأساقفة الكبار , حتى انّ معاملته مع المسيحيين وصفت بالبربرية القاسية . فيما قرّر (ديسيوس) عام ٢٥٠ م انّ من يكتفي باسم المسيحي ولا يقدّم الأضحية للآلهة الصنمية يتعرّض للملاحقة , وهو القانون الذي أعاد (فاليريانوس) تأكيده عام ٢٥٧ م . وقد كانت عمليات إعدام المؤمنين المسيحيين تؤخِّر فرص الوصول الى اتفاق . حيث أراد (ديسيوس) اعادة الديانة الامبراطورية القديمة , فاستغلّ حكّام الأقاليم هذا المرسوم وصاروا يذيقون المسيحيين أشدّ انواع التنكيل والعذاب , حتى ضعف بعضهم وقدّم القرابين للآلهة الوثنية , لكنّ الكثيرين فضّلوا السجن او الموت على ذلك , ومن هؤلاء (مرقوريوس) و (فابيانوس الروماني) و (بابيلاس الأنطاكي) و (إسكندر الأورشليمي) .

فيما كان عهد (فاليريانوس) متناقضاً كعهد (سبتميوس ساويرس) , حيث تضمّن بلاطه مجموعة من المسيحيين إلّا انه اصدر قرارات اجرامية ضدّ العموم المسيحي , وقرّر إعدام كبار رجال الدين المسيحيين ,

ومصادرة املاك الأغنياء وألقاب الفرسان والنبلاء منهم , فيما تسلب أموال النساء المتزوجات , والصغار يتم أخذهم للعمل في ضياع الإمبراطور سخرة . وممن تمّ قتلهم في عهده (سكستوس الثاني) اسقف روما , و (كبريانوس) اسقف قرطاجة .

وحين جاء (اوريليان) اصدر اوامره بقتل المسيحيين من جديد , رغم فترة الهدوء البسيطة نسبياً قبله . وقد خلفه مجموعة من الاباطرة كانت فترتهم هادئة قياساً الى عهده , حتى مجيء (ديوقليديانوس) .

لقد دخلت المسيحية في صراع غير متكافئ مادياً مع الوثنية العتيقة للرومان , وقد كانت صور الموت منتشرة ومعتادة بين المسيحيين المؤمنين , والذين دخلوا في عصر الشهادة , ليواجهوا هذا الطغيان الكبير . وكانت حرب الوثنية الرومانية على المسيحية المسالمة هي الأشد إبادة والأطول زمنا , وأكثر من عرقلت انتشارها[٤٠٤]. ونظر الرومان للمسيحية على انها خرافة , لا ديانة , دنيئة لا تستحق ان ينظر اليها –بحسب رؤيتهم– , فواجهوا انتشارها باعتبارها محرّمة رسمياً . وحسب رواية (ترتليانوس) صار التعبير الموجّه للمسيحي هو "لا حقّ لك في الوجود" .

لم يكن المنطلق الديني –بالمعنى الفلسفي– هو وحده ما يبعث على التحريض وقمع المسيحية , بل كان هناك الباعث النفعي المستغلّ للدين , كما هي دوافع (ديمتريوس) الصائغ في (افسس) , وايضاً دوافع تلك الساحرة في (فيلبي) , حيث يشرح حاكم (بيثينية) المدعو (بليني الصغير) عام ١٠٠م في تقرير للإمبراطور كيف تسبب انتشار المسيحية وزيادة عدد معتنقيها في تقليل عدد التقدمات للآلهة , وهو ما يعني انحسار سوق الذهب والبخور وغيرها , كما هو انحسار شديد لعمل العرّافات والكهنة .

كان المسيحي مكشوفاً للسلطة , حيث يعاني الانفصال عن لغة المجتمع الوثنية , وسوقه الوثني , وأعياده الوثنية , وأسرته الوثنية , وطقوسه الجماعية الوثنية , لذلك كان يعاني في كل نَفَس وفي كل خطوة .

ومن القصص التي يوردها (يوسابيوس) تلك التي تحكي استشهاد الضابط (مارينوس) في (قيصرية) , حيث دُعيَ للترقية الى رتبة قائد مائة , لكنّ زميلاً له طعن فيه , واتهمه بالمسيحية , فأعطى القاضي ل(مارينوس) ثلاث ساعات ليختار بين الإنجيل والسيف , فاختار الإنجيل , وقضى شهيدا .

وفي مرحلة تاريخية متأخرة بحدود ٣٠٦ م كانت كافية لإدراك المعاني الفلسفية والمعرفية والروحية للمسيحية , زار الإمبراطور (ماكسميانوس) قيصرية , في ذكرى ميلاده , وفي عادة هؤلاء الاباطرة الوحشية والسادية والدينية في نفس الوقت قرّر تقديم اضحيات بشرية تبتلعها الحيوانات المفترسة , فجاء باثنينِ , احدهما

[٤٠٤] الاستشهاد في المسيحية , اسقف الغربية : الانبا يؤانس

مسيحي هو (اغابيوس) , والآخر مجرم وثني قاتل , لكنّه اطلق سراح القاتل , وعرّض المسيحي للاستهزاء في العامَّة , ثمّ القاه الى أنثى دب جائعة , ولمّا لم يمت القاه في البحر .

وقد وصل الامر في (ليون) و (فيينا) الى منع المسيحيين من الدخول الى الاسواق والحمامات العامة , وذلك في عهد (اوريليوس) , من خلال تحريض العامَّة من الوثنيين وترك الامر اليهم , حتى انّ الجمهور أخذ يعذّب المسيحيين ويقتلهم , ومن ثمّ ألقى جثثهم في نهر (الرون) . فيما كانت بيوت بعض المسيحيين تتعرض للسرقة والحرق . وفي احدى المحاكمات الغريبة لرجل دين مسيحي في ازمير يُدعى (بوليكاربوس) كان القاضي يصادق على رغبات الجمهور الوثني كأحكام قانونية , وحين دعوا لحرق الرجل اقرّ القاضي ذلك , فجمعوا الحطب استعداداً لذلك في الحال .

قام الرومان باضطهاد المسيحيين في مصر , باعتبارهم خطراً يهدد سلامة الدولة , لعدم مشاركتهم في إقامة الشعائر وتقديس تماثيل الاباطرة . وقد بدأ اضطهادهم في مصر بطريقة منتظمة خلال حكم (سبتميوس سفروس) بحدود ١٩٣ – ٢١١ م , وبلغ اشدّه في أواخر عصر (دقلديانوس) في حدود ٢٨٤ – ٣٠٥ م , وهو ما تسمّيه الكنيسة "عصر الشهداء" .

انّ القراءة المسيحية المعاصرة لفترة الاضطهاد الأكبر والأبشع والاقسى في تاريخ المسيحية خلال عهد (دقلديانوس) ليست قائمة على منطق عقلي فاحص , انما هي قراءة ترى فترتين من التسامح والاضطهاد , من تغيّر المواقف السياسية , من الاختلاف بين الشرق والغرب بالصدفة . لكنّ الامر ليس كذلك , حيث انّ (دقلديانوس) خرج بأمر إهلاك المسيحية من داخل الغرفة المقدسة في المعبد , وهو الرجل الذي كان يشغل المسيحيون الكثير من الوظائف داخل قصره , فيما كان صهره (جالريوس) وثنياً متعصباً , وهو زوج (فالريا) ابنة الإمبراطور التي كان البعض يراها مسيحية , وكذلك أمها (بريسكا) ! . انّ هذه الشبكة التي احرقت المسيحيين لاحقاً لم تكن يوماً لتؤمن بالمسيحية أبدا , لكنها بدأت مشروعاً جديدا , حين وصلت بالمسيحيين الى ما وصلت اليه الفرعونية باليهود , حينما جعلت قسماً منهم يهوداً وثنيين , يقودهم كهنوت الظلام في السنهدرين , كذلك أصبحت المسيحية على قسمين , نتج احدهما عن كهنوت الظلام الجديد الذي أسسه (بولص) .

انّ هذا المشروع يقتضي إبادة كل الجماعات المسيحية التي لا تزال توّحد الله , والإبقاء على الجماعات (البولصية) , التي ستتعبّد بالديانة الرومانية الجديدة , وهي القائمة على الوثنية (البولصية) , التي يمكن ان تسميتها النسخة المحدَّثة عن الديانة الرومانية القديمة , والتي هي أيضاً كانت نسخة محدثة عن الديانة الفرعونية القديمة .

أما فيما يتعلق بالهيكل المفترض مادياً , والذي يسميه المسلمون "المسجد الأقصى" , والذي يدّعي اليهود اليوم ملكيته , كبقايا لهيكلهم , فهناك من الاحداث والوقائع الغريبة والمحيرة التي صدرت عن الحكام المسلمين –لصالح الخطط اليهودية– ما يثير العجب . فأول من احدث الايهام تاريخياً كان الخليفة (عمر بن الخطاب) , حينما اختط للمسلمين –عند فتحه (القدس) – مسجداً على الصخرة الجنوبية من مسجد (داوود) ! , في حين كان مسجد (داوود) الى الشمال !! , بمشورة اليهودي المتأسلم (كعب الاحبار) , الذي كان يرافقه في الرحلة٤٠٥ , وكان يشغل رسمياً المفتي الرسمي للدولة , رغم وجود نخبة الصحابة , فيما هو اسلم في خلافة (عمر) ! . حتى اتى زمان الخليفة الاموي (عبد الملك بن مروان) , والذي بنى ما يُعرف بأنه اسم للقبة الصفراء المثمنة والمشهورة اليوم "المسجد الأقصى" , فكان تعزيزاً للإيهام الذي ابتدأه (عمر بن الخطاب)٤٠٦ . فيما كان (صلاح الدين الأيوبي) اول من اعطى اذناً لليهود بالعودة الى قرب "المسجد الأقصى" , بواسطة تدخّل طبيبه الخاص اليهودي القبّالي (موسى بن ميمون)٤٠٧ . ثم اتى الخليفة العثماني (سليمان القانوني) سنة ١٥٣٦م ليعطي اليهود (فرمان) يأذن لهم بموجبه بالتعبد قرب مسجد (داوود) الاصلي٤٠٨ .

والرجال الاربعة كانت لهم خاصية مشتركة في التأريخ الانساني , فجميعهم كانوا معادين جداً لآل بيت النبي (محمد) , وعنيفين مع شيعة آل البيت . وهذان الامران معاً يفتحان باباً للتساؤل حول الدوافع الحقيقية وراء سلوكيات هؤلاء الرجال الاربعة , وخصوصاً ان الاعلام الرسمي جعلهم من قمم التاريخ , فيما يعزز المال القبّالي٤٠٩ المعاصر فكرة الرفع من شأنهم وطمس عيوبهم . ف(عمر) لا يمكن ان يتغاضى احد عن موقفه من بنت الرسول (فاطمة الزهراء) وكسره ضلعها , وحرقه لدار (علي) وصي الرسول , وقمعه لشيعة (علي) من الصحابة , وموقفه من نبط العراق المسلمين والمسيحيين . فيما يكفي (عبد الملك) انه امير السفاح والجزار (الحجاج الثقفي) , و أبو (الوليد) القائل حين مزّق القرآن الكريم (أتتوعد كل جبارٍ عنيدٍ ها انا ذا جبارٌ عنيدُ *** فاذا لقيتَ ربك يومَ حشرٍ فقلْ يارب مزّقني الوليدُ) . اما (صلاح الدين الأيوبي) فقد نكّل بشيعة (علي) و (الزهراء فاطمة) من (الفاطميين) في مصر وبلاد الشام , حتى افنى اقواماً كثيرة منهم , ويقال انه بقر بطون الحوامل من شيعة (علي) . وقد كان (سليمان القانوني) يغزو ديار الشيعة بصورة منظمة , ويضيق عليهم معايشهم , وكانت بلاده تغزوهم باستمرار , وفرض عليهم قوانينه وعقائده .

---

٤٠٥ البداية والنهاية , ابن كثير , ج ٧ , فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب

٤٠٦ البداية والنهاية , ابن كثير , ج ٨ , مسير إبراهيم بن الاشتر الى عبيد الله بن زياد

٤٠٧ موقع (حكمة الكابالا) , سيرة العالم والطبيب (موسى بن ميمون)

٤٠٨ حائط البراق وليس حائط المبكى , د. عادل حسن غنيم – أستاذ التاريخ والمعاصر بجامعة عين شمس , نشر : مركز المعلومات الفلسطيني (وفا)

٤٠٩ حيث تخضع اغلب شبكات الاعلام في العالم لتأثيرات القبّالي (روبرت مردوخ) عملاق الاعلام

فالخلاصة ان هؤلاء الاربعة كانوا اهم اسباب عودة اليهود للسيطرة على الهيكل , والسبب الاقوى في وهم الاعلام والعقل الاسلامي والعربي اليوم عن حقيقة مكان المسجد الاقصى , والذي يظنونه "القبة الصفراء" , وهذا ما وافقهم عليه اليهود وتركوه لهم .

الإعلان الأخير للمسيح : ان المجتمع الروماني كان المجتمع الوحيد الذي وجد انسجاماً سلوكياً وتحالفاً سياسياً مع المنحرفين من كهنة اليهود , بعد المجتمع الفرعوني . لذلك تمتع اليهود الفاسدون في العهد الروماني بما يشبه المعاملة الحسنة . على خلاف ما لاقاه اليهود الذين ظلوا بعيدين عن الوثنية . حتى وصل الامر الى الحكم بإعدام المسيح (عيسى) , بتشريع يهودي , وتنفيذ روماني .

الامر الآخر هو قيام الدولة الرومانية بذبح المئات من المسيحيين الحقيقيين , لكنها تحولت فجأة بعد ذلك الى المسيحية , بثوب وثني وفلسفة ثالوثية , لتذبح المسيحيين الموحدين ايضاً بداعي التجديف! . وهذه المفارقة هي ذاتها التي عاشها اعداء المسيح التقليديين من اليهود , مثل (بولص) , الذي تحول ليكون داعية الى المسيحية , لكنها المسيحية الوثنية الرومانية ذاتها .

وحين جاء المسيح الى بني إسرائيل اتهمه كهنتهم بالسِحر , وحاولوا جاهدين القضاء على رسالته الأخلاقية[٤١٠]. وعند هذا المستوى المتدني جداً , الذي وصله النافذون والنخبة واصحاب المال في مجتمع بني اسرائيل , صار من اللازم انقاذ من بقي منهم على فطرة الدين الاول , وهم كثر , بالإضافة الى اعلان انحراف نخبتهم رسميا , وانهم اصبحوا لا يمثلون شريعة الرب . ان هذا الامر استوجب ان يتم على يد شخصية ليست عادية , بل على لسان نبي من انبياء الله . لكنّ هذا النبي–ليقنع مجتمع بني إسرائيل– كان لازماً عليه ان يأتي بظروف وخصائص اعجازية , وان يبهر تلك العين المادية لبني اسرائيل . فتوفرت ل(عيسى) المسيح مجموعة خصائص , مكنته من القاء الحجة على مجتمع بني اسرائيل , واحراج نخبتهم , ولادته الاعجازية التي فاقت الكثير من المعاجز , ونسبه الملكي الى (داوود) , وكفالته من عائلة نبوية . لقد وفّرت هذه النقاط الثلاث تغطية مناسبة جداً لتحرك (عيسى) , لفضح كهنة بني اسرائيل , وبيان انحرافهم , بما يمنع أي شخص من تكذيبه . فكانت وظائف المسيح الرئيسية مرتبطة بإعلان "سلب راية الايمان" من يد كهنة بني اسرائيل , واعلان انحراف المجتمع الاسرائيلي , وخصوصا النخبة الكهنوتية , واستنقاذ الموحدين من بني اسرائيل ,

[٤١٠] سورة الصف ٦ – ٩

وفصلهم عن المنظومة اليهودية , والتمهيد لقيام مجتمعات توحيدية اخرى , تحمل راية الايمان والتوحيد , والتخفيف من غلواء المادية التي طغت على بني اسرائيل وعلى العالم .

وبتناول محاكمة السيد المسيح ذاته لكهنة اليهود المنحرفين في الهيكل , قبل ان تتم محاكمته من قبل الرومان , يمكن معرفة مدى الخطر الباطني والدنيوي الذي وصله هؤلاء المتحدثون باسم الله , حيث جاء مصدقاً للتوراة , ومبشراً برسول يأتي بعده , مظهراً المعجزات , لكنّ كهنة اليهود قالوا أن ما شاهدوه منه ليس سوى السِحر , وأرادوا جاهدين أن يقضوا على رسالته الإلهية[٤١١] .

ان البشارة المسيحية كانت في الغالب عودة باليهود الى عالم الروح , وكسراً لقالب المادية الذي اخترق اجسادهم , التي أضحت بلا روح[٤١٢]. في حين كانت معجزات المسيح مادية , مرتبطة بالجسد غالبا , لتساير هذه الحالة اليهودية الجديدة , كما في معجزة أرغفة الخبز الخمسة التي اطعم بها خمسة آلاف من بني إسرائيل قبل دخول الهيكل ليعلن إعلانه الأخير[٤١٣].

وكان النبي (عيسى) يدرك جيداً تفكير بني اسرائيل وفلسفتهم الجديدة فأراد أن يبهرهم وينبههم لما هو قادم , فكانت ردة فعلهم ((حَقّاً, هَذَا هُوَ النبي الآتِي إِلَى الْعَالَمِ))[٤١٤], وَعَلِمَ يَسُوعُ ((أَنَّهُمْ عَلَى وَشْكِ أن يَخْتَطِفُوهُ لِيُقِيمُوهُ مَلِكاً)) , فكانت ردة فعله ((فَعَادَ إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ))[٤١٥]. وحاول –بموعظة أخلاقية– ان يخرجهم من ذلك العالم المادي الذي ادخلهم فيه كهنتهم وأغنياؤهم[٤١٦], وهو يسير ماراً بالكثير من مدن فلسطين , قاصداً الى مدينة (القدس) , يحرك المشاعر بداخل اليهود ويعيد اليهم روحهم التي فقدوها , ليدخلهم في ذلك الجو الاخلاقي السامي من الدين , بل اسمعهم مفاهيم جديدة مثل التضحية والشهادة [٤١٧], وهذا ما يختلف عن الفكر الاسرائيلي القديم[٤١٨]. وقد جاء (عيسى) وأحوال بني إسرائيل في غاية من الفساد والإفساد , فعقائدهم قد طمست, وأخلاقهم قد رَذُلَتْ, وسيطرت عليهم المادية, حتى إنهم اتخذوا من المعبد سوقاً للصيارفة والمرابين, وملهىً لسباق الحمام , فأخرجهم منه , واتهمهم بأنهم جعلوه مغارة لصوص[٤١٩], وأخبرهم بأن العقوبة الثانية

---

[٤١١] سورة الصف ٦ – ٩

[٤١٢] انجيل يوحنا : ٦ : ٢٦ – ٢٧

[٤١٣] انجيل يوحنا : ٦ : ١ – ١١

[٤١٤] انجيل يوحنا : ٦ : ١٤

[٤١٥] انجيل يوحنا : ٦ : ١٥

[٤١٦] انجيل يوحنا : ٦ : ١٦ – ٦٣

[٤١٧] انجيل لوقا : ١٤ , ١٥ , ١٦ , ١٧ , ١٨ , ١٩ , ٢٠ , ٢١

[٤١٨] سورة المائدة ٢٤

[٤١٩] انجيل متى : ٢١ : ١٢ – ١٣

قادمة إليهم على إفسادهم الثاني[٤٢٠]. ثم توجه المسيح (عيسى) الى الهيكل , وهو رمز بني اسرائيل في اورشليم , ليعلن ذلك الاعلان الاخير في بني اسرائيل , لكن كان يجب اولاً ان يحتج على الزعماء وكهنة هذا الميراث من الانحراف وقتلة الانبياء باسم الدين , فسألوه عن حُجته , بمعنى أنهم لم يختاروه , فاحرجهم حين سألهم عن معمودية (يوحنا) , من الله أم منهم ؟ , فاذا قالوا " من السماء " وهم لم يتبعوه كان الامر محرجا , وإن قالوا " من الناس " كانوا محرجين من الشعب الذي يرى (يوحنا) نبيا , فقالوا "لا نعلم" , فأخبرهم أنه ايضاً لن يشرح لهم حجته . وضرب لهم مثلاً يشبه ما هم فيه من دعوى القيادة والكهنوت بولدينِ , أحدهما رفض أمر أبيه بالعمل في الزرع لكنه مضى الى العمل لاحقا , وهذا هو حال الزانيات والخاطئين , والآخر قال انه ذاهب الى العمل لكنه كذب وظل ولم يذهب , وهذا هو حال مدعي الكهنوت المنحرفين , فأيهم استجاب لأمر الله ؟[٤٢١], ثم أوضح حقيقة هؤلاء الزعماء والكهنة أمام الشعب بأن الزانيات والخاطئين افضل منهم لأنهن تابوا آمنوا ب(يوحنا) , وهؤلاء الزعماء والكهنة لم يتوبوا ولم يؤمنوا[٤٢٢]. ثم اردفهم بمثل آخر يحرق اوراقهم , فضرب لهم مثال العبيد العاصين لأوامر إلههم والقاتلين لأنبيائه , بأنهم كالعمّال الذين يعصون أمر سيدهم مالك الأرض , الذي غرس الزرع بيده وبنى سور البستان , ويقتلون عبيده الذين يرسلهم لجني الثمار , حتى أنه حين يأس منهم أرسل ابنه اليهم , لعلهم يهابونه , لكنهم اخذوه وقتلوه طمعاً بالبستان , وسألهم المسيح عن الاجراء المناسب الذي على صاحب البستان فعله بأولئك العاصين الطاغين[٤٢٣], فأجابوه مضطرين بأن عليه إهلاكهم وتسليم البستان الى غيرهم من الصالحين للعمل[٤٢٤], وأخبرهم بأنهم بجهلهم كمن رفض حجر الرب الذي هو حجر الزاوية في البناء الصالح[٤٢٥], وهنا حانت اللحظة , فأعلن المسيح ذلك الاعلان العالمي ((لذلك اقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم و يعطى لامة تعمل اثماره))[٤٢٦], نعم , تم نزع ملكوت الله منهم , وتم نقله الى امة تعمل من اجل ثمرة التوحيد النقية الطيبة .

ولعلّ المفتاح الاول لمعرفة عقائد (المسيحية اليهودية السنهدرينية الرومانية) الجديدة يكمن في معرفة (بولص) , الذي تلقّبه الكاثوليكية بالرسول , لما له من دور تأسيسي للمرحلة البابوية الرومانية . وعلى الرغم

---

[٤٢٠] انجيل متى : ٢٣ : ٣٧

[٤٢١] انجيل متى : ٢١ : ٢٣ – ٣١

[٤٢٢] انجيل متى : ٢١ : ٣٢

[٤٢٣] انجيل متى : ٢١ : ٣٣ – ٤٠

[٤٢٤] انجيل متى : ٢١ : ٤١

[٤٢٥] انجيل متى : ٢١ : ٤٢

[٤٢٦] انجيل متى : ٢١ : ٤٣

من انّ (بولص) أعطى (عيسى) دوراً اوليّاً , فأنّ هذا لا يعني انّه مؤسس هذا الدِين , مثلما انّ (هاملت) لم يكتب مسرح شكسبير[٤٢٧].

وعلى ما يبدو فقد كان (بولص) يدخل في حوارات الفرق اليهودية , مما يثير بينهم الفرقة والصراع كثيرا , (ولمّا علم بولص انّ قسماً منهم صدوقيون والقسم الاخر فريسيون صاح في الرجال الإخوة ... فَلَمَّا قال ذلك وقع اختلاف بين الفريسيين والصدوقيين وانشقّت الجماعة ...)[٤٢٨].

(بولص الطرسوسي) المغامر مجهول الأصل والديانة , ولد في (طرسوس) من (كيليكية) في اسيا , بعيداً عن (القدس) , ولم يَرَ المسيحَ في حياته . هاجر الى (القدس) , لغاية ما , لكنّه عمل شرطياً ومخبراً للكاهن اليهودي الأكبر , الذي تعيّنه الدولة الرومانية , وبالتالي فكلاهما موظّفان رومانيان . يذكر الكتاب المقدس انّ اسمه قبل المسيحية كان (شاؤول) . عمل لصالح الكاهن الأعظم في مطاردة المؤمنين المسيحيين وسجنهم وتعذيبهم . ثمّ أعلن انه في طريقه الى دمشق –ضمن مهمة خطف ضد المسيحيين الهاربين الى دولة الانباط– ظهر له (يسوع المسيح) , وقد جعله رسولا[٤٢٩].

ويبدو انه استثمر رغبة جهتين في التهام الدين المسيحي , الرومانية , واليهودية الكهنوتية , فحظي بمساعدتهما , وحظيا بمساعدته . لذلك دخل في مواجهة حادّة مع تلامذة (عيسى) المسيح من الحواريين , مثل (يعقوب العادل) القائم بأعمال (عيسى) الإدارية , و (سمعان بطرس) القائم على تعاليم (عيسى) الدينية , واللذان يشرفان على جماعة (القدس) التي تتلمذت على يد النبي. حيث ادّعى انّ احلامه ورؤاه الخيالية ل(عيسى) اهم من الارث الذي تركه لمدرسة (القدس) , التي يشرف عليها اخو المسيح (يعقوب) , لذلك عمل جاهداً – ونجح كثيراً – في طمس تاريخ مدرسة (القدس) المسيحية للحواريين وانصار المسيح الأوائل .

وقد اكمل (لوقا) تلميذ (بولص) تلك المهمة في تزوير التاريخ , فترك انجيلاً مليئاً بالتناقضات التاريخية والفكرية , كلّ هدفه طمس معالم المسيحية الاولى للحواريين , الذين صوّرهم في إنجيله بنحو يظهرهم لا يفهمون تعاليم المسيح , كما فهمها الغريب (بولص) ! .

وقد كانت اهم نصوص (بولص) المتوارثة هي رسائله , التي كتبها في حدود (٥٠ – ٦٠) م , وبالتالي فهي اسبق من تاريخ الاناجيل التي وصلت الى العصر الراهن , والتي كُتبت كما يبدو بحدود (٧٠ – ١١٠) م , ومن ثمّ فهي متأثرة بما اوجده (بولص) من تفسيرات وتأويلات وكهنوت , وما أضفاه من رؤى على تعاليم (عيسى) .

---

[٤٢٧] مؤرخ اللاهوت الديني (هايم ماكبي)

[٤٢٨] سِفر أعمال الرسل ٢٣

[٤٢٩] سِفر أعمال الرسل ٩

وفي الوقت الذي حاولت فيه أناجيل الكنسية الباطنية التماهي مع مفاهيم (بولص) , من خلال موائمة الأحداث التي سبقت ظهوره مع فلسفته , فقد تمّ اخفاء كل الموروث الانجيلي لتلامذة (عيسى) الذين خالفوا (بولص) في اعتقاداته . وكذلك تمّ تصوير تلامذة (عيسى) المباشرين على انهم مجموعة من محدودي الذكاء الذين لم يستطيعوا مواجهة العقل الذي تمتع به الحرباء (بولص) . واتهمت الكنيسة الرسمية لاحقاً كل تعاليم وموروث حواريي (عيسى) الرسول بالكفر والهرطقة , وأمرت بإزالته , في إبادة لتاريخ وأمة , وسرقة مشابهة لما قام به كهنة الفراعنة عندما سرقوا اليهودية , مع الفارق انّ سرقة الديانة المسيحية كانت أشدّ قسوة وابلغ اثرا .

ومن هنا يمكن رؤية أن تلك الشخصيات المختارة والنخبة الإيمانية من الحواريين قد عُتِّم عليهم في الكتاب المقدس , وتمّ تحويلهم الى شخصيات باهتة , فيما يُفترض انّ التاريخ المكتوب عنهم يكون بحجم ما ورثوه وما عانوه وما أفاضوه , لكنّ الكتاب المقدس اكتفى ببعض معجزات لهم , وبعض ما ادَّعاه من حضور (بولص) بينهم .

والغريب في التاريخ الرسمي لهذه الديانة أنْ ينقل إرث رجل لم يلتقِ النبي (عيسى) صاحبَ الرسالة مثل (بولص) , ويترك جملةً وتفصيلاً ما افاضه القائم بشؤون المسيحية بعد (عيسى) مباشرة , وهو (يعقوب) المدعو اخا المسيح ! . اذ تزعّم (يعقوب) المسيحيين منذ رحل (عيسى) , وكان رائدهم عند غيابه , وعلى جماعته أطلقت الكنيسة الرسمية (كنيسة القدس) .

لقد هاجم الابيونيون –وهم الفقراء من اتباع (عيسى)– (بولص) وعقائده , واعتبروها محرّفة ووثنية , فيما يقول (ماكبي) انّ هناك نصّاً عربيًّا لأحد اتباع المسيح الأوائل يهاجم فيه (بولص) .

وفيما ينقل (لوقا) تلميذ (بولص) انّه من مواليد (طرسوس) في اسيا , كان (بولص) يكذب على أهل (رومية) فيقول انّه إسرائيلي من سِبْط (بنيامين) . وهو ما تتجاوزه الكنيسة الرسمية ولا تحاول الخوض فيه , لأنّ ذلك سيكشف كيف انّ (بولص) كان يحاول خداع الامم بدعوى قربه من مصدر الرسالة , وهذا ما عبّر عنه أستاذ تاريخ اللاهوت (ماكبي) ايضا . واستمراراً في الخداع كان (بولص) يدّعي انه (فرّيسي) , لما كان من سمعة جيدة نسبياً لطائفة الفرّيسيين اليهود , حيث هي اقرب للناس من طائفة الصدوقيين التي كان كاهنها يمثّل السلطة الرومانية , كما كان تعبير الفرّيسيين اقرب لتمثيل اليهودية شعبياً , مما يسمح ل(بولص) ان يدّعي انّ معارفه تستمد جذورها من اليهودية , لكن المفاجأة انّ (بولص) كان شرطياً عند كاهن الصدوقيين كما عبّر هو ! .

يقول لوقا في اعمال الرسل (وَأَمَّا شاؤول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجرّ رجالاً ونساءً ويسلمّهم الى السجن)[٤٣٠]. وقد كان الكاهن الأكبر المشرف على السجن صدوقيّاً كما ينقل المتخصصون .

لقد كانت تعاليم (بولص) وثنية , ترجع اصولها الى معتقدات الأقوام غير الموحِدة , مما يعني انها لا ترتبط بالتوحيدية اليهودية , لا سيما في عقيدة الفداء والتضحية البشرية للمسيح وألوهيته .

فيما كان (مرسيون) –الذي عاش في روما بعد زمان (بولص) – يبشّر بعقائد (بولص) الجديدة , لكنّه كان يراها دِيناً جديداً , كما هي فعلاً , ولا يرى انها ترتبط باليهودية .

والطريف انّ فلاسفة المسيحية في القرون التالية حاولوا موائمة معتقدات (بولص) مع الجذور اليهودية , رغم معرفتهم بالمواجهات الحادة بينه وبين رجال الدين اليهود والمسيحيين الأوائل , الى الدرجة التي ادّعى فيها انه يهتمّ للأمم غير اليهودية ويترك اليهود لما اختاروا بينهم .

لقد كانت الفترة الدموية الإرهابية (٣٠٣ – ٣١١م) كافية لإبادة ما كتبه فقراء وعامّة المسيحيين الابيونيين , حول (عيسى) او (بولص) , ويبدو انّ غاية هذه الحملة لم تتعدَ هذا الهدف , لكنّ آراءهم المنقولة في كتب مَن ردّ عليهم تكشف انهم لم يروا في (عيسى) سوى انه بشر رسول , وانّ (بولص) كان منحرفاً عن جادة التوحيد . ورغم انّ الابيونيين كانوا اتباع (عيسى) وشهدوا رسالته وانتشارها , كما انهم عرفوا (بولص) عن قرب , إلَّا انّ الكنيسة الرسمية رفضت شهادتهم بالأصل الوثني ل(بولص) وأنه لم يكن يهودياً حتى خروجه من (طرسوس) .

وفيما انقسم اليهود حول نبوة (عيسى) , كان جمع غفير منهم –لا سيما شعبيا– يصدّق برسالته , سوى الكهنوت الذي عمل لديه (بولص) . وفي الوقت الذي كان غالب اليهود ومعهم المسيح وحواريوه يعادون السلطة الوثنية الرومانية , كان (بولص) يتعاون معها قبل وبعد دعواه الباطلة , وقد تم بيان كيف كان ذلك قبل كذبته الكبرى , وبقي وجوب معرفة كيف كان تعاونه ما بعدها لاحقا , حيث انّ كذبته وسرقته للمسيحية لم تكن سوى اتمام لمهمة أمنية رومانية .

ونظرية الكائن الالهي "الرَّب" الذي يفدي البشرية لم تكن سوى أسطورة وثنية مصرية قديمة , وهذه النظرية وفَّرت لاتباع (بولص) فرص الذنوب الكبرى والمجازر والاساءة وكلّ اثم , بدعوى التكفير عن الخطايا من خلال الإيمان بالمسيح , وكانت أصل "صكوك الغفران" سيئة الصيت .

لا يمكن للباحثين –منطقياً– استساغة تحوّل اكثر رجال السلطان الوثني اجراماً –مثل (بولص = شاؤول) – الى متحدّث باسم الله ورسوله , وقيّماً على معتقدات وسلوك تلاميذ المسيح الأوائل من الحواريين[٤٣١]. وهنا

---

[٤٣٠] سِفر أعمال الرسل ٨ : ٣

[٤٣١] سِفر أعمال الرسل ٩ : ١ – ٢

يمكن الاستعانة بالمفهوم الرسالي القرآني الذي يخبر انّ "عهد الله" –وهو الرسالة والنبوة والإمامة– لن يكون من نصيب الظالمين , فالله هو من يجعله حيث يشاء , ولا يكون هذا الاختيار بالمزاج البشري , لا سيما لظالم مثل (بولص)[٤٣٢].

ويبدو –كما انتبه المختصون– انّ ذهاب (بولص) الى دمشق لم يكن من اجل الرسائل , فدمشق كانت تقع تحت الحكم العربي لملك الانباط (الحارث) , الذي لم يكن يوالي الرومان , وكان يدخل في خصومة معهم , لذلك لجأت اليه جماعات من المسيحيين , هرباً من اجرام الرومان والكاهن اليهودي الأكبر , وبالتالي لن يسمح لبولص ان يسوقهم موثقين الى أورشليم , لكنّ الامر –كما يُقرأ عسكرياً– لم يكن سوى عملية من عمليات الخطف التي كان يديرها (بولص) ضد قيادات الجماعة المسيحية المؤمنة .

وفعلاً يرى كاتب مسيحي في العصور المتأخرة يُدعى (كليمنت) في كتاب له بعنوان "استكشافات" انّ (بولص) توجّه الى دمشق لاختطاف (بطرس) , احد قطبي المسيحية الناصرية , الذي لجأ الى دمشق , بعد محاولة اغتيال (يعقوب) القطب الاخر في المسيحية الاولى . وهذا ما أيَّده اعتراف (بولص) في رسالته الى أهل كورنثوس , حيث اعترف ان الملك (الحارث) كان يبحث عنه ليمسكه , لكنه هرب بصعوبة[٤٣٣].

ورحلة الاغتيال والخطف هذه الى دمشق هي التي ادّعى (بولص) انّ وحي المسيح نزل عليه في الطريق اليها , فأخبره انه رسوله الى الأمم , والتي يتناقض في نقلها الكتاب المقدس , ليقول مرة انّ مرافقي (بولص) رأوا الشخص ولم يسمعوا الصوت , ومرة انهم سمعوا الصوت ولم يروا الشخص ! . ومن هذا الطريق الإرهابي ابتدأت قصة (المسيحية الرسمية الكاثوليكية البابوية) .

ومن اهم مغالطات وبدع (بولص) التي جاء بها من الطقوس الفرعونية –المرتبطة ب(اوزوريس) – فكرة "القربان المقدس" , حين يشترك المؤمن في شرب دم المسيح الذي افتداه[٤٣٤], والتي كان اليهود والمسيحيون الأوائل يرونها من عادات الوثنيين , وهي المقاطع التي تتوافق مع معتقد (بولص) في رسالته الثانية لأهل كورنثوس[٤٣٥], ورسالته الاولى لهم[٤٣٦], والغريب انّ (بولص) يدّعي تسلّمه ذلك الطقس بالوحي عن طريق "الرَّبّ" , كما في رسالته لأهل كورنثوس[٤٣٧].

---

[٤٣٢] سورة البقرة ١٢٤

[٤٣٣] رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ١١ : ٣٢ – ٣٣

[٤٣٤] انجيل يوحنا ٦ : ٥٣ – ٥٨

[٤٣٥] الإصحاح ٥ : ٢١

[٤٣٦] الإصحاح ٥ : ٧

[٤٣٧] الإصحاح ١١ : ٢٣

ومن الاعمال التي ابتكرها (بولص) كان إنشائه للكنيسة , حيث لم يكن المسيحيون –والنبي (عيسى) كذلك– قد اسسوا مراكز دينية خاصة بهم , وهذا ما يكشفه الكتاب المقدس في اعمال الرسل[٤٣٨]. لكنّ (بولص) أراد ان تكون لسلطته تراتبية ادارية , مشابهة لما كانت عليه الوثنية الفرعونية , والرومانية , وكذلك ما يمكّنه من منافسة الكهنوت اليهودي القائم على مركزية الهيكل . وهو الامر الذي أعطى للرومان لاحقاً القدرة على إدارة دفّة الأمم المسيحية .

ورغم التناقض الذي يوجد في نصّين للكتاب المقدس في الإصحاح السادس عشر من انجيل (متّى)[٤٣٩], إلّا انه يمكن الاستشفاف منه انّ (عيسى) جعل (بطرس) الزعيم الروحي للأمة المسيحية , ولا يمكن معرفة كيف تسنّى ل(بولص) ان يعارضه ويناقشه ويدخل معه ومع الجماعة التي يشرف عليها في (القدس) في خلاف ! . لكنّ من كتبوا الإنجيل بعد (بولص) عالجوا هذا الإشكال بالطعن في (بطرس) في النصّ الذي يليه[٤٤٠]! . امّا مفردة "كنيستي" التي جاءت ضمن المقطع فهي ربما من وضع هؤلاء الكتبة , وربما هي ترجمة منهم لمعنى روحي قصده المسيح , وهذه الترجمات المحرفة ترد كثيراً في الإنجيل او في غيره , كما ترجم الاثآريون مفردة (دنجير) السومرية بمعنى "إله" ولم تكن إلا بمعنى "ولي" او "نبي" . وربما كان من أهداف هذه النصوص الاثارة المتعمدة وتصوير الاناجيل البولصية للحواريين بنحو يظهرهم بمستوى أقلّ من (بولص) ذاته , لمنحه فرصة البروز والقفز على التاريخ .

وفي الوقت الذي كان فيه (بولص) يرتبط بعلاقات مميزة مع الكاهن اليهودي الصدوقي الأكبر , وكذلك يتمتع بالمواطنة الرومانية التي وفَّرت له الحماية العسكرية , كان اتباع (عيسى) وعائلته يعانون ضريبة إيمانهم , كسائر اتباع الرسل , بخلاف (بولص) . فقد قبض الكاهن اليهودي الأكبر على المشرف على المسيحيين بعد (عيسى) المدعو (يعقوب) وقام بإعدامه , ومن بعده اصدر الرومان أمراً باعتقال ذرية (داوود) , وعلى اثره ألقوا القبض على خليفة (يعقوب) المدعو (شمعون) وأعدموه . وهذا ما يفسّر هروب (بطرس) وجماعته الى دمشق الانباط , رغم انه لم يكن من ذرية (داوود) .

وقد كان الخلاف بين الحواريين وبين (بولص) واضحا , يثبت أنّهم كانوا يحاربون أفكاره بشدّة . اذ انّ اخطر دعاوى (بولص) كانت في رفضه للناموس "شريعة النبي موسى" , ومنها الختان , مما اثار ضجة كبيرة , من داخل اليهود الذين كانوا يعرفون انّ (عيسى) جعل الشريعة الموسوية جزءاً عملياً من رسالته , ومن داخل المسيحيين الذين استهجنوا هذه البدعة البولصية , ومن داخل الأمم التي اضطربت نتيجة لما يأتيها من رؤى

---

[٤٣٨] الإصحاح ٢ : ٤٦ – ٤٧

[٤٣٩] بين ١٧ – ١٩ و ٢٣

[٤٤٠] ١٦ : ٢٣

مختلفة حول تعاليم المسيحية . لذلك كانت المحاكم المسيحية تُعقد لمسائلة (بولص) , وأحياناً كان جمهور (القدس) المسيحي يريد تأديبه , إلَّا انه كان ينجو بفعل الحماية الرومانية , وعلى يد الضبّاط والجنود الرومان , وقد أشار لذلك الكتاب المقدس[٤٤١]. ورغم انّ هذه النصوص وما بعدها تمت صياغتها لصالح آراء (بولص) , إلَّا انها تكشف مدى الخلاف بين الحواريين وبينه .

وفي رسالته لأهل (غلاطية) يكشف (بولص) للباحث عدّة حقائق , فهو قد تمّ استدعائه للمحاكمة من قبل زعماء الحواريين في (القدس) , وقد كان يرافقه (تيطس) اليوناني الذي لا يلتزم بالشريعة الموسوية , ويظهر واضحاً انه كان متهماً باستخدامه لإنجيل منحول لدعوته بين الأمم , يخالف ما عليه الْحَوَارِيُّونَ , لذلك كان مضطراً لعرضه على هؤلاء الزعماء , وفيه أيضاً انّ المسيحيين كانوا يرصدون له من يراقبه ويتجسس على تحركاته , مما يكشف عن ريبة كبيرة تجاهه , ومن خلاله يمكن ادراك انّ (بولص) لم يكن يقيم لهؤلاء الزعماء وعِلمهم وزناً , وافترض انه يعادلهم جميعاً في القيمة الروحية والدينية , ويظهر في كلامه انه غير مقتنع بأنهم كانوا أعمدة القوم والديانة , رغم انه كذبَ في ادّعائه منحهم له سلطة دينية تساوي ما لهم , في تناقض بين القيمة المتدنية التي اعطاهم وبين حاجته الى إجازتهم المكذوبة . ولعلّ اهم ما عرضه في هذه الرسالة كان بدعته الكبرى بانتفاء الشريعة العملية بمجرد الإيمان بيسوع المسيح , كما هي مفاهيم "صكّ الغفران" .

ومن الإصحاح الحادي والعشرين من "اعمال الرسل" يمكن ادراك حقائق اخرى , حيث انّ (بولص) كان كالحرباء , يتلوّن اعتماداً على مستوى الخطر والتهديد , كما يمكن رؤية كيف انّه كان متهماً من قبل اليهود والمسيحيين على حدٍ سواء بأنّه يدعو الناس للارتداد عن شريعة النبي (موسى) , وهي الجانب العملي من رسالة النبي (عيسى) . وفيما يدعو هو لذلك فعلاً –وهذا ما يؤيده الإنجيل– استنكر عليه الْحَوَارِيُّونَ واتباع المسيح الأوائل ذلك , فَلَو كان هذا الارتداد وهجران الشريعة الموسوية من تعاليم (عيسى) , كيف جاز لهؤلاء الاتباع المتقدمين المقربين الغفلة عنه واستنكاره ! . لكن يبدو انّ المسيحيين المعاصرين يغفلون عن ذلك بتأثير تعاليم (بولص) ذاتها , تحت رعاية الكنيسة الرومانية البابوية الحالية .

لذلك أمر تلاميذ المسيح (بولص) أن يترك تلك الدعايات المحرفة ولا ينشرها بين اليهود , وأن يتطهر ثم يدخل الهيكل , ليظهر أمام الناس بأنه على شريعة النبي (موسى)[٤٤٢].

وما يؤيد هذه الحربائية لدى (بولص) رسالته لأهل كورنثوس (فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ. وَلِلَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلاَ نَامُوسٍ مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلاَ نَامُوسٍ للهِ, بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ)[٤٤٣].

---

[٤٤١] سِفر أعمال الرسل ١٥ : ١ – ٥

[٤٤٢] أعمال الرسل ٢١ : ١٧ – ٢٦

لكنّه كان ممقوتاً من سكّان (القدس) , فهاج الشعب ضدّه واراد تأديبه , لا سيما وقد رافقه احد الوثنيين غير المتطهرين المدعو (تروفيمس) , وقد ادخله (بولص) لحرم الهيكل , لكنّ الرومان انقذوه , كما ان الرومان أشاروا الى كونه مصرياً اثار الفتنة قبل ايام في المدينة بالتعاون مع العصابات , ورغم ذلك سمح له الرومان بالصعود ومخاطبة الشعب[٤٤٤]!! . ويبدو واضحاً انّ الرومان الوثنيين وفروا حماية عسكرية واستخباراتية ل(بولص) , وهيئوا من كان يعاونه ويعمل على إيصال اخباره الى الرومان من اجل حمايته[٤٤٥]. فالتعاليم السياسية التي نشرها (بولص) كانت بالضبط ما يحتاج اليه الرومان , من جهة التهام الديانة المسيحية , ومن جهة نشر فكرة الخنوع والخضوع للسلطان[٤٤٦].

امّا النهاية التي وصل اليها (بولص) فكانت درامية متوقعة , حيث اشتكاه الكاهن اليهودي الأكبر –صاحبه القديم– الى الحاكم الروماني الجديد (فستوس) , الذي سلَّمه للملك اليهودي (هيرودس اغريباس الثاني) , الذي كان يكره المسيحيين , والذي اعدم والده بعض زعمائهم , وفي حين كان متوقعاً من ملك كهذا –يجمع بين سببين لكره المسيحيين , كيهودي , وكممثل عن السلطة السياسية الرومانية– أنْ يفعل الأعاجيب بداعية مسيحي مفترض ك(بولص) , إلَّا انه ارسله الى القيصر في روما , باعتباره مواطناً رومانياً , ليعيش هناك ويشيد كنيسته , التي فتحت باب الشيطان لاحقاً على العالم . وهناك بدأ (بولص) الخطوات العملية لما حكاه نظرياً في رسالته لأهل رومية , من وجوب الخضوع للسلاطين والملوك , مهما كانوا , باعتبار أن حكمهم من ترتيب الله , وأنهم خدامه[٤٤٧], وبهذا يكون أوجد نظرية الحاكم باسم الله بنسخة بشرية مشوهة .

يقول (هايم ماكبي) ما نصه (لقد انطلق بولص من زوبعة التأثيرات الدينية , التي كانت تتزاحم في رأسه , فخلق مزيجاً مشحوناً بالخيال , مزيجاً معدّاً لانْ يكون بعد ذلك –شئنا ام لم نشأ– أساس الثقافة الغربية وجوهرها) .

وليس من الصعب على الباحث معرفة انّ (بولص) لم يأتِ بعقيدة "ابن الرَّبّ" , وأسطورة "الأب , الابن , الروح القدس = إلهاً واحدا" , من خيالات نفسه , بل هي عقيدة قديمة , تواجدت في بلاد الفراعنة , ومنها انطلقت الأقانيم المصرية الفرعونية الشهيرة . فبعد انتصار فراعنة الاسرة الثامنة عشرة الطِيبيّين على الهكسوس , وانتشارهم في اسيا , تمّ توحيد الإلهين الكبيرين (رع) و (آمون) في أقنوم واحد , هو الاله (آمون – رع) ,

---

[٤٤٣] رسالة بولص الى أهل كورنثوس الاولى ٩ : ٢٠ – ٢١

[٤٤٤] أعمال الرسل ٢١ : ٢٧ – ٤٠

[٤٤٥] أعمال الرسل ٢٣ : ٢٢ – ٣٠

[٤٤٦] رسالة بولص الى افسس ٦ : ٥ – ٩

[٤٤٧] رسالة بولص الى أهل رومية ١٣ : ١ – ٧

الذي اصبح كبير الآلهة , وتمّ تكريس معبدين في (الكرنك) و (الأقصر) لأداء الطقوس لهذا الأقنوم الجديد . وهذه الثلاثية توجد في أقنوم (آتوم – شو – تفنوت) , الذي خرج من الاوقيانوس الأزلي (نُون) , لكنّه كان ثلاثة في واحد , اذا تم القبول بالرؤية الشائعة حول هذه الثلاثي , بعيداً عن التفسير الخاص لها . امّا أشهر الأقانيم التي عنها أخذت مسيحية (بولص) اقنومها فكان الناتج عن عقيدة (أوزوريس – إيزيس – حورس) , (الأب – الام – الابن) , تلك الآلهة المصرية الكبرى , والتي تحكمت في مجمل حركة العقيدة الفرعونية .

امّا قيام (يسوع) من بين الأموات فقد جاء به (بولص) من العقيدة الفرعونية , التي تؤمن بقيام (أوزوريس) من بين الأموات . حيث ترى تلك العقيدة انّ (أوزوريس) قد قُتِل , ومن ثمّ قام من بين الأموات , وجعلت عيده السنوي يرتبط بهذه الحادثة . وقد جرت العادة في بعض الحضارات المتفرعة عن الفرعونية على قتل ملوكهم , افتداءً للشعب والنعمة , كما هو الحال في افتداء المسيح لشعبه في عقيدة (بولص) . وفي بعض الحضارات السودانية –القريبة الى الفرعونية– كان الملك –في حالة اعتلاله– يرضى بالقتل , فداءً لصحة شعبه . فيما ذكر (مانيتون) –المؤرخ المصري– انّ المصريين كانوا يضحّون برجل اصهب على قبر (أوزوريس) , ثمّ يذرّون رماده .

امّا الاحتفال الغريب بمولد المسيح –الذي يُفترض انه ولد في ١ فبراير– فيتم في يوم ٢٥ ديسمبر , وهو ليس سوى اعادة للاحتفال بالعيد الشمسي لمولد (رع) , إله الفراعنة المصريين , والذي كان يطلق عليه المصريون (مسو – رع) . لذلك ليس غريباً بعد ذلك ايجاد صور العذراء مريم مع طفلها يسوع بنسخة مأخوذة عن صور (إيزيس) مع طفلها (حورس) .

من هنا كان التعبير القرآني –في وصف تلك العقائد المبتدعة بما عليه حال الأمم الوثنية السابقة عليها– دقيقاً وصائباً , ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ))[٤٤٨], فيما يتساءل القرآن الكريم في الآية التالية عن منطقية التوحيد الذي عليه مثل هؤلاء المبتدعين واتباعهم , ((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ))[٤٤٩].

ولعلّ أشهر المشتركات الرمزية بين الديانتين الفرعونية ومسيحية (بولص) كان "الصليب" , او (عنخ) بالفرعونية . وهذا الرمز لم يكن مسموحاً الا للملوك او الملكات الفراعنة بحمله , لأنه يرمز الى الحياة , ومن يحمله فقط له سلطة منح او سلب الحياة من البشر ذوي المراتب الدنيا , لذلك كان حمله من قبل البابوات البولصيين دليل السلطنة . وكان الفراعنة يصنعونه من خزف القيشاني , ومزيّن بصولجان له رأس كلب ,

[٤٤٨] سورة التوبة ٣٠

[٤٤٩] سورة التوبة ٣١

ليرمز للقوة , تمّ تعديله ليلائم العقائد الإبراهيمية . واستمراراً للسلوك الفرعوني في الزواج من المحارم قام (هيراكليوس) بالزواج من ابنة شقيقته (مارتينا) بعد وفاة زوجته الاولى (اودوكيا) عام ٦١٢ م , امام نظر الكنيسة الرومانية .

وقد كتب (يوحنا) عن الخلقيدونيين في مصر إبّان الفتوحات العربية ما نصّه (أعداءُ المسيح برَجَس بدعِهم , وقد فتنوا الناس عن إيمانهم فتنة شديدة , لم يأتِ بمثلها عبدة الأوثان ولا الهمج , وعصوا المسيح واذلّوا اتباعه . فلم يكن من الناس من أتى بمثل سيئاتهم ولو كانوا من عبدة الأوثان) . فيما يروي المؤرخون الخلقيدونيون الرومان كيف انّ (اليعاقبة) الأقباط كانوا سبباً في انكسار جيش الامبراطورية الرومانية ! . امّا الابيونيون , الذين تصفهم بعض المؤلفات باليهود الجدد , فقد كانوا خلاصة الاعتقاد المسيحي التوحيدي , حيث رفضوا بدعة (بولص) الوثنية , فالتزموا النهج الذي كان عليه (يعقوب) و (بطرس) وتلامذة المسيح الأوائل . وقد أخفت الكنيسة الرسمية كتاباتهم باعتبارها "إساءة" لمقام (بولص) الرسول ! .

لهذا كله كان من الضروري إعادة ترتيب المسار التوحيدي , وفرز الأوراق الدينية والفكرية , وضخ الحياة في الجسد الإبراهيمي , وازاحة الدين السلطوي المحرف , وإظهار المسيحية النصرانية الحقة , والتي ترجع الى (عيسى بن مريم) , وكشف تواطئ اليهود مع الرومان , وذلك تم من خلال رسالة سماوية جديدة هي (الإسلام) .

الفصل الرابع: الآثار الفلسفية الباقية لظواهر المجتمع الإيماني الأوسط : الدين العالمي الجديد "اليهود تحت حكم الأمم"

بعد وفاة النبي (موسى) , تولى مهمة إدخال بني إسرائيل إلى أرض كنعان (يشوع بن نون) . وكان اليهود المعاصرون الصهاينة يطلقون على كل قائد جديد بارز في عالمهم لقب "النبي موسى الجديد" , لا سيما بعد ضياع الأسفار التوراتية الموسوية الخمسة لسنين , وضياع سيرة معظم قادتهم الأوائل مثل (يشوع بن نون) , بعد أن اختلطت عليهم صفات القيادة الصالحة , اثر تعاليم التوراة المحرفة التي تحث على الجريمة[٤٥٠]. فصار القبّالي (موسى بن ميمون) والصهيوني (موشيه ديان) قادة لليهودية الجديدة[٤٥١].

ان الاساءة لتاريخ النبي (موسى) ليس ناتجة عن الواقع , بل هو بتأثير العقيدة الإسرائيلية الجديدة وتعاليم (كبّالاه) . والتي جمعت عصفورين بحجر واحد في إساءتها للأنبياء والصالحين , اولاهما تشويه تاريخهم , وثانيهما شرعنة السلوكيات المنحرفة , والتي تؤمن بها (كبّالاه) كوسائل في الوصول الى أهدافها , والتي ترجمتها بروتوكولات حكماء صهيون لاحقا . ف(موسى بن ميمون) –كما هو معروف– الاب الاشهر للقبّاليين في العالم , وهو بدهائه اقنع (صلاح الدين الأيوبي) –حين كان طبيب عائلة صلاح الدين– بأن يسمح لليهود بالعودة الى مدينة (القدس) . فيما كان (موشيه ديان) الزعيم الصهيوني الذي فتح لهم (القدس) في العصر الراهن .

وبملاحظة بسيطة يمكن ادراك ان ربط تاريخ النبي (موسى) بتاريخ تعاليم (كبّالاه) والتاريخ السياسي الصهيوني لا يستقيم مع التأريخ التوحيدي الإبراهيمي , لكنه يتفق مع الرؤية الباطنية للدين الاسرائيلي الفرعوني , القائم منذ خروجهم من مصر حتى اليوم .

ان اليهودية الحديثة قائمة على اسس , انشأها اثنان :

---

[٤٥٠] سفر العدد : ٣١ : ١٥ – ١٨

[٤٥١] موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية , المسيري , المجلد ٤ , ج ١ , الباب ٨ , مدخل موسى

(سعادية) او (سعيد بن يوسف الفيومي) المصري , في القرن العاشر الميلادي بحسب بعض الروايات , والذي هاجر الى (طبرية) احدى مراكز التعليم اليهودي في بلاد الشام , ثم الى العراق وسكن في منطقة (سورا) قرب مدينة (الحلة) , احدى مراكز الاستيطان اليهودي بعد السبي البابلي , بالإضافة الى احدى قرى الانبار , حين كانت من مراكز التعليم اليهودية , والتي تحكم بشريعتهم , ليتولى رئاستهم , حيث درس معظم الكتب اليهودية , وتعلّم عدة لغات , وأتقن عدة علوم وفلسفات , وقد بلغ رتبة (غاوون) العلمية العليا في التعليم اليهودي , وكانت له مؤلفات عديدة , مثل "التاج" الذي هو ترجمة عربية لأسفار العهد القديم , وبلغ من المدح عند الكتّاب اليهود المعاصرين حداً كبيرا , يوازي او يفوق وصف المجتهدين من رؤساء المذاهب الكبار عند المسلمين[٤٥٢].

و(موسى بن ميمون) , اليهودي الاندلسي الذي هاجر الى المغرب ثم الى مصر , وصار طبيب عائلة (صلاح الدين الأيوبي) , حيث اقنعه بالسماح لليهود بالانتقال الى فلسطين . ويعتبره القبّاليون ابو (كبّالاه) الحديثة [٤٥٣].

لقد وضع هذان الشخصان اسس العقيدة اليهودية المعاصرة , وهي العقائد التي تفسّر التشتت الفكري اليهودي والانسياق خلف المجهول , حيث العقيدة الدينية العقلية المستندة الى المجالس العلمية من (الفيومي) , والعقيدة الباطنية المهاجرة والمستندة الى المجالس السلطانية من (ابن ميمون) .

ان اعتقادات وفلسفة (كبّالاه) وريثة الاعتقادات الفرعونية السحرية الشيطانية . والملفت للنظر ان المقارنة العلمية بين هذه الاعتقادات وبين اعتقادات شعوب اخرى تثبت توافقاً كبيرا . فمثلاً يمكن ملاحظة الثنائية الوجودية بين النور والظلام , بين الرب والشيطان , او ملاحظة تعدد الارباب , والناشئ من طريقة التواصل مع العالم الآخر , حيث يكون الشيطان سيّدا , بينما مجموعة من افراد الجن تكون لهم مهام المساعدة . كذلك الاعتقاد بأن هذه الآلهة هي من ساعدت الانسان في النهوض , بعد ان تخلى الرب عنه , وهي من دلته على شجرة المعرفة . كما ترى هذه الثقافات ان الانسان بإمكانه الاندماج في عالم الآلهة , لكن بشرط القيام بطقوس تستحضر مجموعة من الآلهة المساعدة .

---

[٤٥٢] انظر : التوراة قراءة إسلامية , سامي البدري , مجلة الفكر الإسلامي , ١٩٩٩ , العدد ٢١ و ٢٢

[٤٥٣] موقع حكمة الكابالا العربي , سيرة الطبيب والعالم موسى بن ميمون

الاستمرار والمعاصرة : اذا كان (البنّائون الأحرار = Masonry = الماسونيون) ورثة الفراعنة , فإنّ (النورانيين = Illuminati) هم ورثة مجمع (السنهدرين) اليهودي . ورغم التضييق على مصادر المعلومات المرتبطة بالماسونيين تاريخياً , الّا انّه من الواضح تقريباً ارتباط هذه الجماعة بمسيرة العوائل الملكية الأوربية , حتى ثباتها على الارض الأسكتلندية . وهي جماعة معترف بها رسمياً اليوم , ولها ارتباطات قانونية بمختلف المؤسسات السياسية والاقتصادية والقضائية الدولية[٤٥٤]. وقد بدأت مؤخراً بالكشف عن نفسها إعلامياً , بعد صراع دام طويلاً ضد خصومها .

ويمكن الفهم من خلال الفيلم السينمائي "الكنز الوطني" – المنتج أمريكيا – المستوى الذي بلغته هذه الجماعة من الطمأنينة والقوة على سلّم النفوذ في العالم , حيث يتحدّث عن مؤرِّخ وعالم حاصل على شهادة من معهد (ماساشوستس) منتمي لسلالة من صيادي الكنوز كانوا يسعون للبحث عن كنز أسطوري , أخفاه الآباء المؤسسون للولايات المتحدة , الذين وضعوا إشارات تشير الى كنزهم في كل مكان . ولم يكن هؤلاء –بحسب الفيلم المنتج من قبل المؤسسة الماسونية الأشهر (والت دزني) عام ٢٠٠٤م– سوى (الماسونيين) .

لكنّ الجماعة (النورانية) دخلت –فيما يبدو– في مرحلة من الصراع على النفوذ , مع الماسونيين الأقدم , مستغلّة الثروة الضخمة التي جنتها عائلة (روتشيلد) الألمانية , مع الاحتفاظ بثوابت الديانة الشيطانية "عبادة (لوسيفر) " بينهما . وقد استطاعت حركة (النورانيين) لاحقاً أنْ تفرض اجندتها , بنحو قبلته الحركة الماسونية مضطرّة , لكن ضمن تحالف يحفظ ما أنتجه التيّار التاريخي للحركة الماسونية .

كان (إسحاق اكانان) يهودي من أصل خزري , استقرّ نهائياً في فرانكفورت الالمانية في العام ١٧٥٠م , واصبح تاجر عملات ألماني , وهي المهنة التي توسّعت في عصر مجمع (السنهدرين) , حتى مورست داخل "هيكل الرَّبّ" , وبطريقة ربوية فاحشة , حتى منعها المسيح حينها .

ثم ورثه (امشل موسى باور) (مائير / ١٧٤٣ – ١٨١٢) , الداهية المالية , الذي انشأ بدوره العائلة الأغنى والأكثر نفوذاً في العالم حتى اليوم , عائلة (روتشيلد) .

و (روتشيلد) هو لقب للعائلة , لا اسم , أُخذ عن الشعار الأحمر الذي كان يضعه (مائير) على بابه , كدلالة على ديانته (النورانية = الشيطانية) . عمل (مائير) في مصرف (أوبنهايمر) , ثمّ اصبح شريكاً فيه . وأنجب (مائير) عشرة من الأبناء , خمسة ذكور وخمسة إناث .

[٤٥٤] https://www.grandlodgescotland.com/ رابط موقع الالكتروني : الجمعية الماسونية الاسكتلندية الأقدم

كان (ناثان روتشيلد) أشهر الأبناء الذكور , الذي أوفده ابوه الى إنجلترا , ليظهر هناك قدرات فائقة , ويضاعف ثروته بنحو ثلاثة أضعاف , في فترة وجيزة جداً . ويبدو انّ اختياره كان معتمداً على قدرته في إدارة اللعبة مع اللوبي الماسوني في بريطانيا .

استغلّ (مائير) الاختلاف في عملات الدويلات الألمانية ليضاعف ثروته , حتى دخل في صداقة وشراكة مع الامير الألماني (فلهلم) , وحينها زاد دخل (مائير) , ليصبح من أثرياء ألمانيا الكبار عام ١٧٩٠م . ودخل ايضاً في علاقة فريدة بالملك الألماني (فريدريك الثاني) , ليزداد نفوذاً وارتباطاً بالعائلة الأرستقراطية الكبرى هناك . حتى بدأ بتمويل الصراعات التي نشأت قبل وأثناء وبعد الثورة الفرنسية . وعقد عام ١٧٧٣م اجتماعاً لكبار الاثرياء من يهود (السنهدرين) , ليبدأ حركة الجماعة (النورانية = الشيطانية) بخطوة ذكية , حيث قرّر الدخول في شراكة اقتصادية معهم , لعلمهم جميعاً انّ المال هو الذي يحرّك السياسة والمجتمع , وبالتالي يقودهما . ثمّ قدّم (مائير) الاستاذ اليسوعي السابق للقانون في جامعة (انغولدشتات) المدعو (آدم وايزهاوبت) كمنظّر للجماعة (النورانية) المؤسسة حديثاً , لتكون أدواتها التنظيرية مناسبة لروح العصر , التي يفتقدها (مائير) , وتم ذلك عام ١٧٧٦م , حين أعلن (وايزهاوبت) عن انطلاق الحركة (النورانية) , تحت شعارات إنسانية وعلمية , لكنّها تستبطن الغايات الكبرى للمشروع القديم , من حكومة عالمية تحت التاج الشيطاني . حيث اظهروا انّ الحركة تريد حكومة عالمية واحدة , يحكمها الأذكياء فقط , الذين اظهروا قدرات عقلية عالية , وهم يقصدون أنفسهم بالتأكيد . وقد جمعت هذه الشعارات الآلاف , من الفنانين والأدباء والعلماء والاقتصاديين والصناعيين , فضلاً عن الساسة .

وقد كانت الجماعة ذكية في قرارها التركيز على ذوي القدرات العلمية والعقلية العالية في الجامعات , وأبناء الأسر الكبرى المعروفة , لما لهم من تأثير في الحركة الاجتماعية , ومن اثر في مستقبل الامم . كما انها وجّهت اتباعها باستخدام المال والجنس والابتزاز , لكسب وجذب او تحييد الشخصيات المؤثرة .

وبدأت في المرحلة الاولى لمشروع الحكومة العالمية الواحدة , والتي اقتضت الترويج لمفهوم الاممية , عبر كسر مفاهيم الوطنية والدِين عند الشعوب , فنشأت عدة حركات اممية الطابع , قديماً مثل الشيوعية , وحديثاً مثل الانسانية الكونية .

وكانت أولى الأفكار المتولدة في اذهان الجماعة هي السيطرة على الادمغة البشرية , من خلال سلاح مهم جدا , هو الاعلام , فبدأوا بالسيطرة على مختلف الصحف العالمية والوطنية , لا سيما المفلسة منها , ليعيدوا الدماء اليها , لكنّها الدماء السوداء . وتحوّل ذلك لاحقاً الى عالم واسع من الاعلام المسيطر عليه والموجّه , يديره اليهودي المشهور (روبرت مردوخ) , صاحب اكبر تجمّع للقنوات الفضائية ووسائل الاعلام والشركات المنتجة اليوم في العالم .

كما بدأت الحركة مساعيها الضخمة والحثيثة لامتلاك اهم ثلاث دول تدير عجلة السياسة العالمية اليوم , هي فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة الامريكية , واللواتي يملكن "حق النقض" والإجراء في مجلس الأمن الدولي المعاصر , وبذلك يمكن معرفة مدى ما نجحت فيه هذه الحركة منذ نشأتها .

وما يؤيد ذلك هو وقوع كتاب "المخطوطات الأصلية الوحيدة" , الذي يصف مخططات (وايزهاوبت) , بيد السلطات البافارية في (راتسبون) عام ١٧٨٤م , متوجهاً به حامله الى الجماعة داخل فرنسا , مما يكشف عن دور هذه الجماعة في تنظيم مجمل الثورة الفرنسية , التي انشأت بدورها مجمل الفكر الأوربي الليبرالي المعاصر . وعقب ذلك اغلقت السلطات البافارية "محفل الشرق" , و هاجمت قصر البارون (باسوس) في (سندرسدورف) . واصدرت السلطات البافارية الكتاب لاحقاً على شكل تحذير بعنوان "الكتابات الأصلية لنظام ومذاهب النورانيين" في العام ١٧٨٦م , ووجهت نسخاً منه الى رجال الكنائس وذوي الشأن . الّا انّ نفوذ الجماعة النورانية حال دون اهتمام احد . لذلك اصدر (وايزهاوبت) اوامره بالعمل السريّ , واعتماد المنهج الماسوني في الحركة , من خلال الخفاء , واستخدام واجهات مضللة .

وحاولوا التقرّب الى الجماعة الماسونية , ذات النفوذ السياسي الكبير , فقاموا بدعوة احد زعمائها الكبار في مقرّها في إسكتلندا المدعو (جون روبنسون) , وهو أستاذ الفلسفة الطبيعية في جامعة (ادنبرة) وأمين سرّ "الجمعية الملكية" فيها , الى زيارة محافلهم في الدول الأوربية , ثمّ عهدوا اليه بنسخة من مشاريع (وايزهاوبت) , لكنّها لم تعجبه كما يبدو . وبعد نجاح مشروعهم في قيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩م , التي هي الخطوة الاولى لعولمة مبادئهم , وانهاء عصر الأسر الأوربية القديمة , شعر (روبنسون) بالخطر . فاصدر عام ١٧٩٨ كتاباً تحذيرياً اسماه "البرهان على وجود مؤامرة" , يظهر من عنوانه انه أراد من خلاله الحفاظ على مستوى النفوذ الماسوني داخل القصور الملكية الأوربية , من خلال المحافظة على وجود تلك القصور ذاتها , لكنّ الكتاب لم يجد اذاناً صاغية كسابقه –كتاب السلطات البافارية– لدى احد , فعرفت الجماعة الماسونية حينها مدى قوة الجماعة النورانية , فبدأت مرحلة الاندماج بينهما .

لكنّ مرحلة الاندماج تطلّبت شيئاً من الصراع والمواجهة بين اجنحة هاتين الجماعتين , لا سيما داخل الجماعة الماسونية ذاتها , خصوصاً في مقرّها الجديد في الولايات المتحدة الامريكية , التي اصدر زعماء الماسونية فيها تحذيرات عامة , لاستباق النتائج التي أسفرت عنها المواجهة في أوربا مع النورانيين , كما فعل (وليام مورغان) عام ١٨٢٦م , الذي اغتاله النورانيون بيد (هاورد) .

وفي عام ١٨٢٩م قررت الجماعة النورانية البدء بمشروع الاممية غير النورانية , كخطوة تمهيدية لمشروعهم الكبير , فبدأوا بمشروعين انطلقا من ألمانيا معا , وهما الشيوعية , بقيادة (كارل ماركس) , و (النيتشييزم) , بقيادة (فردريك وليام) . وأشرف عليهما فكرياً البروفيسور (كارل ريتر) من جامعة (فرانكفورت) , فيما كان

التمويل من اختصاص (روزفلت) و (هوارس غريلي) و (تشارلز دانا) . و النيتشييزم هو المذهب الذي انطلقت منه النازية والمدارس العنيفة غير الشيوعية . مما جعل هذه المذاهب جميعاً منشأً طبيعياً للحروب العالمية الكبرى لاحقا .

في الفترة التي اعقبت ١٨٤٠م , وهو العام الذي تعاون فيه (مازيني) قائد الاضطرابات النورانية في أوربا مع الجنرال (بايك) العسكري الامريكي , بدأت مرحلة التطبيق العملي للمشاريع الكبرى . لكنّ (بايك) –الذي ارتقى في السلّم الكهنوتي النوراني– أراد وضع لمساته الخاصة على المشاريع القديمة , فابتدأ بمجموعة من الأفكار الجديدة المعدّلة .

لقد قام (بايك) بالخطوة الأكبر , حيث جمع بين الجماعتين , ومن خلاله تمّ التأسيس للمحافل الماسونية النورانية الكبرى في أوروبا , في الولايات المتحدة وفي إيطاليا وفي ألمانيا , يعاونه (مازيني) في انشاء اكثر من ثلاثة وعشرين محفلا في عموم أوروبا للماسونية النورانية . التي أخذت تدير مجمل الحركات التغييرية في أوروبا والولايات المتحدة , وفي مختلف اصقاع العالم لاحقاً , في تطوّر بنائي كبير , قاده (بايك) و (مازيني) .

انّ اهم العوائل المعرقلة لمشاريع النورانيين كانت عائلة (القياصرة الروس) , بما تملك من امتداد تاريخي , وثقافة شبه شرقية . لذلك امتنعت عن إعطاء (ال روتشيلد) امتياز فتح المصارف في روسيا , وكذلك لم تستجب لاقتراحات ونفوذ المؤسسة الماسونية النورانية , بما يحقّق المشروع الكبير لهم .

لذلك تمّ اختيار روسيا كمقرّ ومعبر للشيوعية الاممية , لاعتبارات استراتيجية , منها انّ الشيوعية لا تتناسب والفكر الشخصاني للأوربيين الغربيين , حيث الاهتمام بالقضايا الفردية , كما انّ الروس كانوا مزيجاً من الفكرين الشرقي والغربي , بما يسمح بقبول الشيوعية , وكذلك إمكانية التلاعب فيها , وايضاً إمكانية استخدام الاراضي الروسية كجسر تعبر من خلاله الشيوعية نحو الكتل البشرية الكبرى في اسيا , بالإضافة لاحتواء روسيا على مختلف الديانات , التي كان لابد من ازالتها , لنشر الإلحاد , الذي يمثّل المرحلة الإفراغية امام الديانة النورانية الباطنية . وهذا ما تسبّب في احداث الثورة البلشفية الشيوعية في روسيا لاحقاً , بعد جهد كبير قام به اليهود الألمان والروس , الذين كانوا في صدفة ملفتة هم ذاتهم قادة الحركة الشيوعية فيها . حيث يذكر (نيقولا نيكولوف) انّ تسعة من اثني عشر عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي عام ١٩١٨م كانوا يهوداً . وفي حكومة (لينين) كان هناك سبعة عشر وزيراً يهودياً من اثنين وعشرين وزيراً كانوا يؤلّفون الحكومة , و اثنان وأربعون يهودياً في اللجنة التنفيذية المركزية , المؤلفة من واحد وستين عضوا , وفي لجنة الطوارئ الشيوعية كان هناك ثلاث وعشرون عضواً يهودياً من أصل ست وثلاثين .

وقد كتب (برتراند راسل) في ١٩٢٠م (البلشفية ... هي أرستقراطية وقحة وعديمة الشعور , مكوّنة من اليهود المتأمركين . " الروس " أمة من الفنانين , وبداية بأبسط فلاح . انّ هدف البلاشفة جعلهم صناعيين وأمريكيين قدر الإمكان . تخيّل نفسك محكوماً بشمولية من قبل "رفوس لساكس" و "سيندي ويب" , حينها سيكون عندك صورة لروسيا الحديثة) . وهنا يمكن رؤية أن الفيلسوف (راسل) جاء بها مختصرة , تلك هي الحقيقة , إرادة القتل لروح وعقل وانبساط الفكر في المجتمع الروسي , عبر تحويله الى صورة الماكنة الفارغة من الحياة للمواطن الامريكي .

قبل ذلك كانت الثورة الفرنسية بمثابة الإعلان الاول لأممية الديانة النورانية , حيث هي الخطوة التمهيدية , التي سبقت خطوة نشر الإلحاد , وذلك من خلال فصل الدين عن الدولة , ومن ثمّ عن الشعب , تحت قيادة ما توّهم الناس انهم منهم , وهي حركة ذكية من النورانيين , بعد استغلال الظلم والتخلُّف الذي فرضته "الكنيسة البابوية البولصية" على الناس , وذلك من خلال العلاقة التي جمعت الماسوني النوراني اليهودي الفرنسي (موسى مندلسوهن) مع (ميرابو) الذي كان يخضع لمديونية كبيرة , قبل ان يصبح خطيب الثورة الفرنسية , يعاونه الدوق (دورليان) , الذي تحوّل قصره الى ماخور يهودي , وشبه محفل شيطاني .

انّ اهم عقيدة أسس لها (بايك) في رسالته لزعماء المحافل الكبرى في تموز ١٨٨٩م تضمنت فكرة قديمة , لكن بطريقة جديدة , انها الثنوية , الايمان بوجود الهين , هما الله والشيطان . وفلسفة انّ ذلك ضروري في عالم الآلهة نظّر لها (بايك) .

والثنوية معتقد قديم , كان في (فارس) و في مصر الفرعونية , لكنّ (بايك) قرّر طرحها بأسلوب جديد , وذلك عبر إثبات انّ الأديان سيئة , وبالتالي الأنبياء , ومن ارسلهم , سيئون , فيما (ابليس) أو (لوسيفر) هو الوحيد الذي يهتم للنشأة الانسانية . وذلك لا يمكن ان يتمّ الّا بعد مرحلة هجوم وتغلغل إفسادي داخل الأديان , كما في الحركة والسرقة (البولصية) , ثمّ مرحلة اتهام للأديان , تنتج مرحلة الحادية , ثمّ يتم ضخ العقيدة الشيطانية , كبديل واقعي , يهتم للمعارف والحاجات الانسانية , ويشارك الملحدين موقفهم ضد الأديان الإبراهيمية .

لذلك يمكن رؤية انّ (كبّالاه) –وهي العقيدة الظاهرة للماسونيين والنورانيين– تقول بضرورة نمو الرغبات البشرية الى اوجها , حتى يصل الشخص الى مرحلة وجود روح لديه "الرغبة الروحية" . حيث تؤمن (كبّالاه) بوجود خمسة رغبات أساسية للإنسان , وهي تأتي متتابعة و متداخلة في آن واحد , و تظهر كل رغبة بعد ملئ الرغبة السابقة , و كل رغبة تشتمل على الرغبات السابقة لها . والمبدأ يقول انه " بعد ان يحقق الانسان الرغبة الاولى و يملأها , فإنه يشعر بالفراغ و يبحث عن المزيد , فينتقل الى الرغبة التالية , وهكذا حتى الوصول الى الرغبة الروحية . وتلك الرغبات هي (الرغبة في الاساسيات: الطعام الجنس الراحة و ماشابه) ,

و (الرغبة في الثراء: وهي ازدياد و تنويع في الاساسيات) , و (الرغبة في القوة: وهي الاستفادة من الثروة بشكل سلطة وقوة) , و (الرغبة في العلم: وهي اقل رغبة ارتباطا بسابقاتها , ولكنها تنتج عند الشعور بعدم كفاية ما تحقق من الرغبات السابقة) , و (الرغبة الروحية) . وهذه هي المستويات الرئيسية للرغبات , و لا يعني ذلك انها مفصولة تماماً عن بعض , بل ان كل واحدة تضم الاخريات فيها ولكن بدرجات متفاوتة . ولا يمكن لأحد خارج عالم النورانيين الماسونيين أن يفهم اي "روح" ستبقى بعد ذلك الشره الحيواني كله ؟! .

لقد نشر الكاردينال (كارو دودريغز) اسقف (سانتياغو) عام ١٩٥٢م كتاباً اسمه "نزع النقاب عن سر الماسونية" , أوضح فيه انّه حتى الماسونيين الكبار من الدرجات ٣٢ و ٣٣ لم يعودوا يفهمون ما يديره ويفعله "محفل الشرق" , ولم يعودوا يستوعبون الخطط العملية المستقبلية بعد ظهور (بايك) .

ويمكن القول انّ من اهم ما جاء به "محفل الشرق" ايضاً كان إلغاء المفاهيم الوطنية والأسرية , وحتى على مستوى السكن , صار التخطيط يتجه لإلغاء الشكل الفردي المستقل , وهو ما يطلق عليه البناء الأفقي , والاتجاه نحو انعدام الاستقلالية , من خلال البناء العامودي الصاخب .

لقد انشأ (مائير روتشيلد) مجموعة قواعد عملية , سار عليها الذين أتوا بعده , وانتفعوا بها . مثل انّ النفسية البشرية تميل للشر , لذلك يجب اعتماد العنف كوسيلة إقناع . واستغلال شعار الحريات السياسية لتحريك العوام ومن ثمّ ركوبهم , فهم سيكونون بحاجة الى حماية , يتنازلون من اجل توفرها عن بعض حقوقهم وامتيازاتهم , وبالتالي انتقال استعبادهم من السلطة السياسية الى السلطة المالية والإعلامية . والمال هو أساس الملك . ولا يوجد في السياسة اخلاق . ولا توجد قواعد حقوقية أصيلة , بل القوة هي من تحدد تلك القواعد . واعتماد الأساليب العلمية والبحثية في فهم الجماهير , وبالتالي قيادتها بسهولة , عبر استغلال حاجاتها البهيمية . وليست هناك حقيقة للأخطاء والمساواة , في ظلّ تقسيم العالم الى نورانيين و (جوييم) , فالجوييم هم حيوانات , وفي أحسن الأحوال عبيد . ويجب خلق الحروب وإدارتها , دون الوقوف الى جانب طرف , لكن فقط استثمار تلك الحروب مالياً وسياسياً وعقائديا . والانتقال الى الديمقراطية الموجهة , التي تخضع للمال والإعلام , بعد السيطرة على المال والإعلام .

وهذه القواعد الروتشيلدية اكّدها البرفيسور الروسي (نيلوس) في كتابه "الخطر اليهودي" عام ١٩٠٥م , بعد وقوع مجموعة من الوثائق السرية تحت يديه عام ١٩٠١م , ومن ثمّ ترجمه (فكتور مارسدن) الى الإنجليزية تحت عنوان (بروتوكولات حكماء صهيون) .

وقد اثبتت الليدي (كوينز بورو) في كتابها "الكهنوت الشيطاني" انّ (بنيامين جولد شميد , ابراهام شميد , موسى ميكانا , موسى مونتيفيور " شقيق زوجة ناثان روتشيلد ") من إنجلترا كانوا على صلة وثيقة بعملية

تمويل الثورة الفرنسية . وذلك كلّه بعد حملة اقراض سيئة النوايا قام بها هؤلاء المرابون اليهود , يعاونهم المرابون من اليهود الألمان , للحكومة الفرنسية , أنهكتها وأغرقتها في عالم من الحاجة . ومن ثمّ بدأوا حملتهم الإعلامية القاسية ضد الملكة الفرنسية (ماري أنطوانيت) , ليثيروا الشعب ضدها وضد الحكومة . وقد استطاع المرابون اليهود فرض (نيكر) وزيراً للمالية في الحكومة الفرنسية , تحت ضغط الدَين الفرنسي , وحاجة الحكومة للأموال في جهودها العسكرية , التي تسبب بها هؤلاء المرابون ايضا . وفي اثناء الثورة قام النورانيون بإطلاق سراح السجناء والمجرمين , ليقتلوا بأيديهم كل النبلاء والأثرياء الذين لا يوالون النورانية الماسونية . ثم تم إعدام الملك (لويس) وزوجته . ليقوم النورانيون بالخطوة الأهم , حيث عادوا ليحيوا المؤامرات ضد قادة الثورة أنفسهم , من السذج الذين صاروا مطية لصعود الماسونية الى قمة السلطة , فتمّ قتل (دورليان) و (ميرابو) و (دانتون) و (روبسبيير) , وهم زعماء ثورة المجانين تلك . وفي عام ١٨٩٢م تم قتل ما يقارب ثمانية آلاف سجين , كان قد ارسلهم مجلس مقاطعة باريس اليه , وهو المجلس الذي خضع تماماً لإدارة النورانيين . وصار عام ١٧٩٤م أشهر أعوام الإرهاب السياسي في فرنسا . ليتم بعد ذلك استخدام (نابليون) كحلّ سياسي للإرهاب الذي احدثته الثورة , ومن ثمّ استغلّ النورانيون (نابليون) لإثارة أضخم حروب القارة الأوربية , حيث قضت على اكبر العوائل الثرية القديمة هناك , ضمن فلسفة نورانية جديدة , تتيح للشعب الاعتقاد بأنه قد قضى على الإقطاعيات العائلية , في حين انه يسلّم نفسه للإقطاعيين المصرفيين , من حيث لا يشعر , بل حتى من حيث يشعر , تحت رعاية السياسيين المسيطر عليهم . ليتمّ لاحقاً اثارة الحرب (الفرنسية – الانجليزية) , التي نقلت عائلة (روتشيلد) الى مستوى خيالي من النفوذ والثراء .

وليس من الصدفة ظهور اخطر حركة ارهابية غير يهودية في نفس هذا القرن , الذي اداره (ال روتشيلد) , في صحراء (نجد) العربية , تحت رعاية التاج البريطاني , عبر التحالف المشؤوم بين (محمد بن عبد الوهاب) و (محمد بن سعود) .

وقد توزّع (ال روتشيلد) في العواصم الكبرى حينذاك , حول العالم , (سولومون) في فيينا , و (كارل) في نابولي , و (ناثان) في لندن , و (جيمس) في باريس , بالإضافة الى فرانكفورت حيث بقي (إنسلم) , اذ انتقل كل ولد من أبناء (مائير روتشيلد) الى مدينة من هذه المدن , ليدير الاخطبوط الإمبراطوري الناشئ .

لاحقاً صار لعائلة (روتشيلد) وكلاء , يديرون أعمالها في مختلف اصقاع العالم , مثل (ال نيمنز) في روسيا , و (ال وينتشاين) في إسكندنافيا , و (ال وبليشريدر) في ألمانيا , ومن ثمّ (ال روكفيلر) في الولايات المتحدة الامريكية , وهم المالكون لأكبر شركاتها النفطية , ومن ثمّ كلّ أمريكا . وتزوجت بنات الروتشيلد من مختلف العائلات الكبرى الأوربية , لتزداد الشبكة نفوذاً وثراءً .

ان معركة (واترلو) الشهيرة بين (نابليون) والإنجليز حسمت امتلاك (ال روتشيلد) لكل من فرنسا وإنجلترا نهائياً . حيث علم (ناثان روتشيلد) –من خلال بريده السريع– بهزيمة (نابليون) في المعركة , الّا انه بثّ دعاية هزيمة الجيش الانجليزي في لندن , فانهارت البورصة , وأصبحت قيمة السندات بقيمة الورق , فاشتراها (ناثان) , وحين علم البريطانيون بانتصار جيشهم بعد اربع وعشرين ساعة عادوا ليشتروا تلك السندات بعشرات الأضعاف , لتكون تلك هي اللحظة التي اصبح فيها (ناثان روتشيلد) ملك بريطانيا وأوروبا والعالم فعليا . وفي ظلّ عجز فرنسا مالياً بعد خسارتها الحرب كانت بين خيارين , الانهيار , او الاستعباد لآل روتشيلد , فرفضت الاستعباد اول الامر , لكنها سرعان ما عادت لتمنح ال روتشيلد حق امتلاك المصرف الوطني , مقابل انقاذها . فكانت أرباح الحرب مضاعفة في جيوب الروتشيلد , من الغالب والمغلوب .

ورغم انّ عمل (ال روتشيلد) كان مقتصراً على التجارة والسمسرة , الّا انهم بعد نجاحهم في مشروع مد سكك الحديد في إنجلترا وسّعوا دائرة عملهم لتشمل مشاريع السكك الحديد المماثلة في عموم أوروبا , حيث تسهّل أعمالهم التجارية , وتضيف الى اموالهم الكثير من فوائد تلك الاستثمارات . لتنتقل هذه العائلة بالتالي الى مجال الاستثمارات الثابتة , كمصانع السفن والمصانع الحربية . لتؤسس لاحقاً شركات (الهند الشرقية) و (الهند الغربية) , اللتين تموّلان الجيوش البريطانية والاوروبية الاستعمارية بالأسلحة والمؤن , وتشرفان على حركة هذه الجيوش استراتيجيا , وتستثمران وجودها حضارياً , من خلال نهب ثروات وتاريخ الشعوب المغلوبة والخاضعة للاستعمار . حتى انّ هذه العائلة انشأت معامل الأدوية , لتبيع تلك الأدوية لمعالجة جرحى الحروب , التي تثيرها هي ذاتها . امّا في أوروبا فكانت العائلة تستثمر ايضاً في اعادة بناء ما دمَّرته الحروب التي افتعلتها . وأبشع ما في ذلك هي تلك القروض الربوية التي تستعبد بها الحكومات القائمة في البلاد الجديدة . وحمل أفراد العائلة في مختلف البلدان التي سكنوها القاباً سياسية وتشريفية , لم يحظَ بمثلها ساكنو تلك البلاد الأصليون , مثل (البارون , اللورد , السيناتور , ...) .

ومن اغرب التقارير التي نُشرت هو تقرير (بازمان) عام ١٩٠٧م , الذي يتحدّث عن انّ "منطقة شمال افريقيا وشرق البحر المتوسط هي الوريث المحتمل للحضارة الحديثة , ولكن هذه المنطقة تتسم بالعداء للحضارة الغربية ..." , ومن ثمّ دعا الى اعادة هيكلتها ديمغرافياً . ويبدو انّ هذا التقرير –الذي فهمه العرب كدعوة لإنشاء اسرائيل واغتصاب فلسطين– كان ابعد في مراميه , حيث يهدف الى العودة نحو مصدر ومنبع الديانة الفرعونية . ولعلّ الهرم الذي يعلو مبنى "المحكمة العليا الإسرائيلية" , التي تمّ تشييدها بأموال عائلة (روتشيلد) يحكي قصة العلاقة بين الجديد والقديم[٤٥٥].

[٤٥٥] صراع الحضارتين , علي الابراهيمي , دار القارئ , عن مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة

ان يهود تعاليم (كبّالاه) يدركون جيداً بخبرتهم التاريخية استحالة توحيد العالم تحت حكمها بصورة مباشرة , لأسباب خارجة عن ارادتهم , لكنهم يعرفون ايضاً امكان استغلال الغرائز البشرية وجذبها نحو "قدس الاقداس" شيئاً فشيئا , عبر رسم خطط مستمرة , تعتمد على دراسة المجتمعات الانسانية , وعبر اغرائها بمكافئات مادية . ولا يتم ذلك الا بالاستيلاء على مصادر الثروة في العالم , واستغلال تراث (كبّالاه) الفيزيائي , والذي لا يمكن اظهاره بشكله السحري , بل يجب تغطيته بثوب جميل يمكن تسميته العلم والتكنلوجيا . وكذلك يجب بعثرة القدرات البشرية للأمم الاخرى وسلبها ارادتها , وخلق دوامة من الفوضى , وبث الرعب والاوبئة , التي لا يملك علاجها سوى من نشرها . وايضاً العمل على تشتيت الذهنية البشرية وتمزيقها الى مئات الافكار والمذاهب الصغيرة , وخلق الصراعات فيما بينها . ولحماية مسيرة (كبّالاه) يجب ايجاد قوانين غير اخلاقية تحكم العالم , تحت سيطرة المنظمات السرية التي تحكمها تعاليم (كبّالاه) . وهذا لا يتم الا عبر مؤسسات حاكمة عالمية , ومنظمات دولية , ترضخ الأمم لإرادتها . وفي النهاية ينساق العالم طائعاً ومكرها نحو الوهم الشيطاني الاكبر دون وعي .

ان ايجاد يهود مذهب (كبّالاه) لمفهوم (يهوه) التجسيدي , والذي يحل معهم اينما رحلوا , كما ان وجوده – بتصويرهم– يشكل سبباً لانتصار شعب اسرائيل , كان ضرورياً لتمهيد الاذهان لما يُسمّى في الثقافة الاسلامية "الاعور الدجال" . فقد بات الاسرائيليون يعتقدون بإمكان تجسد الإله , بل ضرورته , وفي مرحلة لاحقة – وبتأثير يهودي– تم زرع فكرة "ابن الرب" في المسيحية , حيث تكون عودته ضرورية ايضا , ومن هنا فلن يكون مستغرباً تجسد الشيطان وظهوره مستقبلا , كما خططت الديانة الفرعونية . وبسبب ان ظهور الشيطان مرتبط بظواهر خارقة للطبيعة , تتعدى المعرفة البشرية , لذلك كان من اللازم تربية الذهنية البشرية على فكرة التجسد الالهي .

لذلك كان اهم ما حذر منه الانبياء شعوبهم هو "ظهور الدجّال" , الذي هو أعور احدى العينينِ , وعينه الأخرى كأنها كوكب دري لامع , يكون في صفه من كل القوميات البشرية[٤٥٦], و ((ليس ما بين خلق آدم

[٤٥٦] البداية والنهاية , ابن كثير , ج ٢ , حديث : "اني خاتم الف نبي"

إلى يوم القيامة أمر أكبر من الدجال))٤٥٧ , و((تطوى له الأرض))٤٥٨, و((تسير معه الشمس))٤٥٩, و((يخوض البحار))٤٦٠, و((لم تكن فتنة في الأرض أعظم من فتنة الدجال)) , و((أكثر عسكره أصحاب التيجان او اليهود وأولاد الزنا))٤٦١, و((يأمر السماء أن تمطر فتمطر, ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت))٤٦٢, و((مكتوب بين عينيه كافر , يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب))٤٦٣, و((يجيء معه مثل الجنة والنار))٤٦٤. ومن السذاجة قراءة تلك الاوصاف بصورة حرفية , بل هي رموز , تناسب عصر صدورها , تحكي عن ظواهر اجتماعية عالمية كافرة , وتنطبق بصورة عجيبة على الحضارة المادية الغربية الراهنة , الأنانية التي لا ترى سوى مصالحها , والتي تهدد كل شعوب العالم التي تخالف أفكارها , وترفع من شأن جماعات منحرفة استجابت لها , والتي تقودها عوائل البنوك من (آل روتشيلد) و (آل روكفلر) , ابرز اعضاء محافل الماسونية , الوارثة لشريعة الفراعنة الشيطانية .

لما قدم (تبع اليماني) الى (المدينة) لمحاصرتها اثناه أحبار اليهود بقولهم له "انها مهاجر نبي , فرجع عنها"[٤٦٥]. وحين كانت يهود (خيبر) تقاتل قبيلة (غطفان) , وكانت تُهزم , فاستعاذت بدعاء (اللهم أنا نسألك بحق محمد النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه ...)[٤٦٦], وكانوا يخبرون العرب ان الزمان قد تقارب لبعث نبي يقاتل معه اليهود ضد العرب[٤٦٧], وكان يهود (بني عبد الأشهل) في (يثرِب) يحدّثون الناس بخروج نبي من جهة البيت الحرام[٤٦٨]. وفي قصة (بحيرى) الراهب , احد رجال الدين النصارى في الشام , مع (ابي طالب) – حين قدم مع ابن أخيه (محمد) في تجارة الى الشام– ما يكشف عن انتظار النصارى لظهور نبي , ومعرفتهم

---

[٤٥٧] مسند احمد , ج ١٢ , ح ١٦٢١٨

[٤٥٨] بحار الانوار , المجلسي , ج ٥٢ , ح ٢٦

[٤٥٩] بحار الانوار , المجلسي , ج ٥٢ , ح ٢٦

[٤٦٠] بحار الانوار , المجلسي , ج ٥٢ , ح ٢٦

[٤٦١] عقد الدرر في اخبار المنتظر , يوسف بن يحيى المقدسي الشافعي , ج ١ , ٣٣٨

[٤٦٢] تاريخ مدينة دمشق , ابن عساكر , دار الفكر , ج ٢ , ص ٢٢٤

[٤٦٣] اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم واشراط الساعة , حمود التويجري , ج ٢ , ص ٣٩٢

[٤٦٤] السنن الواردة في الفتن , ح ٦٣٥

[٤٦٥] البداية والنهاية , ج ٢

[٤٦٦] البداية والنهاية , ابن كثير , ج ٢ , فصل طلب اليهود من الله ان يبعث لهم نبيا

[٤٦٧] البداية والنهاية , ج ٢

[٤٦٨] البداية والنهاية , ج ٢

بصفاته , وعن علم (ابي طالب) بنبوة ابن أخيه قبل قريش , وايمانه به , حيث وفر له الحماية , حيث حذّره الراهب من اليهود . كما فهم ما فهمه (بحيرى) مجموعة أخرى من الرهبان[٤٦٩]. وقد حذّر الراهب المسيحي قريشاً من ان ترى الروم النبي فتعرفه بالصفة , فتقتله . وقد كان نَفَر من الروم يبحثون عنه في هذا الشهر لانتشار علم ظهوره . الامر الذي يعني ان اليهود والروم قد أيقنوا ظهور النبي وانه من العرب , وقد عزموا على قتله[٤٧٠]انسجاماً مع إرثهم الحضاري الفرعوني .

لذلك كانت القبائل والجماعات اليهودية هي وحدها من واجهت الاسلام بالعنف او التآمر , رغم انّ كلاهما نبع عن التوحيد , لكنّ هذا الامر يمكن تفسيره من خلال معرفة انّ جلّ بني اسرائيل الذي دخلوا العراق في الاسرين البابلي والآشوري صاروا مسيحيين , منذ القرن الاول الميلادي . فيما دخل الكثير من اليهود في المسيحية في (القدس) على يد المسيح ذاته , ومن ثمّ على يد تلامذته. ولم يبقَ على اليهودية إلَّا نزر يسير , متأثر بالظلموت الفرعوني . كما كان هناك مجاميع من اليهود لازالوا ينتظرون مخلّصهم , ولم يقتنعوا ب(عيسى) , وبعضهم لم يقتنع ب(محمد) كذلك , لكنّ الكثير من أفرادهم دخلوا في الاسلام تدريجيا .

وطالما باتت وجوه الأنصار وأشرافهم تحرس مقام رسول الله من غيلة قريش واليهود , لا سيما بعد عودتهم من معركة (أُحد) , وعلى رأسهم سيدهم (سعد بن عبادة)[٤٧١]. وهو الموقف الذي كشف فيه (أبو سفيان) و (شيبة بن عثمان بن ابي طلحة العبدري) فكرهما صراحة بالشماتة بالمسلمين , رغم اظهارهم الإسلام كذباً يوم فتح مكة[٤٧٢].

لكن كان لليهود شأن آخر مع تولّي (عمر بن الخطاب) منصب الخلافة الإسلامية . اذ قرر إجلاء اليهود وأهل الكتاب من جزيرة العرب اثناء الشطر الثاني من خلافته , لحديث روي اليه انه قاله النبي اثناء مرضه الذي رحل فيه ! , اَي بعد عشرات السنين , فبدا ل(عمر) في أهل الكتاب ما لم يبدُ للنبي ذاته ولا ل(ابي بكر) اثناء خلافته ولا ل(عمر) اثناء الشطر الأول من خلافته , بحديث مدّعى قال ان النبي قاله في ذات الحال الذي شكك في شرعيته (عمر)[٤٧٣]حين ادّعى أن النبي (يهجر) . ولا احد يعلم بواطن (عمر) , اذ هو شخصية تخفي الكثير من الأسرار , ولم يكن شخصاً سمحا , فقد اعترض بشدة وانتقد الرجل المسلم الذي قام بين يدي رسول الله قبل وفاته واعترف بأنه قد نافق , فهو لم يكن يرى الاعتراف بالأمراض الداخلية حتى أمام النبي ,

---

[٤٦٩] تاريخ الأمم والملوك , الطبري , دار الكتب العلمية , ج ١ , ص ٥١٩

[٤٧٠] تاريخ دمشق , ابن عساكر , دار الكتب العلمية , ج ٢ , ص ٤

[٤٧١] أعيان الشيعة , ج ١ , ص ٢٥٩

[٤٧٢] تاريخ الطبري , دار الفكر , ج ٢ , ص ١٨٢

[٤٧٣] تاريخ الطبري , مؤسسة الاعلمي , ج ٢ , ص ٣٠٧

حتى ان الكلمة التي قالها (عمر) عندما رد عليه رسول الله اعتراضه في تلك اللحظة لم ينقلها رواتهم , سوى انهم قالوا ان رسول الله قد ضحك , الامر الذي يكشف ان (عمر) لم يكن يدرك معاني القيادة النبوية ولم تكن تهمه خطورة النفاق[٤٧٤].

لذلك كان فعل (عمر) ضد الحديث النبوي , الذي منع الناس من تدوينه , بدعوى اختلاطه بكتاب الله ! , أمراً تماشى في خدمة اليهودية . فظلّ الحديث مكتوماً في الصدور حتى بدأ مرحلة التآمر الجديدة , حين استخدم (عمر) ومن بعده شذّاذ الافاق ومسلمة الفتح – الذين جعل لهم من العطاء في الديوان سهم السابقين في الإسلام[٤٧٥] – ومسلمة اليهود كرجال دين ومفتين في بلاد الاسلام , وهو بذلك غيّب تاريخاً نبوياً ثرّاً وحقيقياً , لم يكن ليصل منه شيء لولا (أهل بيت النبي) .

لذلك ليس من الغريب أن يزور (عمر) بيت المقدس في السنة السابعة عشر للهجرة , ويزيح الأقذار التي تُركت على مقدسات اليهود من قبل خصومهم , ويقيم مسجداً يتسع لثلاثة آلاف مصلي , لكن ليس داخل (المسجد الأقصى) , حيث بيت الله ومقام (دَاوُدَ) و(سليمان) , وإنما عند صخرة بعيدة نسبياً عنه , صَلَّى عندها (عمر) , وبذلك فصل بين ما لليهود وبين ما للمسلمين , حيث ظلّت الصخرة العُمَرية وكأنها هي (المسجد الأقصى) , فيما بقي المسجد الحقيقي (هيكلاً) لليهود , بحركة غريبة ملفتة من (عمر) .

ولمعرفة أسرار تلك العلاقة (العُمَرية – اليهودية) , وربما الغاية الأهم لانقلاب (السقيفة) , وما هي أسباب ظهور (الاسلام الرسمي القرشي) الحقيقية , وما معنى (الغاية الباطنية)[٤٧٦], يمكن قراءة القصة في (مدراش الملوك العشرة) , الذي يُنسب للحاخام (شمعون بن يوحاي) , الذي عاش في القرن الثاني للميلاد . حيث تروي القصة – التي ابتدأ انتشارها ضمن الأسرار اليهودية منذ الحروب الصليبية – مع (شمعون) المختبئ في كهف منذ ثلاث عشرة سنة , خوفاً من ملك (أيدوم) الذي امر بإفناء اسرائيل , قضاها بين الصلاة والصيام , داعياً الله ان يمنحه النور الذي يبحث عنه , وفجأة بدأت تُكشف له اسرار وغوامض , ويرى (القيني) , الذي هو مصطلح للدلالة على الشخصية العربية , نسبة الى (القين) احد أبناء (شعيب) الذي كان من أنبياء العرب , فرأى انّ (مملكة اسماعيل) جد العرب ستأتي , فعاتب الرَّبَّ (ألم يكفِ ما أنزلته بِنَا مملكة أيدوم الملعونة , حتى نستحق مملكة اسماعيل ايضا !) , فردّ عليه مقدم الملائكة (ميتاترون) قائلاً (لا تجزع يا ابن الانسان , جاء القدير بمملكة اسماعيل ليخلّصك فقط من تلك المملكة الشريرة أيدوم , وسينصّب عليها نبيّاً بإرادته , وسيفتح الارض لهم , وسيأتونكم ويعيدون للأرض مجدها , وسيقع رعب عظيم بينهم وبين أبناء عيسو) ,

---

[٤٧٤] تاريخ مدينة دمشق , دار الفكر , ج ٤٨ , ص ٣٢٣

[٤٧٥] تاريخ الطبري / مؤسسة الاعلمي / ج ٣ / ص ١٠٨

[٤٧٦] مصادر البحث الأساسية في كتاب (صراع الحضارتين) الذي صدر عن مركز عين للدراسات والبحوث ودار القارئ بقلم الكاتب

فأجابه الحاخام قائلاً (وما أدرانا انّ بهم خلاصنا ؟!) , فقال له (ميتاترون) ما نصه (الم يقل النبي اشعيا انه رأى عربة وزوج من ركّاب العربات , احدهما يمتطي حماراً , والآخر يمتطي جملا ؟ , لمَ قال ذلك فيما كان في وسعه القول : عربة تجرّها الجمال ثمّ عربة تجرّها الحمير ؟ , هل لأنه عندما يمضي قدماً يمتطي جملا , وعندما تنهض المملكة بساعديه سيمتطي حمارا ؟)[٤٧٧].

ويذكر (الطبري) في تاريخه (ولما بعث عمر بأمان أهل ايلياء وسكنها الجند شخص إلى بيت المقدس من الجابية فرأى فرسه يتوجى فنزل عنه وأتى ببرذون فركبه فهزه فنزل فضرب وجهه برادئه ثم قال قبح الله من علمك هذا ثم دعا بفرسه بعد ما أجمه أياما يوقحه فركبه ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس)[٤٧٨].

انّ النبوءة اليهودية لا تهتم كثيراً بمن يمتطي جملاً , بل بمن يمتطي الحمار , وهي هنا إشارة لظهور الاسلام , وركوب رسول الله (محمد) الجمل , وهذا تحقيق فعلي لنبوءة (اشعيا) القائلة (تغطيك كثرة الجمال بكران مِدْيَان وعيفة , كلها تأتي من شبا , تحمل ذهباً ولباناً وتبشّر بتسابيح الرَّبّ) , كما في الإصحاح ٦٠ الآية ٦ من سفر (اشعيا) , حيث يبدو ان (شبا) هي ذاتها (سبأ) التي كان لها مع رسول الله الدور الأهم في نشر الاسلام , ويكفي العلم انّ الانصار كانوا منها . لكنّ الحاخام (شمعون) صاحب النبوءة يركّز على مقولة (بلعام) في الكتاب المقدس (ثمّ رأى القيني , فنطق بمثله وقال : ليكن مسكنك متيناً وعشّك موضوعاً على صخرة) , فيقول هذا الحاخام (يكون الملك الثاني الذي ينهض من بين أبناء اسماعيل محبّاً لإسرائيل , ويسدّ الشقوق بينهم كما يسدّ الشقوق في الهيكل , ويعيد تشكيل جبل موريا ويسوّيه ويبني مسجداً على صخرة الهيكل , وفق ما ورد " ليكن عشّك موضوعاً على صخرة ")[٤٧٩].

والنصّ يتناول بوضوح ما قام به الخليفة الثاني (عمر بن الخطاب) من اعمال في بيت المقدس وبنائه المسجد المسمى اليوم (قبّة الصخرة) . ولقد رأى اليهود في بناء عمر لمسجد الصخرة سعياً منه لإعادة بناء (الهيكل) , بالتالي اعتبروه (مخلّصهم = منقذهم) من جور البيزنطيين . ومن هنا اطلق عليه اليهود لقب (الفاروق)[٤٨٠], وهي كلمة من أصل (آرامي) , حيث الآرامية اللغة التي كان يتحدث بها اليهود إبّان الفتح العربي , جاءت معرّبة من (بوروق) او (بوروقو) , بمعنى (المنقذ = المخلِّص = المحرَّر = الفادي) . يؤيد ذلك ما ذكره (الطبري) في (تاريخ الرسل والملوك) من انّ اوّل من لقّب (عمر) بالفاروق (رجل من يهود دمشق) , شهد مع عمر أيضاً الصلح مع أهل (ايلياء) . كما انّ (الطبري) في ذات الكتاب يذكر انّ (كعب الأحبار) تلا على

---

[٤٧٧] الفتوحات العربية في روايات المغلوبين , حسام عيتاني , دار الساقي , الفصل الثامن

[٤٧٨] الطبري , مؤسسة الأعلمي , ج ٣ , ص ١٠٦

[٤٧٩] الفتوحات العربية في روايات المغلوبين / حسام عيتاني / دار الساقي / الفصل الثامن

[٤٨٠] الشيخان \ طه حسين \ ص ٧١

(عمر بن الخطاب) نبوءة قال فيها (يا أمير المؤمنين , انه قد تنبّأ على ما صنعت اليوم نبي منذ خمسمائة سنة . فقال عمر : وكيف ؟ . فقال : انّ الروم أغاروا على بني اسرائيل , فاديلوا عليهم , فدفنوه – الهيكل – , ثمّ اديلوا فلم يفرغوا , ثمّ أدليت الروم عليهم الى ان وليت , فبعث الله نبياً على الكناسة , فقال : " أبشري أورى شلم , عليك الفاروق ينقيك مما فيك " . وبعث الى القسطنطينية نبي , فقام على تلّها , فقال : " يا قسطنطينية , ما فعل اهلك ببيتي ! , أخرجوه وشبهوك كعرشي , وتأوّلوا عليّ , فقد قضيت عليك ان أجعلك جلحاء يوماً ما , لا يأوي إليك احد ولا يستظل فيك , على أيدي بني القاذر سبأ وودان , فما أمسوا حتى ما بقي شيء ") . ثمّ يزيد الطبري على تلك الرواية عن (ربيعة الشامي) ما نصه (اتاك الفاروق بجندي المطيع , ويدركون لأهلك بثأرك من الروم)[٤٨١].

و (عمر) الذي سمح لكعب الأحبار ان يقول في (بيت المقدس) (لبيك اللهم لبيك) – رغم اقتصار هذه العبارة على حرم الله عند الكعبة – لم يسأل (كعب الأحبار) عن حقيقة ذلك النبي الذي كان مبعوثاً قبل خمسمائة عام , بمعنى انه جاء بعد (عيسى) , والإسلام لا يقرّ للقدس او القسطنطينية بنبوة بعد المسيح ! , ذلك لأنّ (عمر) يعلم انّ هذه النبوءة من احد سحرة (السنهدرين) , من خلال علومهم الباطنية الفرعونية .

لقد تحدّث المؤرخ (سيبوس) عن طلب العرب من ملك الروم تسليم (القدس) لهم , باعتبارها إرث إبراهيمي , وسعيهم – العرب – لبناء الهيكل اليهودي , قبل احتدام الصراع بين اليهود والعرب حسدا , وبعد قيام جماعة من اليهود بإثارة الفتنة بين المسلمين والمسيحيين .

فيما ذكر المؤرخ (ميخائيل السرياني) انّ العرب حين أرادوا اعادة بناء (الهيكل) تهدّم ولم يقم , فاخبرهم اليهود انه لن يقوم ما لم يسقطوا (الصليب) , لذلك انزل العرب الكثير من الصلبان . وهذا ما أشار اليه (استاسيوس السينائي) بحدوث هزّات ارضية تسببت بانهيار ما بناه العرب من (الهيكل) .

لقد ذكرت بعض المصادر التاريخية انّ (عمر) سمح بإقامة نحو سبعين أسرة يهودية في (القدس) , وذلك ما يتوافق ومرافقة (كعب الأحبار) له . فيما اسكن العرب جموعاً من الأسر اليهودية في اغلب المدن الشامية عند الفتح , مما يكشف عن تخطيط خفي خلف الكواليس للتغيير الديمغرافي .

امّا اليهودي المعاصر (اسرائيل وولفنسون = ابو ذؤيب) فيكتب (ينبغي الّا يغيب عن البال انّ الخسارة القليلة التي لحقت بيهود بلاد الحجاز ضئيلة بالقياس الى الفائدة التي اكتسبها العنصر اليهودي من ظهور الاسلام , فقد أنقذ الفاتحون المسلمون الافاً من اليهود كانوا منتشرين في أقاليم الدولة الرومية , وكانوا يقاسون ألوان العذاب) .

---

[٤٨١] الطبري , ج ٣ , ص ٦١٢

لقد قرّر مجمع (طليطلة) المسكوني عام ٦٩٥ م محو اليهودية كديانة من اسبانيا , بعد اكتشافه انهم هم من حرّض العرب على غزوها . ومثل هذه الاتهامات شاعت كثيراً ضد اليهود من قبل المجامع المسيحية حينذاك . ولا يُعلم الغاية اليهودية من دعم الجيوش العربية , وما المكاسب التي اغتنموها لاحقاً . حيث كان اليهود سبباً مهماً – من الناحيتين التحريضية والمعلوماتية – في انحسار ممالك (القوط الغربيين) . فهل كان ذلك في إطار مرحلة تغيير ضمن الجماعات الباطنية , ام انه صدى لإرث عدائي تاريخي بين اليهود المختلفين في انتمائهم العقائدي العام وبين السلطة السياسية للمالك الأوربية ؟ .

ولم تكن هذه المواقف من الفئة القرشية بجديدة , او انها نشأت بعد وفاة رسول الله , بل كانت هذه الطبقة مؤذية للرسالة وسمعتها , لا سيما جماعة (خالد بن الوليد , عمرو بن العاص , ...) الذين اظهروا الاسلام نفاقا , وابطنوا الكفر . والحربائيون هؤلاء كانوا يداً فاعلة في الحركة الباطنية للدولة العُمَرية , ووقع على عاتقهم تنفيذ ما لا يستطيع أمثال الشيخين فعله لأسباب ذاتية وموضوعية . ففي (الجعرانة) حيث كان سبايا (حنين) كان قد مرّ رسول الله بامرأة قتلها (خالد بن الوليد) , والنَّاس يجتمعون عليها , فقال : ما هذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها (خالد بن الوليد) , فقال لبعض من معه : ادرك (خالداً) , فقل له : انّ (محمداً) ينهاك ان تقتل وليداً او امرأة او عسيفا[٤٨٢].

انّ إيمان اليهود بالإسلام ليس مُتّهماً في اصله , بل في بعض ما جاء به كثير منهم . فمن اليهود الذين كان لهم احترام – فيما يمكن الاطلاع عليه من المصادر لدى الفريقين – ناشئ عن انشغالهم الفعلي بالدِّين وموعظته كان (محمد بن كعب القرظي) . ورغم انّ التاريخ الرسمي استخدمه للتغطية على ورثة العلم من (ال هاشم) وتلامذة الصحابة الأوائل , فنقلوا عن (ابن عون) قوله (ما رأيت احداً اعلم بتأويل القرآن من القرظي)[٤٨٣], وعن (ابن سعد) – في ترجمة (أبي بردة) روى عن النبي أنه قال (سيخرج من الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها احد بعده . قال ربيعة: فكنا نقول: هو محمد بن كعب القرظي, والكاهنان قريظة والنضير)[٤٨٤]. الّا انّ الأحاديث المروية عن (القرظي) عموماً وعظية , لكنّ الاوصاف التي رووها له تثير التساؤل عن حقيقة كون يهودي اعلم من أئمة أهل البيت واجلّاء الصحابة , وهو لم يولد الّا عام ٤٤ هجرية , لأب لم يولد في الاسلام ! .

امّا المثير الغريب من المواقف ليهود اسلموا فكان كثيرا . ومن ذلك ما يروونه عن زوج النبي (صفية بنت حيي بن أخطب) , وهي من يهود (خَيْبَر) , حين زارت بيت المقدس بعد فتحه من قبل الخليفة (عمر) , فقالت

---

[٤٨٢] السيرة النبوية , ابن كثير , دار المعرفة , ج ٣ , ص ٦٣٨

[٤٨٣] تفسير البحر المحيط , أبو حيان الاندلسي , دار الكتب العلمية , ج ١ , ص ٢٢

[٤٨٤] تاريخ مدينة دمشق , ابن عساكر , دار الكتب العلمية , ج ٣ , ص ٥٣

عنده جبل (طور زيتا) – بعد ان صلّت عليه – ما نصه (من ها هنا يتفرّق الناس يوم القيامة الى الجنة والى النار)[٤٨٥]. ولا غرابة ان يروي اليهود ما شاءوا بعد اعلان اسلامهم , لكن الغريب ان يستفتيهم الخليفة (عمر) في امر (الدجّال) وهم على يهوديتهم , كما فعل عند فتح (القدس)[٤٨٦].

انّ ما يهمّ من امر (مسلمة اليهود) الشريك الاخطر للخليفة (عمر) , الذي رافقه في مراحل خلافته , وهو (كعب الأحبار) . الذي كان من يهود اليمن , وهي تحوي من اليهود مجاميع كثيرة منذ دخلت في اليهودية على زمان النبي (سليمان) .

فعن كتاب (فتوح مصر والمغرب) ل(ابن عبد الحكم) عن (موسى بن علي) عن ابيه قال (خَرَجْتُ حَاجًّا, فقالَ لِي سليمان بنُ عَنَزٍ – قَاضِي أَهْلِ مِصْرَ–: أَبْلِغْ أَبَا هُرَيْرَةَ مِنِّي السَّلَامَ, وَأَعْلِمْهُ أَنِّي قَدِ اسْتَغْفَرْتُ الْغَدَاةَ لَهُ وَلِأُمِّهِ, فَلَقِيتُهُ فَأَبْلَغْتُهُ, قالَ: وَأَنَا قَدِ اسْتَغْفَرْتُ لَهُ, ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ أُمَّ خَنُّوْر – يَعْنِي مِصْرَ –؟ قالَ: فَذَكَرْتُ لَهُ مِنْ رَفَاهِيَتِهَا وَعَيْشِهَا, قالَ: أَمَا إِنَّهَا أَوَّلُ الْأَرْضِ خَرَابًا, ثُمَّ أَرْمِينِيَةُ, قُلْتُ: سَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ او من كعب الكتابين ؟)[٤٨٧], قال ذلك تهكّماً وسخرية , وهذه الرواية تكشف مستوى التزوير الذي مارسه (كعب الأحبار) في الحديث والقصة والرواية . فيما يُترك (علي بن ابي طالب) , الذي جعل الله فيه – بحسب (ابن عباس) – تسعة أعشار علم الامة وشاركها في العشر الأخير , وكان اعلم أصحاب (محمد) على قول (عطاء)[٤٨٨], واليه ينتهي علم التوحيد وعنه نُقل بحسب (ابن ابي الحديد)[٤٨٩].

لقد أعلن (كعب الأحبار) إسلامه الظاهري في خلافة (عمر) , في السنة الثانية عشر او السابعة عشر من إمارة (عمر) , على اختلاف , والأشهر هو الأخير . ومع ذلك حاول القوم – لمّا رأوْا ارتباطه الوثيق بتاريخهم الرسمي – تقديم تاريخ إسلامه كرامة له , فجعلوه في بعض الروايات الشاذة على عهد رسول الله , ومرة اخرى على زمان (ابي بكر) . وما كل هذا التناقض الّا لتزييف التاريخ.

وكان عدداً من اليهود – في حركة غريبة ومريبة – قد عادوا الى (المدينة) في اخر ايام رسول الله , بعد ان أجلاهم النبي عنها , كما يذكر صاحب كتاب (تاريخ اليهود في بلاد العرب) , الّا انهم لم يكونوا يحملون علم وحنكة (كعب الأحبار) وخبرته بالإسرائيليات والعلوم الباطنية , او انهم لم يشاؤوا إظهار ذلك لضرورات المرحلة , واكتفوا بوظائف تمهيدية لمرحلة (كعب الأحبار) .

---

[٤٨٥] اثارة الترغيب والتشويق في تاريخ المساجد الثلاثة والبيت العتيق \ محمد بن إسحاق الخوارزمي \ دار الكتب العلمية \ ص ٤٠١

[٤٨٦] تاريخ الطبري / مؤسسة الاعلمي / ج ٣ / ص ١٠٤

[٤٨٧] فتوح مصر والمغرب , ابن عبد الحكم , مكتبة الثقافة الدينية – ١٤١٥ هـ , ص ٢٦٠

[٤٨٨] اسد الغابة في معرفة الصحابة / ابن الأثير / انتشارات اسماعيليان / ج ٤ / ص ٢٢

[٤٨٩] شرح نهج البلاغة / ابن ابي الحديد / دار الكتب العلمية / ج ١ / ص ١٧

فيما يروي الطبري انّ يهودياً طلب الى (عمر) وهو بالشام الّا يرجع حتى يفتح (أورشليم) . ففي طريق (عمر) أتاه رجل من (يهود دمشق) قائلاً (السلام عليك يا فاروق , انت صاحب ايلياء , لا والله لا ترجع حتى يفتح الله ايلياء) . وشهد ذلك (اليهودي) الصلح بعد فتح أورشليم , بعد ان دعاه عمر حين قيل له (انّ لديه علماً جمّا)[٤٩٠].

وفيما حاول (سيف بن عمر) حماية تاريخ الخليفة (عمر) بادعائه انّه خضع لشرط المسيحيين عند فتح (القدس) بعدم اسكان اليهود فيها , الّا انّ ذلك يكذّبه مؤرخين اهم من (سيف) والمصدر الذي نقل ادّعائه , هما (سعيد بن بطريق) , وقد كان بطريركاً مسيحياً , و (اليعقوبي) , المؤرخ المسلم الحاذق , واللذان لم يذكرا هذا الشرط في فتح (القدس) .

لكنّ مصادر (يهودية) تقول انّ هناك جماعات من اليهود كانوا في الجيوش الاسلامية الفاتحة , هم الذين اشترطوا على المسلمين تنظيف الحرم من اثار البيزنطيين , ومن ثمّ استوطنوا (القدس) مع المسلمين في ناحية (جبل الزيتون) المطل على (جبل الحرم) . وهذا ما يُنقل عن رسالة العالم (سليمان بن يروحام القرائي) , المقيم في (القدس) عند القرن العاشر الميلادي , (انّ اليهود أطلقت لهم حرية الدخول والسكنى ببيت المقدس حين ظهور ملكوت إسماعيل) . وكذلك يشير (ثيوفانس كونفسور) في نهاية القرن الثامن الى (انّ اليهود أشاروا على الخليفة عمر بن الخطاب بإزالة الصلبان من الكنيسة الكبرى التي وجدت على الطور امام الحرم) . امّا المؤرخ الأرمني (سيبوس) فيذكر (انّ عمر سمح لليهود ببناء معبد للصلاة داخل ارض الحرم) . فيما ينقل العالم (سمحا أسف) عن مخطوطة يهودية قديمة ما نصّه (ثم امرهم بكنس القدس وتنظيفها , وعمر يشرف عليهم ... فكلما انكشف ... سأل شيوخ اليهود عن الصخرة , فكان بعض العلماء يحدد له الموضع الى ان انكشف , فامر ان يبنى سُوَر القدس ويبنى على الصخرة قبة تطلى بالذهب . وبعد ذلك أرسل اليهود الى سائر بلاد الشام يعرفون اخوانهم بما وافقهم عليه عمر ... ثم انه قال : أين تحبون ان تسكنوا في البلد ؟ فقالوا : جنوب البلد وهو سوق اليهود . وكان طلبهم قرب القدس وأبوابها وكذلك مع السلوان للاستحمام . والسلوان هي القرية الملاصقة البنايات الى يومنا الى جبلي صهيون والحرم ... فأنعم أمير المؤمنين عليهم بذلك ...) [٤٩١]. وهنا يُرى سلوك (عمر) يهودياً بكل ما للكلمة من معنى .

وفي المجلد الثالث من تاريخ (الطبري) قال (عن أبي مريم مولى سلامة قال : شهدت فتح ايلياء مع عمر رحمه الله , فسار من الجابية فاصلاً حتى يقدم ايلياء , ثم مضى حتى يدخل المسجد , ثم مضى نحو محراب داود , ونحن معه , فدخله ثم قرأ سجدة داود فسجد وسجدنا معه . وعن رجاء بن حيوة عمن شهد قال : لما

---

[٤٩٠] تاريخ الطبري ١ ج ٢ ١ دار الكتب العلمية ١ ص ٤٤٨

[٤٩١] كعب الاحبار , إسرائيل بن زيف , مطبعة الشرق التعاونية – ١٩٧٦م , ص ٣٨ – ٣٩

شخص عمر من الجابية إلى ايلياء فدنا من باب المسجد قال ارقبوا لي كعباً . فلما انفرق به الباب قال : لبيك اللهم لبيك بما هو أحب اليك . ثم قصد المحراب محراب داود وذلك ليلاً فصلّى فيه , ولم يلبث أن طلع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة فتقدم فصلى بالناس وقرأ بهم " ص " وسجد فيها ثم قام وقرأ بهم في الثانية صدر بني اسرائيل ثم ركع ثم انصرف , فقال علي بكعب . فأتى به فقال : أين ترى أن نجعل المصلى ؟ فقال : إلى الصخرة . فقال: ضاهيت والله اليهودية يا كعب , وقد رأيتك وخلعك نعليك . فقال: أحببت أن أباشره بقدمي . فقال: قد رأيتك , بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مساجدنا صدورها , اذهب اليك فإنا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أمرنا بالكعبة . فجعل قبلته صدره , ثم قام من مصلاه إلى كناسة قد كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس في زمان بني اسرائيل , فلما صار إليهم أبرزوا بعضها وتركوا سائرها , وقال: يا أيها الناس اصنعوا كما أصنع . وجثا في أصلها وحثا في فرج من فروج قبائه وسمع التكبير من خلفه , وكان يكره سوء الرعة في كل شئ , فقال: ما هذا ؟ فقالوا: كبّر كعب وكبّر الناس بتكبيره ...)[٤٩٢] . و (رجاء بن حيوه) هذا الذي سجد لسجود (كعب الأحبار) من أهل الكتاب الذين اظهروا اسلامهم , وصار المفتي والفقيه الأموي الابرز لطواغيت بني أمية , وله احال (عبد الملك) هندسة النقوش عند إعمار الحرم في (بيت المقدس) .

وقال ابن كثير في (البداية والنهاية) ما نصه (روى الحافظ بهاء الدين ابن عساكر في كتابه " المستقصى في فضائل الأقصى " بسند له عن الأوزاعي , عن خالد بن معدان , عن كعب الأحبار , أنه قال : إن مدينة القسطنطينية شمتت بخراب بيت المقدس , يعني زمن بختنصر , فتعززت وتجبرت وشمخت , فسماها الله , عز وجل , العاتية المستكبرة; وذلك أنها قالت مع شماتتها ببيت المقدس: إن يكن عرش ربي على الماء , فقد بنيت أنا على الماء . فغضب الله تعالى عليها , ووعدها العذاب والخراب وقال لها : حلفت يا مستكبرة لما قد عتيت عن أمري وتجبرت , لأبعثن عليك عباداً لي مؤمنين من مساكن سبأ , ثم لأشجعن قلوبهم حتى أدعها كقلوب الأسد الضارية , ولأجعلن صوت أحدهم عند البأس كصوت الأسد حين يخرج من الغابة , ثم لأرعبن قلوب أهلك كرعب العصفور , ثم لأنزعن عنك حليك وديباجك ورياشك , ثم لأتركنك جلحاء قرعاء صلعاء; فإنه طال ما أشرك بي فيك , وعبد غيري , وافتري علي , وأمهلتك إلى اليوم الذي فيه خزيك , فلا تستعجلي يا عاتية فإنه لن يفوتني شيء أريده) . وهي الرواية التي يرى باحثون يهود انها متوافقة مع آيات (تلمود السنهدرين) . وفيها يُرى العداء للقسطنطينية واضحاً في نفس (كعب الأحبار) , وهو ما كان ناشئاً ربما عن استقلال الكنيسة الرومية الشرقية بعقائد بولصية متأثرة بالموطن الجديد في اليونان ذات الفلسفة القديمة ,

[٤٩٢] طبعة مؤسسة الأعلمي , ص ١٠٦

على خلاف الكنيسة الرومانية الغربية التي استحوذ عليها الباطنيون اليهود لاحقاً , بسبب وقوعها في مجتمع لا يملك عمقاً حضارياً معرفياً مناسبا .

وعن كتاب (البلدان) للهمداني عن (كعب الأحبار) قوله (قرأت في التورية أن الله جلّ وعزّ يقول للصخرة: أنت عرشي الأدنى, منك ارتفعت إلى السماء, ومن تحتك بسطت الأرض, ومن أحبّك أحبّني ومن أبغضك أبغضني ومن مات فيك فكأنّما مات في السماء, أنا جاعل لمن يسكنك أن لا يفوته الخبز والزيت أيّام حياته وكلّ ماء عذب من تحتك يخرج, لا تذهب الأيّام حتى يزفّ إليك البيت الحرام, وكلّ بيت يذكر فيه اسمي, يحفّون بك كما يحفّ الركب بالعروس) , وهنا بشارة يهودية .

ويرى علماء غربيون مثل (لوث) و (كايتاني) انّ صحابة مثل (ابن عباس) قد اخذوا الكثير عن (كعب الأحبار) , حتى صار ل(ابن عباس) منهجاً اقرب لليهودية في التفسير . لكنّ هؤلاء الباحثين قد غفلوا عن انّ الاسلام القرشي جعل روايات (كعب الأحبار) على لسان (ابن عباس) , حماية وترويجا . وهذا ما يمكن فهمه بوضوح من موقف (ابن عباس) في انتقاده السابق لروايات وقصص واعتقادات (كعب الأحبار) . وهذا هو منهج القوم في تسويق خرافات وأساطير ودسائس مسلمة اليهود , ما جعل العالم (شوللي) يشارك هذا الرأي , من التشكيك في دعاوى التاريخ الرسمي عن وجود علاقة بين الاثنين .

ومثال هذه المعالجة لروايات مسلمة الفتح ما نقله صاحب (الموطأ) عن فضل يوم الجمعة عن (ابي هُريرة) عن (عبد الله بن سلام) اليهودي , لكنّها في كتاب اخر هو (الجامع) ل(ابن وهب) عبارة عن محادثة بين (كعب الأحبار) وَ(عبد الله بن سلام) اليهوديين , توافقاً مع كتاب (المشنا) , كما يذكر الباحث اليهودي (اسرائيل ابو ذؤيب) .

اما (عثمان بن عفان) , المتأفف من غبار بناء مسجد رسول الله , والمهدد للصحابي الكبير (عمار بن ياسر) حين ارتجز مقارناً بين من يبني المساجد وبين يضيق من غبارها[٤٩٣]. وبحسب شهادة (عبد الله بن عمر) انه لم يحضر (بدراً) , وفرّ يوم (أحد) حتى بلغ (المدينة) , وأقام ثلاثاً , فقال له رسول الله ((لقد ذهبتم فيها عريضة))[٤٩٤], وتخلُّف عن بيعة الرضوان , وإن كان (ابن عمر) أراد نصرته إعلامياً من خلال التبرير للسائل

[٤٩٣] السيرة النبوية , ابن هشام , العبيكان للنشر , ج ٢ , ص ٩٧

[٤٩٤] البداية والنهاية , ابن كثير , دار احياء التراث العربي , ج ٤ , ص ٣٢

, الا ان شهادة (ابن عمر)[٤٩٥]كافية في بيان ما عليه الرجل من ضعف عملي في عقيدته . لكن لم يفت القوم ان يجعلوا له فضيلة الأوائل , اذ جعلوه ممن هاجر الى الحبشة , ثم أعادوه مبكراً الى مكة , ليظهروه في جملة من الصور الإسلامية الى جانب النبي, لأنهم يعلمون ان مهاجري الحبشة إنما رجعوا بعد (الحديبية) والصلح , وهي فترة طويلة على رواة السلطة ان يغيب فيها (عثمان) . فاختلقوا لإعادته الافتراضية قصة , أساؤوا فيها الى مقام النبي إساءة عظيمة ومرعبة , اذ ادعوا ان الشيطان ذكر آلهة قريش بخير على لسان النبي بالقول (تلك الغرانيق العُلى وان شفاعتهن لترتجى) , وقريش تسمع , فسجد النبي وسجد عتاة قريش , فوصل الخبر الى مهاجري الحبشة , ان قريشاً اسلمت جميعها , فعاد قسم كبير منهم الى عشائرهم , وفِي العائدين (عثمان بن عفان)[٤٩٦]. ولا يمكن ان يظن حتى الساذج لهذه القصة من مصداقية , لكذبها أولاً على حضرة النبي والقرآن الكريم , الذي يقول ((ما ضلّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * ان هو الا وحي يوحى * عَلَّمَه شديد القوى))[٤٩٧], وهي آيات في اول سورة (النجم) التي ادعوا نفث الشيطان كلماته فيها , فكأنما أعماهم هم الشيطان عن الربط بين كلام الله وبيانه وبين دعواهم تلك , واستحالة ان يتصور الشاهد لهذا المقام –على فرض قبوله , وفرض المحال ليس بمحال– تبعية قريش وإيمانهم بالنبي لمجرد الاشتباه في تلك اللحظة , ثم المسير لأشهر طويلة بين الدول ليوهم أهل الحبشة , ومن الواضح ان قريشاً والنبي ظلوا اعداءً بعد لحظة واحدة من هذه الحادثة الوهمية المدعاة . ثم ان المهاجرين الى الحبشة إنما خرجوا نتيجة لإيذاء كفار قريش لهم , فكيف باتوا في عشائرهم التي اذتهم وهي لمّا تزل كافرة ! . لكنّ القصة منقولة عن (يزيد بن زياد المدني) , الراوي تكلّم (معاوية) بدعاء رسول الله على المنبر[٤٩٨], والذي قال (البخاري) عنه (لا يتابع على حديثه)[٤٩٩], عن احد مسلمة اليهود (محمد بن كعب القرظي) .

ف(عثمان بن عفان) قد اساء السيرة , وقرّب في خاصته شرار بني أمية , وجفا الصالحين من الصحابة , حتى انه نفى اصدق الناس لهجة الصحابي الزاهد الثائر (ابا ذرّ الغفاري) الى (الربذة) , دفاعاً عن اليهودي (كعب الأحبار)[٥٠٠]. فاجتمع عليه أهل العراق وأهل مصر وأهل (المدينة) فقتلوه , فأقام مطروحاً على الكناسة[٥٠١]ثلاثا[٥٠٢].

---

[٤٩٥] البداية والنهاية , ابن كثير , ج ٤

[٤٩٦] تاريخ الطبري , مؤسسة الاعلمي , ج ٢ , ص ٧٧

[٤٩٧] سورة النجم ٢ – ٥

[٤٩٨] تهذيب الكمال , المزي , مؤسسة الرسالة , ج ٣٢ , ص ١٣٣

[٤٩٩] تهذيب التهذيب , ج ١١ , ص ٣٢٨

[٥٠٠] التفسير والمفسرون , د. محمد حسين الذهبي , مكتبة وهبة , ج ٣ , ص ٢١٩

[٥٠١] القمامة

والملفت في احداث ثورة الصحابة ضد الخليفة (عثمان) انّ ابرز المدافعين عنه كانوا يهوداً . فقد اقبل (عبد الله بن سلام) حتى قام على باب الدار ينهاهم عن قتله وقال (يا قوم لا تسلّوا سيف الله عليكم , فوالله إن سللتموه لا تغمدوه , ويلكم إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرة , فإن قتلتموه لا يقم إلا بالسيف , ويلكم إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله , والله لئن قتلتموه لتتركنها) , فقالوا (يا بن اليهودية وما أنت وهذا !) فرجع عنهم[٥٠٣].

وَ(عبد الله بن سلام) حبر من أحبار يهود (بني قينقاع) , اختلف الرواة في تاريخ إسلامه , هل كان بعد وصول النبي الى (المدينة) , ام قبل وفاته بعامين . فيما وضعت (صفية بنت حيي بن أخطب) خشباً بين منزلها ومنزل (عثمان) , تنقل اليه الماء والطعام . حيث حاء في (سير إعلام النبلاء) ل(الذهبي) عن (كنانة) قال (كنت أقود بصفية لتردّ عن عثمان , فلقيها الأشتر , فضرب وجه بغلتها حتى مالت ؛ فقالت : ذروني , لا يفضحني هذا ! . ثم وضعت خشباً من منزلها إلى منزل عثمان , تنقل عليه الماء والطعام)[٥٠٤].

و (صفية بنت حيي) من يهود (بني النضير) , وامها من يهود (بني قريظة) .

وهي أمور تثير التساؤل الدائم عن هذه العلاقة العميقة بين مسلمة اليهود وهؤلاء الخلفاء الأوائل . فهم حتى قبل زمان الخلافة وحين كانت سراياهم مهزومة او غير منتجة اذا تم انتدابهم , حين كان يريد رسول الله أحيانا بيان سبب عدم تكليفهم . فحين بعث النبي (عمرَ بن الخطاب) الى (هَوازن) رجع بلا قتال , في ثلاثين رجلا , وحين سُأل لماذا لم يقاتل قبيلة (خثعم) ؟ , قال انه لم يؤمر الا بقتال (هَوازن) , وحين تم انتداب حليفهم يوم السقيفة (بشير بن سعد) – والد (النعمان بن بشير) , الذي ولّاه بنو امية في خلافتهم على الكوفة – لقتال (بني مرة) , عاد منهزماً وحده , بعدما قُتِل من معه , ولجأ هو الى يهودي يعرفه , الامر الذي يدل على انكساره وهروبه من المعركة قبل انتهائها وعلى علاقة غريبة باليهود[٥٠٥].

غير أن الغريب هو نسبة تاريخ من كان بعيداً عن مسلمة اليهود الى اليهودية من قبل بعض الجهات العامية , لتبرئة من كان على علاقة جلية باليهود عامة , والإساءة لمن كان في صف (علي بن ابي طالب) من الصحابة والقبائل , على خلاف حقائق التاريخ , كما في اختلاقهم قصة (عبد الله بن سبأ) . اذ ان ملخص رواية المثبتين لوجود شخصية (عبد الله بن سبأ) في التأريخ الاسلامي على النحو التالي : أنّ يهودياً من

---

[٥٠٢] المعجم الكبير , الطبراني , دار الكتب العلمية , ج ١ , ص ٤٤ , ح ١٠٧

[٥٠٣] تاريخ الطبري ا ج ٣ ا مؤسسة الاعلمي ا ص ٤٢١

[٥٠٤] سير اعلام النبلاء ا الذهبي ا ج ٢ ا ص ٢٣٧

[٥٠٥] البداية والنهاية , ابن كثير , ج ٤

صنعاء اليمن أظهر الاسلام في عصر (عثمان بن عفان) , واندسَّ بين المسلمين , وأخذ يتنقّل في حواضرهم وعواصم بلادهم , في الشام والكوفة والبصرة ومصر, مُبشّراً بأنّ للنبيّ (محمد) رجعة , كما أنّ ل(عيسى) بن مريم رجعة, وأنّ (علياً) هو وصيُّ (محمد) , كما كان لكلّ نبيّ وصيٌّ , وأنّ (علياً) خاتم الاوصياء كما كان (محمد) خاتم الأنبياء , وأنّ (عثمان) غاصب حق هذا الوصيّ وظالمه فيجب مناهضته لإرجاع الحقّ إلى أهله. وسمّوا بطل قصّتهم (عبدالله بن سبأ) ولقّبوه بـ " ابن الامة السوداء " , وزعموا أن (عبدالله بن سبأ) هذا بثّ في البلاد الاسلامية دُعاته , وأشار عليهم أن يُظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر , والطّعن في الأُمراء , فمال إليه وتبعه على ذلك جماعات من المسلمين , ومن هنا ولد مذهب التشيع , على رأيهم .

وابتدأ هذا الادعاء منذ زمان (الطبري) , وهو اول راوٍ للاسم المدّعى , الى وقت تبنيه رسمياً على يد الوهابية السلفية . ولعل اشهر ما كتبه السلفيون اليوم , غير ما كتبه (احسان الهي ظهير) , هي رسالة الماجستير للباحث (سليمان بن حمد العودة) بعنوان " عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام " .

والحقيقة ان ما نسبه هؤلاء المتبنون لدعوى وجود هذه الشخصية في التأريخ من قدرات وامكانيات سياسية واقتصادية واعلامية وحنكة ودهاء لهو ما لم يتوفر لأعظم الشخصيات بل المنظمات والدول على مر التأريخ , فهذه الشخصية التي غيرت مجرى الاحداث في صدر الاسلام , واثرت في كل الامصار والاصقاع المتباعدة , لتحدث ثورة الصحابة ضد (عثمان) , لهي كفيلة بالقضاء على النبوة والاسلام في مهدهما لو تبناها اليهود منذ البداية ! .

وقد كانت قبائل اليمانية الازدية التي ناصرت (علياً) تعيش بين الديانات التوحيدية الإبراهيمية واليهودية والمسيحية , اما في العراق فقد كانوا على المسيحية , وهذا مميز آخر , يجعلهم يفضلون على غيرهم لو تم القياس . وهذا لا يلغي دور قبائل وانساب اخرى ناصرت (علي بن ابي طالب) , بل ان (الازد) كانوا محور حركة هذه النصرة , فهناك قبائل كثيرة لم تقل إقداماً في نصرة الحق مع (علي) , حيث لا يفترقان حتى يردا على رسول الله الحوض .

فيما صنعت روايات بني امية – خلفاء عثمان – هولوكوست يهودياً يدين رسول الله في جريمة قتل (بني قريظة) بلا رأفة . اذ تنقل هذه الروايات انه جمعهم – بعد حكم حليفهم (سعد بن معاذ) فيهم – في أخاديد وذبحهم صبرا . وتنقل هذه الروايات ايضاً علائم البطولة والإخلاص والحب التي تمتع بها هؤلاء اليهود , وأنهم كانوا أسمى من المادة , كما في نبل (الزبير بن باطا) اليهودي حسب الرواية . وتنقل ايضاً صورة شبيهة بصورة (سارة) اليهودية المختلقة في مسلسل (باب الحارة) من البِشر والطيبة والصبر .

وهي صور قطعاً لم يتمتع بها اليهود يوما , وإنما اريد منها تهويل المشهد الدرامي . ليزداد الغضب العاطفي العالمي من فعل رسول الله , ومن سوء صنيع (سعد بن معاذ) مع حلفائه[٥٠٦]. وبالتالي الطعن على النبي والأنصار , والتبرير لجرائم بني امية[٥٠٧]وبني الزبير[٥٠٨].

فالراوي لهذا الهولوكست المختلق هو (ابن شهاب الزهري) , الذي صار في ديوان أصحاب (عبد الملك بن مروان) , بعد ان قصده الى الشام مدقعاً فقيرا , واستبقاه يفتيه بقضاء (عمر) – الذي كان حليفاً لليهود – , و(عمر) لا قضاء له قد شغله الصفق في الأسواق كما قال , وبعد وفاته لزم ابنه (الوليد) , ثم (سليمان) , ثم (عمر بن عبد العزيز) , ثم (يزيد) , فاستقضاه (يزيد بن عبد الملك) على قضائه مع (سليمان بن حبيب المحاربي) جميعا , ثم لزم (هشام بن عبد الملك) , وصيّره (هشام) مع أولاده , يعلّمهم ويحج معهم[٥٠٩].

كذلك عن (عروة بن الزبير) عن (عائشة) , تبريراً لما فعله اخوه (عبد الله بن الزبير) في جملة (بني هاشم) . وكان أبو (الزهري) من رجال (ابن الزبير) ايضاً . وقد اعتاد (آل الزبير) التلفيق كلما احتاجوا الى ناصر , اذ هم لم يملكوا علم (بني هاشم) ولا مال ونفوذ بني امية , وهما خصومهم . كما فعلوا من تمجيد شريك ابيهم (طلحة بن عبيد الله) , وجعله المدافع عن رسول الله بتميز , رغم كونه احد الهاربين المؤلفين عن رسول الله يوم (احد) وظن انه قتل , برواية عن (يحيى بن عُبَاد بن عبد الله بن الزبير) عن ابيه عن جده[٥١٠]. وربما لهذا حظي (عبد الله بن الزبير) , ذلك العاصي امام زمانه والخارج عليه والسبب الأول في قتل ابيه (الزبير) , بمنقبة " الأول " كغيره من رؤوس الفتنة , اذ رووا انه كان اول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة , وان النبي كبّر حين ولادته , وليجعلوا هذا التكبير منطقياً رووا ان اليهود سحروا المهاجرين وكان النبي يخشى الا يولد لهم ولد . ولم يفت هؤلاء الرواة ان يجعلوا للعاصي الاخر وهو (النعمان بن بشير) منقبة الأول كذلك , فجعلوه اول مولود للأنصار بعد الهجرة[٥١١]. ومن ثم قسموا المنقبة المدعاة ذاتها – بعد اثارتها – بين قطبين سيئين من اقطاب السوء في المهاجرين والأنصار .

ومن الواضح ان يهود (بني قريظة) كانوا من الخسة ما دفع حليفهم قبل الإسلام (سعد بن معاذ) الى الغضب الشديد منهم , اذ انه رغم انشغاله بمعركة (الخندق) وإصابته بسهم فيها دعا الله الا يميته حتى يأخذ حيفه من يهود (بني قريظة) , وكان هذا قبل ان يغزوهم رسول الله . وبدون التباس كان هذا الغضب ناشئاً عن كونهم

---

[٥٠٦] تاريخ الطبري / دار الفكر / ج ٢ / ص ١٠٩ – ١١

[٥٠٧] من قتل أهل البيت وأولاد النبيين وجملة الصحابة واستباحة المدينة وتولية المجرم الحجاج الثقفي

[٥٠٨] من إدخالهم بني هاشم وال بيت النبي في أخاديد لحرقهم

[٥٠٩] سير اعلام النبلاء / الذهبي / مؤسسة الرسالة / ج ٥ / الطبقة الثالثة / ص ٣٢٧ – ٣٣٢

[٥١٠] تاريخ الطبري / دار الفكر / ج ٢ / ص ٧٢

[٥١١] تاريخ الطبري / ج ٢ / احداث السنة الأولى للهجرة

غدروا برسول الله والمسلمين وحلفائهم من (الاوس) عند انشغالهم بالقتال مع قريش في معركة (الأحزاب) , حتى ان احدهم هجم على احد حصون النساء في المدينة من وراء ظهر المسلمين , فقامت اليه (صفية بنت عبد المطلب) بعمود فقتلته[٥١٢]. لكنّ قريش وبني امية لم ينسوا وقفة يهود (بني قريظة) تلك وجعلوا لهم هذا الهولوكوست .

وقد صنعوا قبله هولوكوست اخر ليهود (بني النضير) , متضارب غير مستقيم المنطق والرواية . حيث جعلوا سبب اخراجهم من (اوطانهم) ان رسول الله فرض عليهم دية شخص قتله مسلم من قوم اخرين , إكراها , فهمّوا بقتله لما ضاقوا بفعله , ولم يفعلوا لأنه علم بهذه النية من الله , فأجلاهم . وهي رواية ضعيفة في متنها من حيث النقل , اذ تعددت صورها , ولم تستقم , اذ هو في مرة أخذ مالهم وقسمه , وفي مرة هم اخذوه معهم فسادوا به الناس في (خَيْبَر) . وهي ضعيفة في إسائتها لنبي الله الذي لو أجاز العقوبة على النية لقتل المنافقين في (المدينة) , ولقام وصيُه (علي بن ابي طالب) بقتل (ابن ملجم) وهو يعلم انه يريد قتله وقد اخبره بهذا , ولأخرج النبي اليهود من (المدينة) قبل هذا كله . وهي ضعيفة في أخذ النبي أموال اليهود لدية رجل قتله مسلم . لكنّ الصحيح انهم إنما قاموا بمحاولة لقتل النبي واضحة صريحة , كما يُستشف من رواية (الواقدي) . الامر الذي اجبر حلفاءهم (الخزرج) على السكوت[٥١٣]. وقد نقلوها رغم تضعيفهم لرواتها (سلمة بن الفضل الابرش) و(محمد بن حميد الرازي) .

ومن الهولوكوست الذي صنعوه قصة مقتل زعيم اليهود (كعب بن الأشرف) . اذ نسبوا ان رسول الله بعث جماعة منهم (محمد بن مسلمة) قاموا بقتل (ابن الأشرف) غيلة , وقد غدروا به , بعد ان أحسن اليهم واستضافهم . ونقلت – كما قصص مقتل اليهود الأخرى – الصفات البطولية ل(ابن الأشرف) والحكمة لزوجته[٥١٤]. فيما لا يصح الغدر في الدين الإسلامي , فضلاً عن نقض العهود . ولقد ابى (مسلم بن عقيل بن ابي طالب) ابن عم وسفير حفيد النبي (الحسين) قتل الطاغية (عبيد الله بن زياد) غيلة , وهو مسلم ليس له شرف مقام النبوة والرسالة , وقد نقل حينها حديث النبي ((ان الإيمان قيد الفتك , فلا يفتك مؤمن))[٥١٥], فكيف يكون هذا الامر من صنيع أنبياء الله .

---

[٥١٢] السيرة النبوية / ابن كثير / دار الكتب العلمية / ص ٣٤٢

[٥١٣] تاريخ الطبري / مؤسسة الاعلمي / ج ٢ / ص ٢٢٣

[٥١٤] تاريخ الطبري / دار الكتب العلمية / ج ٢ / ص ٥٣

[٥١٥] ميزان الحكمة / محمد الريشهري / دار الحديث / ج ٣ / ص ٢٣٥٨

ونقل (البلاذري) انّ (معاوية بن ابي سفيان) اسكن العديد من الأسر اليهودية في (طرابلس) . ولا حاجة الى تأكيد انّ (معاوية) لم يكن معنياً بحلّ المسألة اليهودية المطروحة اليوم , بقدر ما كان يريد تغييراً ديمغرافياً وفكرياً ودينياً ما .

فيما ينقل (فينلاي) كيف انّ المسيحيين كانوا يروون قصة اليهوديين الذين تنبّأوا ان يحكم (يزيد الثاني) أربعين سنة , لكنّهما طلبا اليه تهديم الرموز المسيحية , فمات اثناء تنفيذ طلبهما . والغريب انّ هذين المتنبئين اليهوديين هما ذاتهما من تنبأوا للمدعو (كونون) بحكم الامبراطورية الرومانية , وطلبا اليه لقاء ذلك ان يقضي على (تلوث المسيحية في الشرق) ! . وقد حكم باسم (ليو الايزوري) , فاضطهد المسيحيين واليهود على السواء . ولا تُعرف الغاية من هذا الربط بين (ليو الايزوري) و (يزيد الثاني) , لكنّ الاكيد انّ هناك صلة ما , يمكن إجمالها في الحملتين اللتين شنهما كل من (ليو) للتغير القانوني والديني , و (يزيد الثاني) ضد المسيحيين الشرقيين بقيادة (مسلمة بن عبد الملك) .

كما انّ هذه الرواية تكشف عن تداخل عالم المؤامرات , وسقوط الحدود الجغرافية او الدينية امام الحركة التآمرية لحاخامات السنهدرين . وكان الاستهداف نحو النصرانية واليهودية الشرقيتين الموحدتين . فيما يبدو انه خطوة باتجاه أوروبا الحديثة . فيما يرى (مكسيموس المعترف) انّ (العرب) – وهم كانوا ممثلين في نظره بسلطة الانقلاب العمري الأموي – أدوات للتمهيد لقدوم عدوّ المسيح (المسيح الدجّال) .

وقد كان (محمد بن كعب القرظي) , وهو من مسلمة اليهود , اقرب المقربين الى الخليفة الأموي (عمر بن عبد العزيز) , وكان يأتي لزيارة الخليفة في (دمشق) كما يذكر (ابن سعد) في (الطبقات) , ويبعث برسائله من (المدينة) الى قصر الخليفة بدمشق , فيجيبه الخليفة من هناك .

امّا اليهودي الاخر (وهب بن منبه) فقد كان إماماً للمسلمين خلال حكم (بني أمية) , وكان على القضاء في (صنعاء) لصالحهم , وله جملة من الآراء في القدر , احدثت خلافاً بين عامّة المسلمين . وقد روى القوم عن (عبد الرزاق) عن أبيه عن (وهب) قوله (يقولون عبد الله بن سلام كان أعلم أهل زمانه , وإن كعباً أعلم أهل زمانه , أفرأيت من جمع علمهما , أهو أعلم أم هما)[٥١٦]. فايّ دولة إسلامية كان اعلم علمائها ثلاثة من اليهود ؟! , هذه هي دولة (بني أمية) , وارثة (الانقلاب العمري) .

[٥١٦] سير أعلام النبلاء , الذهبي , مؤسسة الرسالة – ١٩٩٣م , ط ٩ , ج ٤ , ص ٥٤٦

و (ابو الدرداء) – بأمر من معاوية – ينشر الثناء على (كعب الأحبار) فيقول (إن عند ابن الحميرية لعلماً كثيرا)[٥١٧]. وكان (معاوية) ذاته يثني على نفر منهم (كعب الأحبار) فيقول (ألا إن أبا الدرداء أحد الحكماء , ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء , إن كان عنده لعلم كالبحار , وإن كنا فيه لمفرطين)[٥١٨].

ولما كان تاريخ حدوث معركة بدر الكبرى التي كانت مفصلاً بيّناً ضاع وتردد بين روايات الشعب والسلطان بين سبعة عشر وتسعة عشر من رمضان , فليس غريباً على (آل الزبير) التزوير في حوادث ووقائع التاريخ الإسلامي لرفع مكانة ابيهم حين ادعوا الخلافة واحتاجوا الى رتبة اعلى من رتبتهم . فهشام بن (عروة بن الزبير) يستنسخ قصة بروز (علي بن ابي طالب) يوم (خَيْبَر) ورجزه وينحلها للزبير[٥١٩] . وهذا الخليط الأموي الزبيري هو ما أنتج لا شك الإساءة لمقام رسول الله – من اجل تبرير أفعال بني امية – في رواية (ابن إسحاق) ان النبي دفع (كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق) اليهودي الى (الزبير بن العوام) ليعذبه بالنار في صدره من اجل كنز من الذهب والفضة . وفعلاً استجاز (برهان الدين الحلبي) تعذيب الناس في (السيرة الحلبية) بهذه الرواية . رغم ان (الحلبي) ذاته يروي نسختها الأخرى ببطل اخر هو (حيي بن أخطب) اليهودي , الامر الذي يكشف اضطرابها[٥٢٠]. وبفعل هذا التحالف الخفي بين (آل الزبير) و (بني امية) نسبت الى رسول الله جملة من عمليات الاغتيال , التي لا يأتيها نبي . وكانت في جملتها موجهة ضد يهود , لإتمام هولوكوست مدبّر يجعلهم مظلومين مغدورين , وهم من ابشع الغدرة . فعن (محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام) عن (عبد الله بن انيس) – الذي مات في الشام في خلافة معاوية سنة ٥٤ هجرية – رويت قصة بعث رسول الله على (خالد بن سفيان بن نبيح الهُذَلِي) لاغتياله . فلا غرابة بعدئذ ان تروى روايات اغتيال زعماء اليهود (يسير بن رزام) و (كعب بن الأشرف) بأمر النبي , لاسيما انها رويت عن (عبد الله بن ابي بكر) عن زوجته (فاطمة بنت عمارة) عن خالة أبيه (عمرة بنت عبد الرحمن) عن (عائشة بنت أبي بكر) كما يقول البعض , و(عائشة) عنها أخذ (آل الزبير) او نسبوا اليها . و (عبد الله بن ابي بكر) كان أبوه (أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم) امير (المدينة) وقاضيها لبني امية وبني مروان , وكان يتختم بالذهب رغم حرمته . ومع هذا عدّوه من الثقات الاثبات وأوجدوا له الاعذار[٥٢١].

---

[٥١٧] الإصابة في تمييز الصحابة , ابن حجر العسقلاني , دار الكتب العلمية – ١٤١٥هـ , ج ٥ , ص ٤٨٣

[٥١٨] تهذيب التهذيب , ابن حجر , دار الفكر – ١٩٨٤م , ج ٨ , ص ٣٩٤

[٥١٩] السيرة النبوية / ابن إسحاق / دار الكتب العلمية / مجلد ١ – ٢ / ص ٤٧٥

[٥٢٠] السيرة الحلبية / دار الكتب العلمية / ج ٣ / ص ٦٢ – ٦٣

[٥٢١] سير اعلام النبلاء / مؤسسة الرسالة / ج ٥ / ص ٣١٤

ويروي الرحالة الأسقف (اركلف) , الذي حجّ الى (القدس) عام ٦٧٠م , انّه وجد طائفتين من اليهود في (القدس) , احدهما اعتنقت المسيحية , والأخرى بقيت على اليهودية .

فيما كان ل(عبد الملك بن مروان) – الخليفة الأموي – جماعة من اليهود يعملون بين يديه مختلف الاعمال , قد اسقط عنهم الجزية . وقد قام هذا الخليفة الأموي ببناء مجمل الحرم والصخرة في (بيت المقدس) عام ٦٩٠م , ورصد لذلك خراج مصر لسبع سنين , في أبهة وفخامة دنيوية اثارت حتى الكتّاب الافرنجيين . لكنّ الغريب انه جاء بعشرة أسر يهودية للقيام بخدمة الحرم ! , وقد تكاثرت تلك الأسر لاحقاً .

وهذا الإسكان المتكرّر للأسر اليهودية في (القدس) امر مريب جداً , حيث ابتدأه (عمر بن الخطاب) , الذي كان المؤسس ايضاً لمشروع اعادة إعمار الهيكل , واستمرّ في أدائه (عبد الملك بن مروان الأموي) , الذي اتمّ البناء ايضا , فيما قام الزعيم الأشهر في تاريخ الحروب الوسطى (صلاح الذين الأيوبي) بإسكان ثلاثين أسرة يهودية جديدة , بطلب من طبيبه اليهودي الأندلسي الخاص وشيخ (كبّالاه) السحرية الأشهر (موسى بن ميمون) , بعد فتحه للقدس وطرد الصليبيين , وبعد أنْ كان صديقاً مقرباً وقديماً لوصي العرش الصليبي القمص (رايموند) . وعجيب هذا الاشتراك في المهمة الغريبة من هؤلاء القادة المسلمين الأشهر والأكثر احتراماً في التاريخ الرسمي . وما اعجب من ذلك الّا اشتراكهم – جميعاً – في العداء المفرط لأهل البيت المحمدي وشيعتهم , حتى بقر بعضهم بُطُون الحوامل .

وقام لاحقاً (الوليد بن عبد الملك الأموي) , الذي قام بهدم بيوت اهل (المدينة) على رؤوس أهلها بعد ان امر (عمر بن عبد العزيز) واليه بذلك[٥٢٢], بنقش اسمه بالفسيفساء على الكرنيش الموضوع على المثمن الذي يحمل قبة الصخرة , وهو ما ازاله الخليفة العبّاسي (المأمون) لاحقاً وكتب اسمه مكانه .

[٥٢٢] اعيان الشيعة ١ ج ١١ ص ٣١٤

الفصل الخامس: اليهود في العهد العثماني

لم تكن دول الشيعة مع كل ذلك المد اليهودي داخل المؤسسات الرسمية الاسلامية لتسلم من الفتن وانحراف العقائد , فكان سحرة اليهود يدسون من خلال مجموعة من المنحرفين ممن اختلف اليهم أمثال (المغيرة بن سعيد) ما شاءوا من الظواهر المنحرفة . وكذلك (محمد بن بشير) – رغم انه من موالي بني اسد – الا انه اظهر من البدع ما يشابه دجل الدجالين في العصر الحديث , حتى فتن الناس فادعى انه نبي فوق الإمام , وقد كانت الناس على بساطتها تنبهر به , وحين أراد الخلفاء العباسيون قتله تحالف معهم , ثم قتلوه رغم ما صنعه لهم من عجائب[٥٢٣]. وقد لعن الائمة المعصومين أولئك المنحرفين ممن شابه (المغيرة) وابانوا حالهم[٥٢٤].

وقد كانت دول الشيعة تلك هي الأعلى تحضراً ومنعة فكرية حتى سقوط دولة بني العباس , فتكون الدول التركية البدوية التي ختمت ثم أعقبت دولة بني العباس أقل قدرة على مواجهة الطريقة الناعمة للتغلغل اليهودي .

وفيما كانت المسيحية البولصية تنمو في غرب أوروبا , تحت رعاية الكنيسة الرومانية الكاثوليكية الغربية , كان من اللازم إنهاء الوجود الفكري للكنيسة الرومانية الشرقية وإضعافه , لتأثرها بالمدّ الشرقي الأقرب الى التوحيد الالهي , رغم ظاهرها البولصي العام , وهذا ما ساهمت فيه دولة بني أمية , بالإضافة الى إسهامها المباشر في إنهاك وتطويق الدين الاسلام ورجالاته , من خلال ايذاء القادة الحقيقيين من (آل محمد) . ثم كانت الدولة (العثمانية) صاحبة الفضل ايضاً في نمو السيطرة الفكرية للفاتيكان , بعد اسقاطها لبيزنطية . فذلك كلّه كان مقدمة لعبور يهود (السنهدرين) نحو أوروبا وعقلها , والذين كانوا يعبّرون عن الارث الكهنوتي الفرعوني المظلم .

---

[٥٢٣] اختيار معرفة الرجال \ الكشي \ ص ٤٠٢ – ٤٠٤

[٥٢٤] اختيار معرفة الرجال \ الكشي \ ص ١٩٦ ح ٥

وفي مثال العراق في العهد العثماني , الذي كان نظرياً الأكثر منعة أمام النفوذ اليهودي , فضلاً عن غيره من الأقاليم , كانت الجباية القاسية والعدل المهان والهدايا المأخوذة كرهاً هي ما ميزت كل عصور العثمانيين في العراق , لا سيما القرن الثامن عشر . فيما صار لليهود والبريطانيين والفرنسيين والهولنديين حرية التجارة والحركة في البصرة , وهي المدينة التي كان يسير بها الاهمال نحو الطاعون الذي ضربها في سبعينات القرن الثامن عشر , فكان هؤلاء الأجانب يهربون ويبقى أبناؤها يعانون الامرين .

ان البصرة نتيجة عهود العثمانيين تحولت من مدينة تجارية الى قرية كبيرة , وكان ولاة العثمانيين على البصرة يعتمدون على اليهود في المشورة , رغم أن قوات (المنتفك) الشعبية هي التي تسيطر على البصرة في نهاية القرن الثامن عشر بعد خروج القوات الإيرانية , ولم يكن بوسع الولاة العثمانيين الدخول الا باذنهم .

وقد بلغت قدرة التحكم البريطاني بالسياسة العثمانية في العراق مرحلة متقدمة , وهو ما سيكون مقدمة لما بعده لاسيما مع وجود التعاون اليهودي البريطاني في المنطقة . فصار تعاون المماليك المولودين على المسيحية في البلاد غير العربية – والذين يشعرون بانهم غرباء محتلون – مع الانجليز ضرورة في نظر الطرفين لحكم المنطقة . حتى ان (سليمان اغا) احد ضعفاء حكام المماليك – الذي بقي اسيراً في ايران لسنين حتى اطلق الإيرانيون سراحه برغبتهم ولم يستطع دخل البصرة الا تحت حماية المنتفك وكذلك بغداد – صنع له البريطانيون وغيرهم من المتلاعبين بالتاريخ بالمال تاريخاً بلا عمل ولا اثر حضاري فعلي سوى انه كان متعاوناً مطيعاً للبريطانيين .

ومنذ منتصف القرن الثامن عشر صار التنافس الفرنسي البريطاني في العراق واضحاً , مع رغبة تبشيرية فرنسية تمتزج بالسياسة من خلال جعل القنصل اسقفا , وسلوك تجاري بريطاني سرعان ما اصبح متغلغلاً في عمق السياسة المملوكية في بغداد والبصرة وإسطنبول , والسياسة الاجتماعية المحلية من خلال العلاقات المالية والقبلية التي تفرعت عن مندوبي شركة الهند الشرقية والقناصل البريطانيين بالتعاون مع اللوبي اليهودي العراقي , حتى ان العلاقات المملوكية البريطانية لم تتأثر في خضم الحرب البريطانية التركية في بداية القرن الثامن عشر بل ازدادت قرباً وتعاوناً عن طريق الرعاية المملوكية للمصالح البريطانية وصفقات السلاح التي زودت بها بريطانيا المماليك . كما كان بعض المدربين والأطباء حول الولاة فرنسيين . فيما اشتركت البعثات البريطانية والفرنسية ومن شاركهما من الاوربيين في مجال التنقيب وسرقة الاثار العراقية تحت نظر

الحكومة المملوكية الجاهلة والمرتشية . وقد اصبح السفير البريطاني في القرن التاسع عشر ثاني رجل في العراق عملياً وبصورة شبه رسمية بعد رتبة الباشا في بغداد[٥٢٥].

وامام رغبة العثمانيين في إسطنبول انهاء حكم المماليك في العراق واعادته الى يدهم تم ارسال (صادق افندي) لإقناع الوالي المملوكي بالتنحي , الا ان الوالي استشار (إسحاق) الصراف اليهودي واتفقوا على قتل المبعوث السلطاني , فقتلوه خنقا , وقد كان السفير البريطاني جزءاً من هذه القصة , فتم ارسال ضباط من الشركس يرافقهم الالبان للاستيلاء على العراق تحالفوا مع حلفاء المماليك السابقين من قبائل (عقيل) و(شّمر) التي كانت حينها في الغالب تنتمي الى الجانب الأقوى وترتضي بما تغنم , وكانت (عقيل) على قسمين احدهما الى جانب الوالي , فصادف تلك الحملة لإزالة حكم اخر المماليك (داوود باشا) ان انتشر الطاعون الذي ظهرت أولى الإصابات به من خلال محلات اليهود , ولولا ارتفاع مناسيب دجلة وفيضان النهر في نفس الشهر لاختفى سكان بغداد عن اخرهم , فحمل الوالي جزءاً من ثروة الدولة وهرب , ونهب زعماء (عقيل) الكثير من ثروات السراي الحكومي واحرقوه , والغريب ان الاجتماعات والمؤامرات كانت تدار في دار (صالح بك) التي أصبحت دار المقيم البريطاني لاحقا , وهؤلاء المجتمعون في هذه الدار هم من قتلوا (قاسم باشا) اول الضباط الداخلين الى سراي بغداد من الجيش العثماني الذي قاده (علي رضا باشا الشركسي) . وبعد صراع وخديعة وسلب ونهب وموت وخراب استسلم (داوود باشا) , لكنّ المفاجأة انه لم يعدم بل تسلم الحكم في البوسنة وانقرة وغيرها حتى مات , وكأن دماء من سقط في بغداد كانت هباءً منثورا , فتم قتل جميع المماليك الخصم والجندي الموالي والمتعاون وغير المتعاون المواجه والهارب والمقاتل والمستسلم على يد قيادة الالبان بلا امان ولا عهد ولا ذمة كما كانت عادت سياسة الدولة العثمانية التي استفادت من هذا الوجود المملوكي الذي صنعته لقرون ثم ابادته . ومن تخلي (علي رضا باشا الشركسي) عن مظاهر السلطة الإسلامية التقليدية واحاطته بالأوروبيين وتجديده لامتيازات شركة الهند الشرقية البريطانية يُفهم من كان خلف استغلال المماليك ثم قتلهم للاستفادة من خلفهم بصورة اكبر . وذلك كله في حدود منتصف القرن التاسع عشر[٥٢٦].

ولم تكن هناك من دوائر حكومية للصحة ولم يكن في العراق سوى مستشفى واحد يقع في بغداد , فكانت الامراض تنتشر كأوبئة , ومن ثم فالناس مضطرة للتشافي على يد افراد محليين . لا سيما مع قلة العناية الحكومية بالبيئة والصحة المجتمعية .

فيما كان المسيحيون واليهود يتمتعون بنظام تعليمي واضح , الامر الذي مكنهم من تطوير انفسهم ومجتمعاتهم والدخول في السلك الوظيفي . وكان ان سمحت الحكومة العثمانية للبريطانيين وموظفيهم الهنود

---

[٥٢٥] أربعة قرون من تاريخ العراق ١ ص ٣٠٤ – ٣٠٨

[٥٢٦] أربعة قرون من تاريخ العراق ١ ص ٣١٥ – ٣٣١

فتح دائرة بريد تعمل في العراق , وهي ربما مكنت البريطانيين من التجسس بصورة اعمق , الامر الذي قلدته الحكومة العثمانية ففتحت دائرة مشابهة بعد مؤتمر باريس . وقد سمحت هذه الدائرة مع دائرة التلغراف بانفتاح العراق على العالم .

بينما قام السيد (محمود بن عبد المحسن الحلو) وهو ابن شقيق المرجع السيد (عبد الرزاق الحلو) ببناء المسجد الجامع في مدينة (العزير) عند أطراف مدينة (العمارة) وأقام فيها حين مر عليها ورأى المسلمين مستضعفين فيها وأن السيطرة فيها لليهود في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي , مثال على القيادة الدينية الميدانية التي العوائل العراقية الدينية العاملة والتي كانت ستوفرها مثل هذه العائلة لو تُنيت لها وسادة المرجعية[٥٢٧], ومثال على ما تركه العثمانيون من تركة يهودية ثقيلة . في الوقت الذي كانت منشورات واخبار التحريض والثورة ضد الحكم العثماني ينشرها في العراق –عن طريق البضائع– على ما يبدو من اسمائهم أشخاص مسيحيون أو يهود , هم الصيدلي (داود فتو) وتاجر الآثار الأدبية (اسكندر) , وكذلك الجهات الأجنبية المشرفة على اتصالات البرق في البلاد , ويغذيها في جنوب العراق زعيم المجتمع السني في البصرة (طالب باشا النقيب) , الذي حظيت أسرته لاحقاً بدعم البريطانيين وتشكيل الحكومة العراقية الأولى , كما حظيت سابقاً بامتيازات العثمانيين[٥٢٨].

[٥٢٧] مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١٥٩

[٥٢٨] مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٧٩

الخاتمة

- الانانية هي السر في انكسار النفس اليهودية الأولى . وتداخلت العقائد اليهودية المحرفة بصورة واضحة مع العقائد السحرية الباطنية الفرعونية .
- كانت الديانة اليهودية مقدمة ضرورية لما بعدها من الديانات التوحيدية . حيث نشأت في مجتمعها المسيحية , وعلى يد انبياء بني إسرائيل تمت صناعة المجتمع العربي الأول البديل الذي حمل راية الإسلام لاحقا . وانتقل معظم اليهود الى المسيحية الأولى . ودخل الكثير من اليهود في الإسلام .
- شارك اليهود في قتل الأنبياء , وفي مجازر الأمم الرومانية الوثنية ضد المسيحية النقية . وشارك رجالات اليهود في انقلاب السقيفة وما بعده , وكانوا من أهم رجال حزب الانقلاب المعادي لحزب آل محمد .
- يستخدم اليهود الفرعونيون كل وسيلة متاحة ضد الأمم الأخرى . واعتمد اليهود في نشر سيطرتهم على المال واعتقدوا بقدرته أكثر من قدرة الخالق على نصرهم , وهم لا ينشرون معتقداتهم لتؤمن بها الأمم الأخرى لأنهم مجتمع منغلق , لكنهم يفرضون معتقداتهم بالمكر والخديعة ولا يستهدفون بناء الاخلاق وفق ديانة توحيدية أخلاقية بل كسر أخلاق الأمم الأخرى فقط , دون أن يعرف اكثرهم سبب ذلك .
- سيطر اليهود على أهم منظمتين باطنيتين في العالم (الماسونية , النورانية) , ومن خلالهما سيطروا على مجمل الحركات الفكرية والسياسية في العالم المادي , لا سيما الغربي . وكان اصطناع الأفكار الأممية المادية مثل (الشيوعية) مقدمة مرحلية مؤقتة مهمة لإزاحة الأديان التوحيدية الأخرى (المسيحية , الإسلام) , لإفراغ الأمم من عقائدها , ومن ثم يتم لاحقاً تصنيع عقائدها من جديد على يد اليهود .
- كان الربا ورأس المال والإعلام والفساد أهم مداخل السيطرة اليهودية على العالم السياسي الغربي القوي , ومن ثم العالم . وتخضع معظم المؤسسات الكبرى في الغرب للمال اليهودي , حتى الأكاديمية البحثية , وهذا ما يميز القدرة اليهودية على التلاعب بأفكار العالم .
- لا يحتفظ اليهود المعاصرون في الغالب بأي شعور للأمم الأخرى التي احسنت اليهم , وسرعان ما يكونون احد اهم أسباب بلائها وبوابة خيانتها .

تعريف:

علي الابراهيمي : باحث وكاتب وشاعر عراقي , من مواليد ١٩٨٠م , له عدة مقالات وبحوث منشورة في الصحف والمجلات مثل (الايمان) و (الإصلاح) النجفيتين وصحيفة (الزمان) و (الشرق الأوسط) اللندنية , والكثير من المواقع والصحف الإلكترونية المحلية والدولية , وله عدة كتب مطبوعة مثل كتاب (المثل الأعلى) , وكتاب (صراع الحضارتين) , وكتاب (العلمانية والدين بين التجربة التاريخية والاسس المنطقية للاستقراء) , وكتاب (الكينونة القيادية والوجودية في الفكر الشيعي) , وكتب الكترونية مثل (المرجعية الدينية الإسلامية الإمامية) , حامل لشهادة البكالوريوس في الكيمياء , ومهتم بالمساحات الفكرية غير المضاءة لا سيما في المجالين التاريخي والاجتماعي .

aladyaan.com